

نهج السالكين

وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضى من كلام سيدنا
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

شرح الأستاذ الإمام
الشيخ محمد عبده

مفاتيح الديار المصرية سابقاً

الجزء الثاني

الناشر :

دار المعرفة

الطبعة والنشر

بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
قَالَ لِأَصْحَابِهِ فِي سَاعَةِ الْحَرْبِ

وَأَيُّ أَمْرِي مِنْكُمْ أَحْسَنُ مِنْ نَفْسِهِ رِبَاطَةٌ جَاشٍ عِنْدَ اللَّقَاءِ^(١) ،
وَرَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلًّا فَلْيَذُبْ عَنْ أَخِيهِ^(٢) بِفَضْلِ تَجَدُّدِهِ الَّتِي
فُضِّلَ بِهَا عَلَيْهِ كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ . فَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَلَهُ مِثْلَهُ . إِنَّ
الْمَوْتَ طَالِبٌ حَيْثُ لَا يَقْوَاهُ الْمُقِيمُ وَلَا يُعْجِزُهُ الْهَارِبُ . إِنْ أَكْرَمَ
الْمَوْتَ الْقَتْلَ^(٣) . وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ
أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مَيِّتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ (مِنْهُ) وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ تَكْشُونَ
كَشِيشَ الضُّبَابِ^(٤) . لَا تَأْخُذُونَ حَقًّا وَلَا تَمْنَعُونَ ضَيْمًا . قَدْ خُلِيتُمْ
وَالطَّرِيقَ^(٥) . فَالْجَنَّةُ لِلْمُقْتَحِمِ وَالْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ (مِنْهُ) فَقَدِّمُوا

(١) رباطة الجأش: قوة القلب عند لقاء الأعداء (٢) الفشل: الضعف وقوله فليذب أي فليدفع
والنجدة بالفتح: الشجاعة (٣) في سبيل الحياة عن الحق ورد كيد الباطل عنه
(٤) كشيش الضباب صوت احتكاك جلودها عند ازدحامها ، والمراد حكاية حالهم
عند الهزيمة (٥) قد خلى بينكم وبين طريق الآخرة . فن اقتحم أخطار القتال ورمى

الدَّارِعَ^(١)، وَأَخْرُوا الْحَاسِرَ، وَعَضُوا عَلَى الْأَضْرَاسِ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسَّيُوفِ
عَنِ الْأَهَامِ^(٢). وَالتَّوَوُّا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ^(٣) فَإِنَّهُ أُمُورٌ لِلْأَسِنَّةِ. وَغَضُّوا
الْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَاشِ وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ. وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ
أَطْرَدُ لِلْفُشْلِ. وَرَأَيْتَكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا وَلَا تُخْلُوهَا، وَلَا تَجْمَلُوهَا إِلَّا
بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ وَالْمَانِعِينَ الذَّمَارَ مِنْكُمْ^(٤)، فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى
نُزُولِ الْحَقَاقِقِ^(٥) هُمُ الَّذِينَ يَحْفُونُ بِرَأْيَاتِهِمْ، وَيَكْتَنِفُونَ حِفَافِيهَا:
وَرَاءَهَا وَأَمَامَهَا. وَلَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسْلِمُوهَا، وَلَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا
فَيُفَرِّدُوهَا. أَجْزَأُ أُمُورُ قِرْنَتِهِ^(٦)، وَآسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَكِلْ قِرْنَتَهُ
إِلَى أَخِيهِ فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قِرْنَتُهُ وَقِرْنُ أَخِيهِ. وَائْتِمِ اللَّهُ لَنْ فَرَزْتُمْ مِنْ
سَيْفِ الْعَاجِلَةِ لَا تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الْآخِرَةِ. وَأَنْتُمْ لَهَا مِيمٌ الْعَرَبِ^(٧)

بنفسه اليها فقد نجا، ومن تلوم أى توقف وتباطأ فقد هلك (١) الدارع لابس الدرع،
والحاسر من لادرع له (٢) أنبى: من نبا السيف إذا دفعته الصلابة من موقعه فلم يقطع
(٣) إذا وصلت إليكم أطراف الرماح فانهطفوا وأميلوا جانبكم فتزلق ولا تنفذ فيكم أسننتها،
وأمرأى أشد فعلا للور وهو الاضطرب الموجب للانزلاق وعدم النفوذ (٤) الذمار
بالسكر ما يلزم الرجل حفظه وحيايته من ماله وعرضه (٥) جمع حافة وهي النازلة الثابتة،
ويحفون بالرأيات أى يستديرون حولها، ويكتنفونها: يحيطون بها، وحفافيتها: جانبيها
(٦) أجزأ وما بعده أفعال ماضية فى معنى الأمر أى فليكنف كل منكم قرنه أى كفؤه
وخصمه فيقتله وليواس أخاه. آسأه يؤاسيه: قواه، رباعى ثلاثيه أسى البناء إذا قوى، ومنه
الأسية للحكم من البناء والدعامة ولا يترك خصمه إلى أخيه فيجتمع على أخيه خصمان فيغلبانه ثم
نقلبان عليه فيهلكانه (٧) لها ميم جمع لهميم بالسكر: الجواد السابق من الانسان والخيول

وَالسَّامُ الْأَعْظَمُ . إِنَّ فِي الْفِرَارِ مَوْجِدَةَ اللَّهِ ^(١) ، وَالذَّلَّ الْلَارِمَ وَالْعَارَ
 الْبَاقِيَ . وَإِنَّ الْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُمرِهِ وَلَا مَحْجُوزٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَوْمِهِ .
 الرَّائِحُ ^(٢) إِلَى اللَّهِ كَالظَّمَانِ يَرِدُ الْمَاءَ . الْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي ^(٣) .
 الْيَوْمَ تُبْلَى الْأَخْبَارُ ^(٤) . وَاللَّهُ لَأَنَا أَشَوْقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ .
 اللَّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا الْحَقَّ فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ ، وَشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ ، وَأَبْسِلْهُمْ
 بِمُخْطَايَاهُمْ ^(٥) . إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنِ دِرَاكٍ ^(٦) . يُخْرِجُ
 مِنْهُ النَّسِيمُ ، وَضَرْبُ يَفْلِقُ الْهَامَ ، وَيُطِيحُ الْعِظَامَ ، وَيُنْدِرُ السَّوَاعِدَ
 وَالْأَقْدَامَ ^(٧) . وَحَتَّى يَرْمُوا بِالْمَنَاسِرِ تَتَّبِعُهَا الْمَنَاسِرُ ^(٨) ، وَيَرْجُوا بِالْكِتَابِ
 تَقْفُوهَا الْخِلَابُ ^(٩) . وَحَتَّى يَجْرِبَ بِلَادِهِمُ الْخُمَيْسُ يَتَلَوُّهُ الْخُمَيْسُ ، وَحَتَّى
 تَدْعَى الْخِيُولُ فِي نَوَاحِرِ أَرْضِهِمْ ^(١٠) ، وَبِأَعْنَانٍ مَسَارِيهِمْ وَمَسَارِحِهِمْ ^(١١)

(١) موجدته: غضبه (٢) الرماح (٣) تبلى: تمتحن أخبار كل امرئ عما في قلبه من
 دعوى الشجاعة والصدق في الإيمان فيقبين الصادق من الكاذب (٤) أبسله: أسامه
 للهلكة (٥) دراك- ككتاب- متتابع متوال يفتح في أبدانهم أبواباً يمر منها النسيم
 (٦) يندرها كبهلكها أي يسقطها (٧) المناسر جمع منسر كجلس القطعة من الجيش
 تكون أمام الجيش الأعظم (٨) الكتاب جمع كتيبة من المائة إلى الألف: والخلاب
 جمع حلبة على مافي القاموس الجماعة من الخيل تجتمع من كل صوب للنصرة، والخميس
 الجيش العظيم وقيل من أربعة آلاف إلى اثني عشر ألفاً (٩) دعق الطريق- كنع- وطنه
 وطناً شديداً. ودعق الغارة بثها (١٠) أعنان الشيء أطرافه، والمسارب المذاهب للرعي

(أَقُولُ : أَلَدَعَقُ : الدَّقُّ ، أَيْ تَدَقُّ الْخَيُْولُ بِحَوَافِرِهَا أَرْضَهُمْ . وَتَوَاحِرُ
أَرْضِهِمْ مُتَقَابِلَاتُهُمَا . يُقَالُ : سَنَزَلُ بَنِي فُلَانٍ تَتَنَاحَرُ ، أَيْ تَتَقَابَلُ)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي التَّحْكِيمِ

إِنَّا لَمْ نُحْكَمْ الرِّجَالُ وَإِنَّا حَكَمْنَا الْقُرْآنَ . وَهَذَا الْقُرْآنُ
إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْتُورٌ بَيْنَ الدَّقَّتَيْنِ ^(١) لَا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ
تَرْجُمَانٍ . وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ . وَلَمَّا دَعَا الْقَوْمُ إِلَى أَنْ نُحْكَمْ
يَسْتَأْذِنَ الْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلَّى عَنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى . وَقَدْ
عَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ « فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ » .
فَرَدُّهُ إِلَى اللَّهِ أَنْ نُحْكَمْ بِكِتَابِهِ ، وَرَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ ،
فَإِذَا حُكِمَ بِالصَّدَقِ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَتَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ ، وَإِنْ حُكِمَ
بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَتَحْنُ أَوْلَاهُمْ بِهِ . وَأَمَّا قَوْلُكُمْ
لَمْ جَمَلْتَ يَتَنُكَ وَيَتَنَهُمْ أَجَلًا فِي التَّحْكِيمِ ، فَإِنَّمَا فَعَلْتَ ذَلِكَ
لِيَتَبَيَّنَ أَجْلَاهُ وَيَتَبَيَّنَ الْعَالِمُ . وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ فِي هَذِهِ الْهَدَنَةِ
أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَلَا تُؤْخَذَ بِأَكْظَامِهَا ^(٢) فَتَعَجَلَ عَنْ تَبَيُّنِ الْحَقِّ

(١) الدفتان صفحتان من جلد نحو بيان ورق المصحف (٢) الاكظام جمع كظم حركة

وَتَنْقَادَ لِأَوَّلِ النَّفْيِ. إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ
إِلَيْهِ - وَإِنْ تَقَصَّهُ وَكَرِهَتْهُ^(١) - مِنَ الْبَاطِلِ وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةٌ وَزَادَتْ.
فَأَيْنَ يَتَاهُ بِكُمْ! . وَمِنْ أَيْنَ أَتَيْتُمْ! . اسْتَعِيدُوا لِلْمَسِيرِ إِلَى قَوْمٍ حَيَارَى
عَنِ الْحَقِّ لَا يُنْصِرُونَهُ، وَمُوزَعِينَ بِالْجُورِ^(٢) لَا يَعْدِلُونَ بِهِ . جُفَاءً عَنِ
الْكِتَابِ . نَكَبٍ عَنِ الطَّرِيقِ^(٣) . مَا أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بِهَا^(٤) ،
وَلَا زَوَافِرٍ عِزٍّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا^(٥) . لِبِئْسَ حُشَّاشٌ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ^(٦) . أَفَ
لَكُمْ لَقَدْ لَقِيتُمْ مِنْكُمْ بَرَحًا^(٧) ، يَوْمًا أَنْادِيَكُمْ وَيَوْمًا أَنْاجِيكُمْ ، فَلَا
أَحْرَارَ عِنْدَ النَّدَاءِ ، وَلَا إِخْوَانَ مِقَّةٍ عِنْدَ النِّجَاءِ^(٨)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا عَوْتُبَ عَلَى التَّسْوِيَةِ فِي الْعَطَاءِ

أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجُورِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ ، وَاللَّهُ

مَخْرَجَ النَّفْسِ . وَالْأَخْذَ بِالْكَطَامِ الْمَضَاقِقَةِ وَالِاشْتِدَادَ بِسَلْبِ الْمَهْلَةِ (١) كَرِهَتْهُ - كَنَصَرَهُ
وَضَرَبَهُ - اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْغَمُّ بِحُكْمِ الْحَقِّ فَإِنَّ الْحَزْنَ بِالْحَقِّ مَسْرَةٌ لَدَيْهِ. وَالْمَسْرَةُ بِالْبَاطِلِ زَهْرَةٌ
تَمْرَتْهَا الْغَمُّ الدَّائِمُ ، وَقَوْلُهُ مِنَ الْبَاطِلِ مُتَعَلِّقٌ بِأَحَبِّ (٢) مُوزَعِينَ مِنْ أَوْزَعِهِ أَيْ أَغْرَاهُ
وَقَوْلُهُ لَا يَعْدِلُونَ بِهِ أَيْ لَا يَسْتَبْدِلُونَهُ بِالْعَدْلِ (٣) نَكَبٌ - جَمْعُ نَاكَبٍ - الْخَائِدُ عَنِ الطَّرِيقِ
(٤) أَيْ بَعْرُوتٌ وَثِيقَةٌ يَسْتَمْسِكُ بِهَا (٥) زَافِرَةُ الرَّجُلِ أَنْصَارُهُ وَأَعْوَانُهُ (٦) الْحُشَّاشُ
جَمْعُ حَاشٍ مِنْ حَشٍّ النَّارِ أَيْ أَوْقَدَهَا، أَيْ لِبِئْسَ الْمُوقِدُونَ لِلنَّارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ (٧) بَرَحًا
- بِالْفَتْحِ - شَرَاوِثُ (٨) النِّجَاءُ الْإِفْضَاءُ بِالسَّرِّ وَالتَّكَلُّمُ مَعَ شَخْصٍ مَحِثٍّ لَا يَسْمَعُ الْآخَرَ

مَا أَطُورُ بِهِ مَاسِمَرَ سَمِيرٌ^(١)، وَمَا أَمْ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْمًا^(٢). لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي
لَسَوَّيْتُ يَنَّهُمُ فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللَّهِ. أَلَا وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي
غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَيَضَعُهُ فِي
الْآخِرَةِ، وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللَّهِ. وَلَمْ يَضَعْ أَرْوَاهُ مَالَهُ
فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلَا عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ شُكْرَهُمْ، وَكَانَ لِغَيْرِهِ
وُدُّهُمْ. فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النُّعْلُ يَوْمًا فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَدِينٍ^(٣)،
وَالْأَمُّ خَلِيلٌ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْخَوَارِجِ أَيْضًا

فَإِنْ أُيِّسْتُمْ إِلَّا أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أَخْطَأْتُ وَضَلَّتْ، فَلِمَ تُضَلِّلُونَ عَامَّةَ
أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِضَلَالِي، وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطَايَا،
وَتُكْفَرُونَهُمْ بِذُنُوبِي. سَيُوفُكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ الْبُرْءِ
وَالسُّقْمِ، وَتَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِعَنْ لَمْ يُذْنِبْ. وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَجَمَ الزَّانِيَ الْمُحْصَنَ ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلُهُ. وَقَتَلَ
الْقَاتِلَ وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلُهُ. وَقَطَعَ السَّارِقَ وَجَلَدَ الزَّانِيَ غَيْرَ الْمُحْصَنِ.

(١) ما طور به من طار يطور : حام حول الشيء، أى ما أمر به ولا أفاقره بمبالغة في الابتعاد
عن العمل بما يقولون. وما سمير سمير أى مدى الدهر (٢) أى ما قصد نجم نجماً (٣) صديق

ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْقِيَمَةِ وَنَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ ، فَآخَذَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِذُنُوبِهِمْ ، وَأَقَامَ حَقَّ اللَّهِ فِيهِمْ ، وَلَمْ يَنْتَهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَلَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ^(١) . ثُمَّ أَنْتَمُ شِرَارُ النَّاسِ ، وَمَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ ، وَضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ^(٢) . وَسَيِّئُكَ فِي صِنْفَانِ : مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْخُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ ، وَخَيْرُ النَّاسِ فِي حَالِ النَّمَطِ الْأَوْسَطِ ، فَالزُّمُوهُ وَالزُّمُوهَا السَّوَادُ الْأَعْظَمُ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ . وَإِيَّاكُمْ وَالْفِرْقَةَ فَإِنَّ الشَّاذِينَ النَّاسَ لِلشَّيْطَانِ كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّبِّ أَلَا مَنْ دَعَا إِلَى هَذَا الشَّعَارِ فَاقْتُلُوهُ وَلَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هَذِهِ^(٣) وَإِنَّمَا حَكَمَ الْحُكَمَانِ لِيُخَيِّمَا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ وَيُمَيِّتَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ . وَإِخْيَاؤُهُ الْاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ ، وَإِمَاتَتُهُ الْإِفْتِرَاقُ عَنْهُ . فَإِنْ جَرَّ نَا الْقُرْآنُ إِلَيْهِمْ اتَّبَعْنَاهُمْ ، وَإِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا اتَّبَعُونَا . فَلَمْ آتِ - لَا أَبَالَكُمْ - يُجْرَا^(٤) ، وَلَا خَلَّتْكُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ^(٥) .

(١) كان من زعم الخوارج أن من أخطأ وأذنب فقد كفر، فأراد الإمام أن يقيم الحجة على بطلان زعمهم بما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم (٢) سلك به في بادية ضلالة (٣) الشعار علامة القوم في الحرب والسفر، وهو ما يتنادون به ليعرف بعضهم بعضاً . قيل كان شعار الخوارج « لاحكم الاله » وقيل المراد بهذا الشعار هو ما استازوا به من الخروج عن الجماعة، فيريد الإمام أن كل خارج عن رأى الجماعة مستبد برأيه عامل على التصرف بهواه فهو واجب القتل وإلا كان أمره فتنة وتفرقاً بين المؤمنين (٤) البجر - بالضم - الشر والأمر العظيم (٥) خلتكم: خدعتكم .

وَلَا لَبْسَتْهُ عَلَيْكُمْ ، إِنَّمَا اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَائِكُمْ عَلَى اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ
أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ لَا يَتَعَدَّيَا الْقُرْآنَ فَتَاهَا عَنْهُ ، وَتَرَكََا الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ ،
وَكَانَ الْجُورُ هَوَاهُمَا فَمَضَيَا عَلَيْهِ . وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا - فِي
الْحُكُومَةِ بِالْمَدْلِ وَالصَّمَدِ لِلْحَقِّ - سُوءَ رَأْيِهِمَا ^(١) وَجُورَ حُكْمِهِمَا

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِيَا نَجِيبٍ مِنَ الْمَلَاحِمِ بِالْبَصْرِ ^(٢)

يَا أَخْنَفُ كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِي لَا يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ وَلَا
لَجَبٌ ^(٣) ، وَلَا قَعْقَعَةٌ أُجْمٌ ، وَلَا حِمِيمَةٌ خَيْلٌ ^(٤) . يُشِيرُونَ الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ
كَأَنَّهُمْ أَقْدَامُ النَّعَامِ (يُؤَمِّي بِذَلِكَ إِلَى صَاحِبِ الزَّنَجِ . ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ) : وَيَلُ
لِسِكِّكُمْ الْعَامِرَةَ ^(٥) ، وَالذُّورِ الْمَزْخَرَةَ الَّتِي لَهَا أَجْنَحَةٌ كَأَجْنَحَةِ
النُّشُورِ ^(٦) ، وَخَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ الْفَيْلَةِ ، مِنْ أَوْلِيكَ الَّذِينَ لَا يُتَدَبَّرُ

والتليس خلط الأمر وتشبيهه حتى لا يعرف وجه الحق فيه (١) الصمد: القصد. وسوء
مفعول لاستثناؤنا (٢) الملاحم جمع ملحمة وهي الواقعة العظيمة (٣) اللجب الصياح.
واللجم جمع لجام. وقعقتها ما يسمع من صوت اضطرابها بين أسنان الخيل (٤) الحميمة
صوت البرذون عند الشبر وعرف الفرس (أي صوته) عند ما يقصر في الصهيل ويستعين
بنفسه (٥) جمع سكة: الطريق المستوي وهو إخبار عما يصيب تلك الطرق من تخريب
ما حوالها من البنيان على يد صاحب الزنج ، وقد تقدم خبره في قيامه وسقوطه
فراجع (٦) أجنحة الدور رواشتها . وقيل ان الجناح والروشن يشتركان في إخراج

قَسَلُهُمْ^(١)، وَلَا يُفْتَقَدُ غَائِبُهُمْ. أَنَا كَابُ الدُّنْيَا لَوَجْهِهَا، وَقَادِرُهَا بِقَدْرِهَا،
وَنَاطِرُهَا بِعَيْنِهَا

(مِنْهُ ، وَيُؤَمِّي بِهِ إِلَى وَصْفِ الْأَتْرَاكِ) كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْمًا كَانُوا
وُجُوهُهُمْ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ^(٢) ، يَلْبَسُونَ الْمَرَقَ وَالْدِّيَبَاجَ^(٣) ، وَيَعْتَقِبُونَ
الْخَيْلَ الْعِتَاقَ^(٤) . وَيَكُونُ هُنَاكَ اسْتِحْرَارُ قَتْلِ حَتَّى^(٥) يَشِي الْمَجْرُوحُ عَلَى
الْمَقْتُولِ ، وَيَكُونُ الْمُفْلِتُ أَقْلَ مِنَ الْمَأْسُورِ (فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ :
لَقَدْ أُعْطِيَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِلْمُ الْغَيْبِ ، فَضَحِكَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَالَ
لِلرَّجُلِ وَكَانَ كَلْبِيًّا) : يَا أَخَا كَلْبٍ لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ
تَعْلَمُ مِنْ ذِي عِلْمٍ . وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا عَدَدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ
« إِنْ اللَّهُ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ » الْآيَةَ ، فَيَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ

الخشب من حائط الدار إلى الطريق بحيث لا يصل إلى جدار آخر يقابله وإلا فهو الساباط،
ويختلفان في أن الجناح توضع له أعمدة من الطريق بخلاف الروشن، وخراطيمها
ما يعمل من الاخشاب والبوارى بارزة عن السقوف لوقاية الغرف عن الأمطار وشعاع
الشمس. أو الخراطيم هي الميازيب تطلّى بالقار على طول نحو خمسة أذرع أو أزيد
(١) أولئك أصحاب الزنجى لأنهم عبيد (٢) في القاموس أى التى يطرق بعضها على
بعض كالنعل المطرقة أى المخصوصة، وهو عجز عن التعبير، والأحسن أن يقال أى التى
الرق بها الطراق - ككتاب - وهو جلد يقور على مقدار الترس ثم يلزق به (٣) السرق
- بالتحريك - شقق الحرير الأبيض أو هو الحرير عامة (٤) يعتقبون : يحتبسون كرائم
الخيال ويمنعونها غيرهم (٥) استعحرار القتل : اشتداده

أَوْ أَتَانِي، وَقَيِّحْ أَوْ جَحِيلٍ، وَسَخِّجْ أَوْ بَحِيلٍ، وَشَقِّجْ أَوْ سَعِيدٍ، وَمَنْ
يَكُونُ فِي النَّارِ حَطَبًا، أَوْ فِي الْجَنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقًا. فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ
الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ نَبِيَّهُ
فَعَلَّمَنِيهِ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَمِيَهُ صَدْرِي، وَتَضُطَّمَ عَلَيْهِ جَوَانِحِي^(١)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذِكْرِ الْمَكَائِيلِ وَالْمَوَازِينِ

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّكُمْ - وَمَا تَأْمُلُونَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا أَثْوِيَاءَ .
مُؤَجَّلُونَ^(٢) وَمَدِينُونَ مُقْتَضُونَ . أَجَلٌ مَنْقُوصٌ وَعَمَلٌ مُحْفُوظٌ . قَرُبٌ
دَائِبٌ مُضِيعٌ^(٣)، وَرُبٌّ كَادِحٌ خَاسِرٌ . وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنِ لَا يَزْدَادُ
أَخِيرٌ فِيهِ إِلَّا إِذْبَارًا، وَلَا أَسْرُ إِلَّا إِقْبَالًا، وَلَا الشَّيْطَانُ فِي هَلَكَ النَّاسِ إِلَّا
طَمَعًا . فَهَذَا أَوَانٌ قَوِيَتْ عُدَّتُهُ^(٤)، وَعَمَتْ مَكِيدَتُهُ، وَأَمَكَنْتْ
فَرِيسَتُهُ^(٥). أَضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيرًا

(١) تضطم: هو افتعال من الضم، أي وتنضم عليه جوانحي . والجوانح الاصلاخ تحت
الترائب مما يلي الصدر . وانضمها عليه اشتغالها على قلب يعيها (٢) أثوياء جمع ثوى
كغنى وهو الضيف (٣) الدائب المداوم في العمل . والكادح الساعى لنفسه يجهد
ومشقة، والمراد من يقصر سعيه على جمع حطام الدنيا (٤) الضمير للشيطان (٥) أمكنت
الفريسة : أي سهلت وتيسرت

يُكَابِدُ فَقْرًا، أَوْ غِنًى بَدَلَ نِعْمَةِ اللَّهِ كُفْرًا، أَوْ بِخَيْلٍ اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللَّهِ
وَفَرًا، أَوْ مُتَمَرِّدًا كَانَ بِأُذُنِهِ عَنْ مَتِيعِ الْمَوَاعِظِ وَقْرًا. أَيْنَ خِيَارُكُمْ وَصُلْحَاؤُكُمْ
وَأَيْنَ أَخْرَارُكُمْ وَصُمَحَاؤُكُمْ وَأَيْنَ الْمُتَوَرَّغُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ، وَالْمُتَزَهُونَ
فِي مَذَاهِبِهِمْ. أَلَيْسَ قَدْ ظَنَّمُوا جَمِيعًا عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا الدُّنْيَةِ وَالْعَاجِلَةِ الْمُنْفَصَةِ.
وَهَلْ خُلِقْتُمْ إِلَّا فِي حُسْنَالَةٍ^(١) لَا تَلْتَقِي بِذَمِّهِمُ الشُّفْتَانِ، اسْتِصْغَارًا لِقَدْرِهِمْ،
وَذَهَابًا عَنْ ذِكْرِهِمْ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. ظَهَرَ الْفَسَادُ فَلَا مُنْكَرَ
مُغَيِّرٍ، وَلَا زَاجِرٍ مُزْدَجِرٍ. أَفَبِهَذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللَّهَ فِي دَارِ
قُدْسِهِ، وَتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَاءِهِ عِنْدَهُ؟ هِيَئَاتَ لَا يُخَدِّعُ اللَّهُ عَنْ جَنَّتِهِ،
وَلَا تُتَالِ مَرَضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ. لَمَنْ اللَّهُ الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ النَّارِكِينَ لَهُ،
وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لِأَبِي ذَرٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ مَا خَرَجَ إِلَى الرَّبْذَةِ^(٢)

يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ غَضِيتَ لِلَّهِ فَارْجُ مَنْ غَضِيتَ لَهُ. إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ
عَلَى دُنْيَاكُمْ وَخَفَتَهُمْ عَلَى دِينِكَ، فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ،

(١) الحُسْنَالَةُ - بالضم - الردىء من كل شيء . والمراد قزم الناس وصغراء النفوس

(٢) محرقة : موضع على قرب من المدينة المنورة فيه قبر أبي ذر الغفاري رضي الله عنه

والذي أخرجه إليه الخليفة الثالث رضي الله عنه

وَأَهْرُبُ مِنْهُمْ يَخِيفْتُهُمْ عَلَيْهِ . فَمَا أَخَوْجَهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ وَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا
 مَنَعُوكَ . وَسَتَعْلَمُ مِنَ الرَّابِعِ غَدًا ، وَالْأَكْثَرُ حُسْدًا . وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَيْنِ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتَقَا ثُمَّ اتَّقَى اللَّهُ لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجًا ، وَلَا
 يُؤْنِسُكَ إِلَّا الْخُلُقُ ، وَلَا يُوحِشُكَ إِلَّا الْبَاطِلُ . فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ
 لَأَحْبَبُوكَ ، وَلَوْ قَرَضْتَ مِنْهَا لَأَمْنُوكَ ^(١) .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّفُوسُ الْمُخْتَلِفَةُ وَالْقُلُوبُ الْمُتَشَتِّتَةُ . الشَّاهِدَةُ أَبْدَانَهُمْ ،
 وَالْعَائِيَةُ عَنْهُمْ عُقُولَهُمْ ، أَظَارُكُمْ عَلَى الْحَقِّ ^(٢) وَأَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ تُقَوِّرُ
 الْمِغْزَى مِنْ وَغْوَعَةِ الْأَسَدِ ، هَيْهَاتَ أَنْ أَطْلَعَ بِكُمْ سَرَارَ الْعَدْلِ ^(٣) ، أَوْ
 أَقِيمَ أَعْوَجَاجِ الْحَقِّ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنْ مَافَسَةٍ
 فِي سُلْطَانٍ وَلَا أَلِيمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْخَطَايِمِ ، وَلَكِنْ لِنَزْدِ الْمَعَالِمِ
 مِنْ دِينِكَ ، وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ . فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ
 عِبَادِكَ ، وَتُقَامَ الْمُعْطَلَةُ مِنْ حُدُودِكَ . اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنْابَ وَسَمِعَ

(١) لو فرضت منها: لو قطعت منها جزءا واختصت به نفسك أي لو رضيت أن تنال منها
 (٢) أظاركم: أعطفكم (٣) السرار كسحاب في الأصل : آخر ليلة من الشهر، والمراد الظلمة أي
 أن أطلع بكم شارفاً يكشف عما عارض على العدل من الظلمة ، كما يدل على هذا قوله: أو
 أقيم اعواج الحق، فإن الحق لا اعوجاج فيه ، ولكن قوماً خلطوه بالباطل، فهذا ما أصابه

وَأَجَابَ ، لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالصَّلَاةِ
وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى الْفُرُوجِ وَالْدِّمَاءِ
وَالْمَغَانِمِ وَالْأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ فَتَكُونَ فِي أُمُورِهِمْ
نَهْمَةٌ^(١) ، وَلَا الْجَاهِلُ فَيُضِلُّهُمْ بِجَهْلِهِ ، وَلَا الْجَانِي فَيَقْطَعُهُمْ بِجَفَائِهِ ، وَلَا
الْخَائِفُ لِلدَّوْلِ^(٢) فَيَتَخَذَ قَوْمًا دُونَ قَبْوِمٍ ، وَلَا الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ
فَيَذْهَبَ بِالْحَقُوقِ وَيَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِيعِ^(٣) ، وَلَا الْمُعْطَلُ لِلِسُنَّةٍ
فِيهِكَ الْأُتَمَّةُ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَأَعْطَى ، وَعَلَى مَا أَبْلَى وَابْتَلَى^(٤) . الْبَاطِنُ لِكُلِّ
خَفِيَّةٍ . الْخَاضِرُ لِكُلِّ سَرِيرَةٍ . الْعَالِمُ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ وَمَا تَخُونُ
الْمُيُونُ . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا نَجِيْبُهُ وَبَعِيْثُهُ^(٥) شَهِادَةٌ
يُؤَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِعْلَانُ وَالْقَلْبُ اللِّسَانُ (مِنْهَا) فَإِنَّهُ وَاللَّهِ الْجِدُّ لَا

من اعوجاج (١) النهمة - بالفتح - افراط الشهوة والمبالغة في الحرص (٢) الخائف - من أي الجور والظلم . والدول : جمع دولة بالضم هي المال لأنه يتداول أي ينتقل من يد ليد . والمراد من يخيف في قسم الأموال فيفضل قوماً في العطاء على قوم بلا موجب للتفضيل (٣) المقاطع : الحدود التي عينها الله لها (٤) الا بلاء : الاحسان . والالعام . والابتلاء الامتحان (٥) مصطفاه ومبعوثه

الْلَيْبُ ، وَخُلِقَ لَا الْكَذِبُ . وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيهِ ^(١)
وَأَعْجَلَ حَادِيهِ . فَلَا يَفْرُتُكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ ^(٢) ، فَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ
كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ الْمَالَ . وَحَذِرَ الْإِقْلَالَ وَأَمِنَ الْعَوَاقِبَ ، طُولَ أَمَلٍ ^(٣)
وَأُسْتَبْعَادَ أَجَلٍ ، كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَازَعَجَهُ عَنْ وَطْنِهِ ، وَأَخَذَهُ مِنْ
مَأْمِنِهِ ، نَحْمُولًا عَلَى أَعْوَادِ الْمَنِيَا ، يَتَعَاطَى بِهِ الرِّجَالُ الرِّجَالَ ، حَمَلًا عَلَى
الْمَنَاقِبِ وَإِمْسَاكَ بِالْأَنَامِلِ . أَمَّا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَأْمُلُونَ بَعِيدًا وَيُنُونُ
مَشِيدًا وَيَجْمَعُونَ كَثِيرًا ، أَصْبَحَتْ يُيُوثُهُمْ قُبُورًا ، وَمَا جَمَعُوا بُورًا .
وَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ ، وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ ، لَا فِي حَسَنَةٍ
يَزِيدُونَ ، وَلَا مِنْ سَيِّئَةٍ يُسْتَعْتَبُونَ . فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَى قَلْبُهُ بِرَزْمِهِ ^(٤)
وَفَازَ عَمَلُهُ . فَاهْتَبِلُوا هَبْلَهَا ، وَاعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا ^(٥) . فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ
لَكُمْ دَارَ مُقَامٍ ، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازًا لِيَتَزَوَّدُوا مِنْهَا الْأَعْمَالُ إِلَى
دَارِ الْقَرَارِ . فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَازٍ ^(٦) . وَقَرَّبُوا الظُّهُورَ لِلزِّيَالِ

(١) أى أن الداعي إلى الموت قد أسمع بصوته كل حي ، فلاحى إله هو يعلم أنه يموت . وأعجل حاديه
أى أن الحادى لسير المنيا إلى منازل الأجسام لاختلافها من سكنة الأرواح قد أعجل المدبرين عن
تدبيرهم وأخذهم قبل الاستعداد لرحيلهم (٢) لا تغتر بكثرة الأحياء فكلما رأيت حيا زعمت
أنك باق مثله (٣) طول مفعول لأجله ، أى كان منه ذلك لطول الأمل الخ (٤) برز رزمه
على أقرانه أى فاقهم . والمهل : التقدم فى الخير ، أى فاق تقدمه إلى الخير على تقدم
غيره (٥) اهتبل الصيد : طلبه ، وكلمة الحكمة : اغتتمها ، والضيم فى هبلها للتقوى
لا للدنيا ، أى اغتتموا خير التقوى (٦) الوفز - ويحرك - : العجلة ، وجعه أوفاز ، أى كونوا

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأَتَقَدَّتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ بِأَرْمَتَيْهَا ، وَقَدَفَتْ إِلَيْهِ السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُونَ مَقَالِيدَهَا^(١) ، وَسَجَدَتْ لَهُ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ الْأَشْجَارُ النَّاصِرَةُ .
وَقَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا النَّيْرَانَ الْمُضِيئَةَ^(٢) ، وَآتَتْهُ كُلُّهَا بِكَلِمَاتِهِ
الْشَّامِ الْيَانِعَةِ (مِنْهَا) وَكِتَابُ اللَّهِ يَبِينُ أَظْهَرَ كَيْفَ لَا يَقْبَلُ لِسَانُهُ ،
وَيَبْتَلِي لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ ، وَعِزُّهُ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ (مِنْهَا) أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ
فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَتَنَازُعٍ مِنَ الْأَلْسُنِ ، فَقَفَى بِهِ الرُّسُلُ ، وَخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ ،
فَجَاهَدَ فِي اللَّهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ وَالْمَادِلِينَ بِهِ (مِنْهَا) وَإِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ
الْأَعْمَى^(٣) ، لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئًا ، وَالْبَصِيرُ يَنْقُذُهَا بِصَرِّهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ
الدَّارَ وَرَاءَهَا . فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ ، وَالْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ . وَالْبَصِيرُ
مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ ، وَالْأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّدٌ . (مِنْهَا) وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا
وَيَكَادُ صَاحِبُهُ يَشْبَعُ مِنْهُ وَيَمْلَأُهُ إِلَّا الْحَيَاةُ فَإِنَّهُ لَا يَجِدُهُ فِي الْمَوْتِ
رَاحَةً^(٤) . وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ ،

منها على استعجال ، والظهور : ظهور المطالباء ، أى أحضرها للزبيل أى فراق الدنيا
(١) مقاليدها - جمع مقلاد - وهو المفتاح (٢) أى أن الأشجار أشعلت النيران المضيئة
من قضبانها أى أغصانها . وقوله بكلماته أى بأوامره التكوينية ، والضاير لله سبحانه
(٣) يشير إلى أن من يقصر نظره على الدنيا فكأنه لم يبصر شيئاً فهو بمنزلة الأعمى (٤) لا يجد

وَبَصَرٌ لِّلْعَيْنِ الْعَمْيَاءِ ، وَسَمْعٌ لِّلْأُذُنِ الصَّمَاءِ ، وَرِئٌ لِّلظَّمَانِ فِيهَا النَّعْيُ كُلُّهُ وَالسَّلَامَةُ . كِتَابُ اللَّهِ تُبْصِرُونَ بِهِ ، وَتَنْطِقُونَ بِهِ ، وَتَسْمَعُونَ بِهِ وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ . لَا يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ ، وَلَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللَّهِ . قَدْ أَصْطَلَحْتُمْ عَلَى الْغِلِّ فِيمَا يَبْنِيكُمْ ^(١) ، وَبَنَيْتِ الْمَرْعَى عَلَى دِمْنِكُمْ . وَتَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ الْأَمْوَالِ ، وَتَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ الْأَمْوَالِ . لَقَدْ اسْتَهَانَ بِكُمْ الْخَلِيفَةُ ^(٢) ، وَتَاهَ بِكُمْ الْغُرُورُ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ

في الموت راحة حيث لم يهيء من العمل الصالح الباقي ما يكسبه السعادة بعد الموت . قال وإنما ذلك أي شعور الانسان بخيفة ما بعد الموت بمنزلة حكمة واعظة تنبيه من غفلة الغرور ونبهته إلى خير العمل ، ثم بعد بيانه لما يجده الانسان في نفسه من خيفة ما وراء الموت ولما يرشد اليه ذلك الوجدان أخذ يبين الوسيلة الموصلة إلى منجاة مما يخشاه القلب وتتوجس منه النفس ، وانها التمسك بكتاب الله الذي بين أوصافه ، وبهذا التفسير التأم الكلام واندفعت حيرة الشارحين في هذا المقام . وقوله كتاب الله جملة مستأنفة أي هذا كتاب الله فيه ما تحتاجون اليه مما هدركم الفطرة إلى طلبه (١) الفصل : الحقد . والاصطلاح عليه : الاتفاق على تمكينه في النفوس . وقوله بنت المرعى على دمنكم تأكيد وتوضيح للحملة قبلها . والدمن بكسر ففتح : جمع دمنة بالكسر وهي الحقد القديم . وبنيت المرعى عليه استتاره بظواهر النفاق وزينة الخداع ، وأصل الدمن السرقين وما يكون من أرواث الماشية وأبوالها ، وسميت بها الأحقاد لأنها أشبه شيء بها ، قد تنبت عليها الخضر وهي على ما فيها من قدر . وهذا كلام ينبي به حالهم مع وجود كتاب الله ومرشد الالهام (٢) استهام أصله من هام على وجهه إذا خرج لا يدري أين يذهب أي أخرجكم الشيطان من نور الفطرة وضياء

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدْ شَاوَرَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي الْخُرُوجِ إِلَى غَزْوِ الرُّومِ بِنَفْسِهِ
وَقَدْ تَوَكَّلَ اللَّهُ لِأَهْلِ هَذَا الدِّينِ بِإِعْزَازِ الْحُوْزَةِ ^(١)، وَسِتْرِ الْعَوْرَةِ.
وَالَّذِي نَصَرَهُمْ وَهُمْ قَلِيلًا لَا يَنْتَصِرُونَ، وَمَنْعَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَمْتَنِعُونَ؛

حَيْثُ لَا يَمُوتُ

إِنَّكَ مَتَى تَسِرَ إِلَى هَذَا الْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ فَتَلْقَهُمْ بِشَخْصِكَ فَتَكُفُّ لَا تَكُنْ
لِلْمُسْلِمِينَ كَأَنفَةٍ دُونَ أَقْصَى بِلَادِهِمْ ^(٢). لَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ
إِلَيْهِ. فَأَبْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مَحْرَبًا، وَأَخْفِزْ مَعَهُ أَهْلَ الْبَلَاءِ وَالنَّصِيحَةِ ^(٣)،
فَإِنْ أَظْهَرَ اللَّهُ فَذَلِكَ مَاتِحِبٌّ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى كُنْتَ رِدَةً لِلنَّاسِ ^(٤)
وَمَثَابَةً لِلْمُسْلِمِينَ.

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٥)

وَقَدْ وَقَعَتْ مُشَاجَرَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُثْمَانَ فَقَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ الْأَخْنَسِ
لِعُثْمَانَ أَنَا أَكْفِيكَهُ فَقَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ لِلْمُغِيرَةِ:
يَا بْنَ اللَّيْلِ الْأَنْتَرِ، وَالشَّجَرَةَ الَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا وَلَا فَرْعَ، أَنْتَ

الشريعة إلى ظلمات الضلال والحيرة (١) الحوزة : ما يحوزه المالك ويتولى حفظه.
واعزاز حوزة الدين : حاجتها من تغلب أعدائه (٢) كافقة : عاصمة يلجأون إليها، من
كنفه إذا صانه وستره (٣) اخفز من حفزته - كضربته - إذا دفعته وسقته سوقا شديداً.
وأهل البلاء : أهل المهارة في الحرب مع الصدق في القصد والجرأة في الأقدام . والبلاء :
هو الاجادة في العمل واحسانه (٤) الردء - بالكسر - الملجأ . والمثابة : المرجع (٥) قالوا

تَكْفِينِي؟ وَاللَّهِ مَا عَزَّ اللَّهُ مَنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ، وَلَا قَامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهَضُهُ. اخْرُجْ
عَنَّا أَبَدًا اللَّهُ نَوَاكُ^(١)، ثُمَّ أَبْلِغْ جُهْدَكَ فَلَا أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمْ تَكُنْ يَتِّعُكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً، وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِدًا. إِنِّي
أُرِيدُكُمْ لِلَّهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ. أَيُّهَا النَّاسُ، أَعِينُونِي عَلَى
أَنْفُسِكُمْ، وَابْتِغَاءُ اللَّهِ لِأَنْصِفَ الظُّلُومَ مِنَ ظَالِمِهِ، وَلَا تُؤَدِّنَ الظَّالِمَ
بِحِزَامَتِهِ^(٢)، حَتَّى أُورِدَهُ مِنْهُلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهًا

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي مَعْنَى طَلْعَةِ وَالتَّزْيِينِ

وَاللَّهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَى مُنْكَرًا، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصْفًا^(٣).
وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقَّاهُمْ تَرَكَوهُ، وَدَمَّاهُمْ سَفَكَوهُ. فَإِنْ كُنْتُ
شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنْهُ، وَإِنْ كَانُوا وَلَوْهُ دُونِي فَمَا أُلْطِئَةُ

كان نزاع بين المؤمنين وبين عثمان، فقال المغيرة بن الأخنس بن شريق
لعثمان أنا أ كفيكه، فقال على ابن اللعين الخ. وإنما قال ذلك لأن أباه كان من
زُوس المنافقين، ووصفه بالآثر - وهو من لا عقب له - لأن ولده هذا كلا ولد (١) النوى
هنا بمعنى الدار (٢) الخزامة - بالكسر - حلقة من شعر تجعل في وترة أنف البعير
ليشد فيها الزمام ويسهل قياده (٣) النصف - محركة - اسم من الانصاف

إِلَّا قَبْلَهُمْ^(١). وَإِنَّ أَوَّلَ عَذْلِهِمْ لِلْحُكْمِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ. إِنْ مَعِيَ بَصِيرَتِي
مَا لَبَسْتُ وَلَا لُبِسَ عَلَيَّ. وَإِنَّهَا لِلْفِتْنَةِ الْبَاغِيَةِ فِيهَا الْحَمَاءَ وَالْحَمَةَ^(٢)، وَالشُّبْهَةَ
الْمُنْغِذِفَةَ^(٣). وَإِنَّ الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ. وَقَدْ زَاكَ الْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ^(٤)،
وَأَنْتَقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَفْعِهِ^(٥) وَأَيْمُ اللَّهِ لَا أُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضًا^(٦) أَنَا مَاتِحُهُ لَا
يُصْدِرُونَ عَنْهُ بَرِيٍّ، وَلَا يَعْبُونَ بَعْدَهُ فِي حَسَنِي^(٧)

(مِنْهُ) فَأَقْبَلْتُمْ إِلَى إِقْبَالِ الْعُودِ الْمَطَافِيلِ عَلَى أَوْلَادِهَا^(٨)، تَقُولُونَ
الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ. قَبِضْتُ كَفِّي فَنَسَطْتُموها، وَنَازَعْتُكُمْ يَدَيَّ فَحَازَتْموها

(١) الطلبة - بالكسر - ما يطالب به من النار (٢) المراد بالجهاننا مطلق القريب والنسب وهو
كناية عن الزيرفانه من قرابة النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمته. قالوا وكان النبي أخبر علياً أنه
سقبني عليه فتمت فيها بعض أجهاته وإحدى زوجاته . والجمعة بضم ففتح كناية عنها .
وأصلها الحية أو ابرة اللاسعة من الهوام. والله أعلم (٣) أغدفت المرأة قناعها : أرسلته
على وجهها . وأغدف الليل : أرخى سدوله . يعنى أن شبهة الطلب بدم عثمان شبهة ساترة
للحق (٤) زاح يزيج زيحاً وزيحاناً : بعد وذهب ، كازراح . والنصاب الأصل ، أى قد انقاع
الباطل عن مغرسه (٥) الشغب - بالفتح - تهيج الشر (٦) أفرط الحوض : ملاء حتى
فاض . والمراد حوض المنية . وماتحه : أى نازع مائه لأسقيهم (٧) عب : شرب بلا
تنفس . والحسى - بفتح الحاء ويكسر - سهل من الأرض يستنقع فيه الماء ، أو يكون
غليظ من الأرض فوقه رمل يجمع ماء المطر فتحفر فيه حفرة لتزح منها ماء وكلما
نزحت دلوا جعت أخرى ، فتلك الحفرة حسي ، يريد أنه يسقيهم كأساً لا يتجرعون
سواها (٨) العود - بالضم - جمع عائدة وهى الحديثة النتاج من الظاء والابل ، أو كل
أشئ . والمطافيل : جمع مطفل - بضم الميم وكسر الفاء - ذات الطفل من الانس والوحش

اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي، وَنَكَثَا بَيْعَتِي، وَالْبَأْسَ النَّاسَ عَلَى^(١). فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا، وَلَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أُرَمَا، وَأَرِهْمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَلَا وَعَمَلَا. وَلَقَدْ اسْتَنْبَتُهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ^(٢)، وَاسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوِقَاعِ، فَغَمَطَا النِّعْمَةَ وَرَدَّا الْعَاقِبَةَ^(٣)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُرِي فِيهَا إِلَى ذِكْرِ الْمَلْحَمِ

يُعْطِفُ الْهُوَى عَلَى الْهُدَى^(١) إِذَا عَطَفُوا الْهُدَى عَلَى الْهُوَى، وَيُعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ
(مِنْهَا) حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ بَادِيًا نَوَاجِذُهَا^(٢)، مَمْلُوءَةٌ
أَخْلَافُهَا، حُلُولًا رِضَاعُهَا، عُلُقَمًا عَاقِبَتُهَا. أَلَا وَفِي غَدٍ - وَسَيَاثِي غَدٍ - بِمَا
لَا تَعْرِفُونَ - يَأْخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَالَهَا عَلَى مَسَاوِي أَعْمَالِهَا^(٣)

(١) التَّالِبُ : الْإِسَادُ (٢) اسْتَنْبَتُهُمَا مِنْ ثَابٍ بِالنَّاءِ إِذَا رَجَعَ ، أَيْ اسْتَرْجَعْتُهُمَا
(٣) أَمَامَ الْوِقَاعِ - كَكِتَابٍ - قَبْلَ الْمَوَاقِعَةِ بِالْحَرْبِ . وَغَمَطَ النِّعْمَةَ : جَمَعَهَا (٤) يُعْطِفُ
الْخَبَرَ عَنْ قَائِمٍ يَنْادِي بِالْقُرْآنِ وَيَطَالِبُ النَّاسَ بِاتِّبَاعِهِ وَرَدَّ كُلَّ رَأْيٍ إِلَيْهِ (٥) النُّوَاجِذُ :
أَفْصَى الْأَضْرَاسِ أَوْ الْأَنْيَابِ . وَالْأَخْلَافُ : جَمْعُ خَلْفٍ بِالْكَسْرِ وَهُوَ الضَّرْعُ . وَبَدُو
النُّوَاجِذُ كَنَيَاةٍ عَنْ شِدَّةِ الْاحْتِدَامِ ، فَإِنَّمَا نَبَدُو مِنَ الْأَسَدِ إِذَا اشْتَدَّ غَضَبُهُ . وَامْتِلَاءُ
الْأَخْلَافِ غَزَارَةٌ مَا فِيهَا مِنَ الشَّرِّ . وَحُلَاوَةُ الرِّضَاعِ اسْتِطَابَةُ أَهْلِ النُّجْدَةِ وَاسْتِعْدَادُهُمْ
لِمَا يَنْالُهُمْ مِنْهَا . وَمِرَارَةُ الْعَاقِبَةِ بِمَا يَصِيرُ إِلَيْهِ الظَّالِمُونَ وَبَشُّ الْمَصِيرِ (٦) إِذَا اتَّهَتْ

وَتُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضُ أَفَالِيدَ^(١) كَبِدِهَا ، وَتُلْقِي إِلَيْهِ سِلَماً مَقَالِيدَهَا .
فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَذَلُ السَّيْرَةِ . وَيُخَيِّ مَيْتَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ .
(مِنْهَا) كَأَنِّي بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانِ ،
فَعَطَفَ عَلَيْهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ^(٢) ، وَفَرَشَ الْأَرْضَ بِالرُّهُوسِ . قَدْ فَقَرْتُ
فَاعْرِئُهُ ، وَثَقُلْتُ فِي الْأَرْضِ وَطَأْتُهُ . بَعِيدُ الْجَوْلَةِ ، عَظِيمُ الصَّوْلَةِ . وَاللَّهُ
لَيَشْرِدَنَّكُمْ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ^(٣) حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ
كَالْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ ، فَلَا تَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى تَوُوبَ إِلَى الْعَرَبِ
عَوَازِبُ أَحْلَامِهَا^(٤) . فَالْزُمُوا السُّنَنَ الْقَائِمَةَ وَالْآثَارَ الْبَيِّنَةَ وَالْعَهْدَ
الْقَرِيبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النُّبُوَّةِ . وَاعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسْنِي لَكُمْ
طُرُقَهُ لِيَتَّبِعُوا عَقِبَهُ^(٥) .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي وَقْتِ الشُّورَى

لَمْ يُسْرِعْ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةِ حَقٍّ ، وَصَلَةِ رَجِيمٍ ، وَعَائِدَةٍ كَرِيمٍ

الحرب حاسب الوالى القائم كل عامل من عمال السوء على مساوى أعمالهم ، وانما كان
الوالى من غيرها لانه برى من جرمها (١) أفاليد: جمع أفلاذ ، جمع فلذة : وهى القطعة
من الذهب والفضة (٢) الضروس: الناقة السبيطة الخلق نعض حالبا (٣) لبشر دنكم ، أى ليفرنكم
(٤) عوازب أحلامها : غائبات عقولها (٥) يسنى : يسهل

فَاسْمَعُوا قَوْلِي ، وَعُوا مَنَظِقِي . عَسَى أَنْ تَرَوْا^(١) هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هَذَا
الْيَوْمِ تُنْتَضَى فِيهِ السُّيُوفُ ، وَتُخَانُ فِيهِ الْعُهُودُ ، حَتَّى يَكُونَ لَمَنْضُكُمْ
أُيْمَةً لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ ، وَشِيعَةً لِأَهْلِ الْجَهَالَةِ .

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي النَّهْيِ عَنْ عَيْبِ النَّاسِ

وَإِنَّمَا يُنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلَامَةِ^(٢) أَنْ يَرْحَمُوا
أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ ، وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ وَالْحَاجِزَ
لَهُمْ عَنْهُمْ ، فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِي عَابَ أَخًا وَغَيْرَهُ يَبْلُوَاهُ . أَمَا ذَكَرَ
مَوْضِعَ سِتْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ^(٣) مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي عَابَهُ بِهِ .
وَكَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذَلِكَ الذَّنْبَ
بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ فِيمَا سِوَاهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ . وَإِنَّمَا اللَّهُ لَنْ لَمْ يَكُنْ
عَمَاهُ فِي الْكَبِيرِ وَعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ لَجْرَأَتُهُ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ
يَاعْبُدُ اللَّهَ ، لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ فَلَمَلَهُ مَغْفُورٌ لَهُ ، وَلَا
تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ فَلَمَلَكَ مُعَذِّبٌ عَلَيْهِ . فَلَسْكَفُ مَنْ

(١) قوله عسى أن تروا الخ. ابتداء كلام ينفرهم به من عاقبة الامر. وتنتضى: تسل

(٢) الذين أنعم الله عليهم وأحسن صنعه اليهم بالسلامة من الآثام (٣) مما هو أعظم

الخ. بيان للذنوب التي سترها الله عليه

عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ ، وَلَيْكُنِ الشُّكْرُ
شَاغِلًا لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ وَسَدَادَ طَرِيقٍ فَلَا يَسْمَعَنَّ
فِيهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ . أَمَّا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِيَ وَتُخْطِئُ السَّهَامُ وَيَحْبِلُ
الْكَلَامُ^(١) ، وَبَاطِلُ ذَلِكَ يَبُورُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ . أَمَّا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ
الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ (فَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ
هَذَا ، فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ وَوَضَعَهَا بَيْنَ أُذُنِهِ وَعَيْنِهِ ثُمَّ قَالَ) : الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ
سَمِعْتُ وَالْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَيْسَ لَوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ مِنَ الْحُظِّ فِيمَا آتَى
إِلَّا عَمْدَةُ اللَّثَامِ ، وَتَنَاءُ الْأَشْرَارِ ، وَمَقَالَةُ الْجُهَالِ ، مَا دَامَ مُنْعِمًا عَلَيْهِمْ . مَا أَجُودَ
يَدُهُ وَهُوَ عَنْ ذَاتِ اللَّهِ بِحَبِيلٍ ! . فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ ،
وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الصِّيَافَةَ ، وَلْيَفُكْ الْأَسِيرَ وَالْعَانِي ، وَلْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ

(١) بحيل - كيميل - يتغير عن وجه الحق . وفي نسخة بحيك بالكاف - من حاك
القول في القلب - أخذ، والسيف؛ أثر

وَالْعَارِمَ ، وَلْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى الْحُقُوقِ وَالنَّوَائِبِ ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ ، فَإِنَّ
فَوْزًا بِهَذِهِ الْخِصَالِ شَرَفٌ مَكَارِمِ الدُّنْيَا وَدَرَكُ فَضَائِلِ الْآخِرَةِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْإِسْتِسْقَاءِ

أَلَا وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تَحْمِلُكُمْ وَالسَّمَاءَ الَّتِي تَطْلُكُمُ مُطِيعَتَانِ
لِرَبِّكُمُ ، وَمَا أَصْبَحَتَا بِجُودَانِ لَكُمْ بَرَكْتَهُمَا تَوْجَعًا لَكُمْ وَلَا زُلْفَةً
إِلَيْكُمْ وَلَا لِيخِيرَ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ ، وَلَكِنْ أَمِيرَنَا بِمَنَافِعِكُمْ فَاطَاعَتَا ،
وَأَقِيمَتَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَقَامَتَا

إِنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ وَحَبْسِ
الْبَرَكَاتِ ، وَإِعْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ ، لِيَتُوبَ تَائِبٌ وَيُقْلَعَ مُقْلِعٌ ،
وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ ، وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ . وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْإِسْتِغْفَارَ
سَبَبًا لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَرَحْمَةً لَخَلْقِهِ فَقَالَ : « اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ
غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ » فَارْجِعْ
اللَّهُ أَمْرًا اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ ، وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ ، وَبَادَرَ مَنِيئَتَهُ

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَسْتَارِ وَالْأَكْنَانِ ، وَبَعْدَ عَجِيجِ
 الْبَهَائِمِ وَالْوِلْدَانِ ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ ، وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ ، وَخَائِفِينَ
 مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ . اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ ،
 وَلَا تُهْلِكْنَا بِالسَّيْنِ (١) ، وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ . اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ حِينَ
 الْجَلَاتِ الْمَضَائِقُ الْوَعْرَةُ ، وَأَجَاءَنَا الْمَقَاحِطُ الْمُجْدِبَةُ (٢) ، وَأَعَيْنَا
 الْمَطَالِبُ الْمُتَعَسِّرَةُ ، وَتَلَاَحَمَتْ عَلَيْنَا الْفِتَنُ الْمُسْتَضْعَبَةُ . اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ
 أَنْ لَا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ ، وَلَا تَقْلِبْنَا وَاجِهِينَ (٣) . وَلَا تُخَاطِبُنَا بِذُنُوبِنَا (٤) ،
 وَلَا تُقَاسِسْنَا بِأَعْمَالِنَا . اللَّهُمَّ أَنْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ ، وَبَرِّكَتَكَ ، وَرِزْقَكَ
 وَرَحْمَتَكَ . وَأَسْقِنَا سُقْيَا نَافِعَةً مُرْوِيَةً مُعْشِبَةً تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ ، وَتُحْيِي
 بِهَا مَا قَدْ مَاتَ . نَافِعَةً الْحَيَا (٥) ، كَثِيرَةً الْمُجْتَنَى ، تُرْوِي بِهَا الْقِيَمَانَ (٦) ، وَتَسِيلُ
 الْبُطْنَانَ (٧) . وَتَسْتَوْرِقُ الْأَشْجَارَ ، وَتُرْخِصُ الْأَسْعَارَ إِنَّكَ عَلَى مَا نَشَاءُ قَدِيرٌ

(١) جمع سنة - محركة - بمعنى الجذب والقحط (٢) أجهته اليه: أجهته اليه (٣) واجين : كاسفين
 حزينين (٤) لا تخاطبنا ، أى لا تدعنا باسم المذنبين ولا تجعل فعلك بنا مناسباً لأعمالنا
 (٥) الحيا : الحصب والمطر (٦) جمع قاع : الأرض السهلة الماطمئة قد انفرجت عنها
 الجبال والأكام (٧) جمع بطن : بمعنى ما انخفض من الأرض في ضيق

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بِمَتَّ اللَّهُ رُسُلَهُ إِنَّمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ ، لِئَلَّا تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ . فَدَعَاَهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ . أَلَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ كَشْفَةً ^(١) ، لَا أَنَّهُ جَهَلَ مَا أَخْفَوَهُ مِنْ مَصُونٍ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونٍ صَمَائِرِهِمْ ، وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ، فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً وَالْعِقَابُ بَوَاءً ^(٢) .

أَيُّنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا ، كَذِبًا وَبَغْيًا عَلَيْنَا أَنْ رَفَعَنَا اللَّهُ وَوَضَعَهُمْ ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ ، وَأَدْخَلْنَا وَأَخْرَجَهُمْ . بِنَائِلِ سَمْعِي الْهَدَى وَيُسْتَجْلَى الْعَمَى . إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ . لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ ، وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ (مِنْهَا) آثَرُوا عَاجِلًا وَأَخَّرُوا أَجَلًا ، وَتَرَكُوا صَافِيًا وَشَرِبُوا آجِنًا ^(٣) . كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَالِقَهُ ، وَبَسَى بِهِ وَوَافَقَهُ ^(٤) ، حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ ، وَصُبِغَتْ بِهِ خِلَاقَتُهُ ^(٥) . ثُمَّ أَقْبَلَ مُزِيدًا كَالْتِيَارِ

(١) كشف الخلق : علم حالهم في جميع أطوارهم (٢) بواء مصدر باء فلان بفلان أى قتل به ، والعقاب قصاص (٣) الآجن : الماء المتغير اللون والطعم (٤) بسى به - كفروح - استأنس به (٥) ملكانه الراسخة في نفسه

لَا يَبَالِي مَا غَرَّقَ . أَوْ كَوَفَّعِ النَّارَ فِي الْهَشِيمِ لَا يَحْفَلُ مَا حَرَّقَ ^(١) . أَيْنَ
الْمَقُولُ الْمُسْتَضْبِحَةُ بِمَصَائِيحِ الْهَدَى ، وَالْأَبْصَارُ اللَّاحِظَةُ إِلَى مَنَارِ
التَّقْوَى . أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وَهَبَتْ لِلَّهِ وَعُوقِدَتْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ . ازْدَحَمُوا
عَلَى الْخَطَايَا وَتَشَاخَوْا عَلَى الْحُرَامِ . وَزَفِّعْ لَهُمْ عِلْمَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَصَرَفُوا
عَنِ الْجَنَّةِ وَجُوهَهُمْ ، وَأَقْبَلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ . دَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَتَفَرَّوْا
وَوَلَّوْا . وَدَعَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ
الْمَنَائِيَا ^(٢) ، مَعَ كُلِّ جَرَعَةٍ شَرَقْتُ ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَمَصْتُ . لَا تَتَالَوْنَ مِنْهَا
نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى ، وَلَا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْمًا مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا بِهَذَا .
آخِرَ مِنْ أَجَلِهِ . وَلَا تُجَدِّدْ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِنِفَادٍ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ .
وَلَا يُخَيِّ لُهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ . وَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلُقَ
لَهُ جَدِيدٌ ^(٣) . وَلَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مُحْصُودَةٌ . وَقَدْ مَضَتْ
أُصُولُ نَحْنُ فُرُوعُهَا فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ (مِنْهَا) وَمَا أُحْدِثَتْ
بِدْعَةٌ إِلَّا تَرِكَ بِهَا سُنَّةٌ . فَاتَّقُوا الْبِدْعَ وَالْزَمُوا الْمُهَيْجَ ^(٤) . إِنَّ

(١) لا يحفل - كيضرب - لا يبالى (٢) تنتضل فيه: تتراى إليه المنايا (٣) يخلق - كيستمع
وينصر ويكرم - يبلى (٤) المهيج - كالقعد - الطريق الواضح

عَوَازِمَ الْأُمُورِ أَفْضَلُهَا^(١) . وَإِنْ مُخَذَّاتُهَا شِرَارُهَا

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(وَقَدْ اسْتَشَارَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي الشُّخُوصِ لِقِتَالِ الْفُرْسِ بِنَفْسِهِ)

إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلَا خِذْلَانُهُ بِكَثْرَةٍ وَلَا قِلَّةٍ . وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ ، وَجُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ وَطَلَعَ حَيْثُ طَلَعَ . وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللَّهِ . وَاللَّهُ مُنْجِزُ وَعْدِهِ وَنَاصِرُ جُنْدِهِ . وَمَكَانُ الْقَيْمِ بِالْأَمْرِ^(٢) مَكَانُ النِّظَامِ مِنَ الْخُرَزِ يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ . فَإِنْ انْقَطَعَ النِّظَامُ تَفَرَّقَ وَذَهَبَ ، ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِخِذَافِيرِهِ أَبَدًا . وَالْعَرَبُ الْيَوْمَ وَإِنْ كَانُوا قَلِيلًا فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالْإِسْلَامِ وَعَزِيزُونَ بِالْاجْتِمَاعِ . فَكُنْ قُطْبًا ، وَاسْتَدِرِ الرَّحَى بِالْعَرَبِ ، وَأَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ ، فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ^(٣) مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا ، حَتَّى يَكُونَ مَا تَدْعُ وَرَاءَكَ مِنَ الْعَوَرَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ

(١) عوازم الأمور : ما تقادم منها وكانت عليه ناشئة الدين ، من قولهم ناقة عوزم - كجعفر - أى عجوز فيها بقية شباب (٢) القائم به بريد الخليفة . والنظام : السالك ينظم فيه الخرز (٣) شخصت : خرجت

إِنَّ الْأَعْلَامَ إِن يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَدًا يَقُولُوا هَذَا أَصْلُ الْعَرَبِ فَإِذَا
 قَطَعْتُمُوهُ اسْتَرْحْتُمْ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ لِكَلْبِهِمْ عَلَيْكَ وَطَمَعِهِمْ فِيكَ.
 فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ الْقَوْمِ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ
 هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ، وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ. وَأَمَّا مَا
 ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيهَا مَضَى بِالْكَثَرَةِ، وَإِنَّمَا
 كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَالْمُؤَنَةِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَبَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْحَقِّ يُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ
 الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ، يَقْرَأُ قَدْ يَنْتَهُ
 وَأَحْكَمَهُ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ، وَلِيَقْرُوا بِهِ إِذْ جَحَدُوهُ،
 وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ. فَتَجَلَّى سُبْحَانَهُ لَهُمْ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ
 يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ، وَخَوْفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ. وَكَيْفَ عَقَّ
 مَنْ عَقَّ بِالثَّلَاثِ^(١)، وَأَخْتَصَدَ مَنْ أَخْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ. وَإِنَّهُ سَيَأْتِي
 عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ وَلَا أَظْهَرَ مِنْ
 الْبَاطِلِ، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ

ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةً أَبُورُ مِنْ الْكِتَابِ إِذَا تَلَّى حَقَّ تِلَاوَتِهِ ، وَلَا أَنْفَقُ مِنْهُ ^(١) ،
 إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ . وَلَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ ،
 وَلَا أَغْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ . فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ ، وَتَنَاسَاهُ حَفِظَتُهُ .
 فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ مَنْفِيَّانِ طَرِيدَانِ ^(٢) ، وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي
 طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ . فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ
 وَلَيْسَ فِيهِمْ ، وَمَعَهُمْ وَلَيْسَ مَعَهُمْ ، لَأَنَّ الضَّلَالَةَ لَا تُوَافِقُ الْهُدَى وَإِنْ اجْتَمَعَا .
 فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ . وَافْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ . كَانَتْهُمْ أَيْمَةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ
 الْكِتَابُ إِمَامُهُمْ . فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا أَسْمُهُ ، وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَاهُ
 وَزَبْرَهُ ^(٣) . وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلِّ مُثَلٍّ ^(٤) ، وَسَمَوْا صِدْقَهُمْ
 عَلَى اللَّهِ فَرِيَةً ^(٥) ، وَجَعَلُوا فِي الْحُسْنَةِ عُقُوبَةَ السَّيِّئَةِ
 وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ ، حَتَّى
 نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ ^(٦) الَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ الْمَعْدِرَةُ ، وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ ، وَتَحُلُّ
 مَعَهُ الْقَارِعَةُ وَالنَّقْمَةُ ^(٧)

(١) أنفق منه : أروج منه (٢) يطردهما وينفيهما أهل الباطل وأعداء الكتاب
 (٣) الزبر - بالفتح - الكتب مصدر كتب (٤) ما مثلوا : أي شنعوا ، وما مصدرية
 (٥) فرية بالكسر أي كذبا (٦) الموت الذي لا يقبل فيه عذر ولا تفيد بعده توبة
 (٧) الفارعة : الداهية المهلكة

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ مَنْ اسْتَنْصَحَ اللَّهَ وَفَّقَ ، وَمَنْ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلًا هُدِيَ
لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ . فَإِنْ جَارَ اللَّهُ آمِنٌ ، وَعَدُوُّهُ خَائِفٌ . وَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ
عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ ، فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ
يَتَوَاضَعُوا لَهُ ، وَسَلَامَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ . فَلَا
تَنْفِرُوا مِنَ الْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِيحِ مِنَ الْأَجْرَبِ ، وَالْبَارِي مِنْ ذِي السُّقْمِ^(١) .
وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ ، وَلَنْ
تَأْخُذُوا بِمِثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ ، وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ
حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ . فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ فَإِنَّهُمْ عَيْنُ الْعِلْمِ
وَمَوْتُ الْجَهْلِ . هُمْ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ ، وَصَمَتُهُمْ عَنْ
مَنْطِقِهِمْ ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ . لَا يُخَالِفُونَ الدِّينَ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ،
فَهُوَ يَنْتَهُمُ شَاهِدٌ صَادِقٌ ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ

(وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذِكْرِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ)

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الْأَمْرَ لَهُ وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ ، لَا يَمْتَنَانِ
إِلَى اللَّهِ بِجَبَلٍ ، وَلَا يَمْدَانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ^(٢) . كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلٌ صَبٍّ

(١) الباري: المعاني من المرض (٢) الضمير لطلحة والزبير . وقوله لا يمتنان : أى لا يمدان ،
والسبب الجبل أيضا

لِصَاحِبِهِ^(١) . وَعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ . وَاللَّهُ لَنُ أَصَابُوا الَّذِي
يُرِيدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ هَذَا نَفْسَ هَذَا ، وَلَيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَى هَذَا . قَدْ قَامَتْ
الْفِتْنَةُ الْبَاطِنِيَّةُ فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ^(٢) . فَقَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ وَقُدِّمَ لَهُمُ
الْخَبَرُ . وَلِكُلِّ ضَلَالَةٍ عِلَّةٌ ، وَلِكُلِّ نَاقِثٍ شُبْهَةٌ . وَاللَّهُ لَا أَكُونُ
كَسْتَمِيعِ الدِّمِ^(٣) يَسْمَعُ النَّاعِي وَيَحْضُرُ الْبَاكِ ثُمَّ لَا يَعْتَبِرُ

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَبْلَ مَوْتِهِ

أَيُّهَا النَّاسُ كُلُّ أَمْرٍ لَاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ . وَالْأَجَلُ مَسَاقُ
النَّفْسِ^(٤) . وَالْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ . كَمْ أَطَرَدَتِ الْأَيَّامُ أَبْجُثْمَاعًا مَكْنُونِ
هَذَا الْأَمْرِ فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ . هَيَّاهُ . عَلِمْتُ نَحْزُونَ . أَمَا وَصِيَّتِي : فَاللَّهُ
لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا . وَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَا تُضِيعُوا سُنَّتَهُ .
أَقِيمُوا هَذِينَ الْعَمُودِينَ ، وَأَوْقِدُوا هَذِينَ الْمَصْبَاحِينَ . وَخَلَاكُمْ ذَمٌّ مَا لَمْ
تَشْرُدُوا^(٥) . حَلَّ كُلُّ أَمْرٍ مِنْكُمْ بِجَهْدِهِ^(٦) . وَخَفَّفَ عَنِ الْجُهْلَةِ .

(١) الضب - بالفتح ويكسر - الحقد (٢) الذين يجاهدون حسبة لله (٣) اللدم :

الضرب على الصدر والوجه عند النياحة (٤) مساق النفس تسوقها إليه أطوار الحياة حتى

نوافيه (٥) برثتم من الذم ما لم تشردوا - كتنصروا - أي تنفروا وتمايلا عن الحق (٦) حل كل

رَبُّ رَحِيمٌ، وَدِينٌ قَوِيمٌ، وَإِمَامٌ عَلِيمٌ. أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ. وَأَنَا
 الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ. وَغَدًا مُفَارِقُكُمْ. غُفَرَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ
 إِنْ تَبَّتِ الْوُطَاةُ فِي هَذِهِ الْمَزَلَّةِ فَذَاكَ. وَإِنْ تَدَحَّضَ الْأَقْدَمُ ^(١)
 فَإِنَّمَا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ أَغْصَانٍ، وَمَهَبَّ رِيَّاحٍ. وَتَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ أَضْمَحَلِّ فِي
 الْجَوْثَمِ مَتَلَفَقُهَا ^(٢)، وَعَفَا فِي الْأَرْضِ مَخْطُهَا. وَإِنَّمَا كُنْتُ جَارًا جَاوَرَكُمْ بِدَنِي
 أَيَّامًا، وَسَتُعْقِبُونَ مِنِّي جُثَّةً خَلَاءَ ^(٣): سَاكِنةٌ بَعْدَ حَرَائِكِ، وَصَامِتَةٌ بَعْدَ
 نُطْقٍ. لِيَعِظْكُمْ هُدُوءِي، وَخُفُوتُ أَطْرَافِي ^(٤)، وَسُكُونُ أَطْرَافِي،
 فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ الْمَنْطِقِ الْبَلِيغِ وَالْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ. وَدَاعِيكُمْ
 وَدَاعُ أَمْرِي مُرْصِدٌ لِلتَّلَاقِ ^(٥)، غَدًا تَرَوْنَ أَيَّامِي وَيُكْشَفُ لَكُمْ
 عَنْ سَرَائِرِي، وَلَتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوعِ مَكَانِي وَقِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي

امرء الخ. هذا وما بعده ماض فصد به الأمر (١) فوله ان تثبت، يريد
 بثبات الوطاة معافاته من جراحه. والمزلة: محل الزلل. ودحضت القدم: زلت وزلقت
 (٢) الأفياء: جمع فيء، وهو الظل ينسخ ضوء الشمس عن بعض الأمكنة. والمتلفق:
 المنضم بعضه على بعض. وعفا: اندرس وذهب. ومخطها: مكان ماخطت في الأرض.
 وضمير متلفقها للغمام. وضمير مخطها للرياح. يريد أنه كان في حال شأنها الزوال فرالت
 وما هو بالعجيب (٣) خالية من الروح (٤) الخفوت: السكون، وأطرافه في الأول عيناه
 وفي الثاني يده وأرأسه ورجلاه (٥) وداعيكم أي وداعي لكم، ومرصد أي منتظر

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يُومِي فِيهَا إِلَى ذِكْرِ الْمَلَامِ

وَأَخَذُوا يَمِينًا وَشِمَالًا طَعَنًا فِي مَسَالِكِ الْغَيِّ ، وَتَرَكَا لِمَذَاهِبِ
الرُّشْدِ . فَلَا تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ . وَلَا تَسْتَبْطِئُوا مَا يَمِجُّ بِهِ
الْغَدُّ . فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنْهُ لَمْ يُدْرِكْهُ . وَمَا أَقْرَبَ
الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ^(١) . يَأْقُومُ هَذَا إِبَانُ وَرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ^(٢) . وَدُنُوهُ
مِنْ طَلْعَةِ مَا لَا تَعْرِفُونَ . أَلَا وَمَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِى فِيهَا بِسِرَاجِ مُنِيرٍ ،
وَيَحْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ لِيَحُلَّ فِيهَا رِبْقًا^(٣) ، وَيُعْتَقَ رِقًا ، وَيَصْدَعَ
شَعْبًا ، وَيَشَعَبَ صَدْعًا^(٤) ، فِي سِتْرَةٍ عَنِ النَّاسِ لَا يُبْصِرُ الْقَائِفُ أَثَرَهُ^(٥)
وَلَوْ تَابَعَ نَظْرَهُ . ثُمَّ لِيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحَذَ الْقَيْنِ النَّصْلَ^(٦) . تُجَلَى
بِالنَّزِيلِ أَبْصَارُهُمْ^(٧) . وَيُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ

(١) تباشيره : أوائله (٢) إبان - بكسر فتشديد - وقت. والدنو : القرب (٣) الربق - بكسر
فسكون - حبل فيه عدة عرى كل عروة ربقة - بفتح الراء - تشد فيه البهم (٤) يفرق
جمع ضلال ويجمع متفرق الحق (٥) القائف الذى يعرف الآثار فيتبعها (٦) يشحذن ،
من شحذ السكين : أى حدها . والقين : الحداد والنصل : حديدة السيف والسكين
ونحوها (٧) تجلى بالنزيل يعودون إلى القرآن وتدبره فيكشف الغطاء عن أبصارهم

وَيُفَبِّقُونَ كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصَّبُوحِ^(١). (مِنْهَا) وَطَالَ الْأَمَدُ بِهِمْ^(٢)
لَيْسَتَكُمْ مِلُوا الْحَزَنَى ، وَيَسْتَوْجِبُوا الْغَيْرَ^(٣) ، حَتَّى إِذَا أُخْلِقُوا
الْأَجَلَ^(٤) ، وَأُسْتَرَّاحَ قَوْمٍ إِلَى الْفِتَنِ ، وَأَسْأَلُوا عَنْ لِقَاحِ حَرِّهِمْ^(٥) . وَلَمْ
يَمْنُوا عَلَى اللَّهِ بِالصَّبْرِ^(٦) . وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا بَذْلَ أَنْفُسِهِمْ فِي الْحَقِّ . حَتَّى
إِذَا وَافَقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ انْقِطَاعَ مُدَّةِ الْبَلَاءِ حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ^(٧) ،
وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَعَظْمِهِمْ . حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَالِهِ رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ . وَغَالَتْهُمْ السُّبُلُ ، وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَايَةِ^(٨)
وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ ، وَتَقَلُّوا
الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أُسَاسِهِ ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ . مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ ،
وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ^(٩) .

فينهضون إلى الحق كما نهض أهل القرآن عند نزوله (١) يفبقون - مبني للجهول -
يسقون كأس الحكمة بالمساء بعد ما شربوه بالصباح . والصبح ما يشرب وقت الصباح .
والمراد أنها تفاض عليهم الحكم الإلهية في حركاتهم وسكناتهم وسرهم وعلانهم
(٢) قوله وطال الخ انتقال الحكاية أهل الجاهلية . وطول الأمد فيها ليزيد الله لهم في
العقوبة (٣) الغير - بكسر ففتح - أحداث الدهر ونوائبه (٤) من قولهم اخلوق
السحاب إذا استوى وصار خليفاً أن يمطر : أى يشرف الأجل على الانقضاء
(٥) أسالت الناقة ذنبها : رفعته ، أى رفعوا أيديهم بسيوفهم ليلقحوا حروبهم على
غيرهم ، أى يسعروها عليهم (٦) الضمير فيه للمؤمنين المفهومين من سياق الخطاب
والجمله جواب إذا (٧) من أطف أنواع النسيب ، يريد أشهروا عقيدتهم داعين إليها
غيرهم (٨) دخائل المكر والخديعة (٩) الغمرة : الشدة . والزدحم ، يريد مزدحم الفتن

قَدْ مَارُوا فِي الْحَيَرَةِ^(١)، وَذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ؛
مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأُحْمَدُ اللَّهَ وَأُسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاحِ الشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ^(٢)، وَالْإِغْتِصَامِ مِنْ
حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَنَجِيِّهُ
وَصَفْوَتُهُ. لَا يُؤَاوِى فَضْلُهُ، وَلَا يُخْبِرُ فَقْدُهُ. أَصَابَتْ بِهِ الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ
الْمُظْلِمَةِ، وَالْجَهْلَاءُ الْغَالِبَةُ، وَالْجَفْوَةُ الْجَافِيَةُ. وَالنَّاسُ يُسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ،
وَيَسْتَذِلُّونَ الْحَكِيمَ. يَحْيَوْنَ عَلَى قَتْرَةٍ^(٣)، وَيَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ. ثُمَّ إِنَّكُمْ
مَعَشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضُ بُلَايَا قَدِ اقْتَرَبَتْ. فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ، وَأَحْذَرُوا
بَوَائِقِ النُّقْمَةِ^(٤) وَتَثَبَّتُوا فِي قِتَامِ الْعَشْوَةِ^(٥)، وَأَعُوْجَاجِ الْفِتْنَةِ عِنْدَ
طُلُوعِ جَنِينِهَا، وَظُهُورِ كَمِينِهَا، وَأَنْتِصَابِ قُطْبِهَا وَمَدَارِ رَحَاهَا. تَبْدَأُ
فِي مَدَارِجِ خَفِيَّةٍ، وَتَوُثِّلُ إِلَى فُظَّاعَةٍ جَلِيَّةٍ. شَبَابُهَا كَشَبَابِ الْغَلَامِ^(٦)

(١) ماروا تحركوا واضطربوا (٢) الدحر - بالفتح - الطرد . والمداحر والمزاجر ما بها
يدحر ويذجر : وهى الاعمال الفاضلة . ومخاتل الشيطان : مكائده (٣) خلغم الشرائع
الالهية لا يعرفون منها شيئا لعدم الرسول المبلغ ثم يغيرون ويبدلون ويتخذون الاضنام
آلهة والاهواء شريعة فيموتون كفارا (٤) البوائق - جمع بائقة - وهى الداهية (٥) القتام
- كسحاب - الغبار . والعشوة - بالضم - يكسرو ويفتح - ركوب الامر على غير بيان (٦) شباب

وَأَثَارُهَا كَأَثَارِ السَّلَامِ. تَوَارَتْهَا الظُّلْمَةُ بِالْمُؤُودِ. أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لِآخِرِهِمْ
وَأَخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ. يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دَنِيَّةٍ. وَيَتَكَالَبُونَ عَلَى
جِيْفَةٍ مُرِيحَةٍ^(١) عَنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ التَّابِعُ مِنَ الْمُتَّبِعِ، وَالْقَائِدُ مِنَ
الْمُقُودِ. فَيَتَزَايِلُونَ بِالْبَغْضَاءِ^(٢)، وَيَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ اللِّقَاءِ. ثُمَّ يَأْتِي
بَعْدَ ذَلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ^(٣)، وَالْقَاصِمَةِ الزَّخُوفِ. فَتَزِيغُ
قُلُوبٌ بَعْدَ اسْتِقَامَةٍ، وَتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلَامَةٍ. وَتَخْتَلِفُ الْأَهْوَاءُ
عِنْدَ هُجُومِهَا، وَتَلْتَبِسُ الْأَرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا^(٤). مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَصَتُهُ
وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتُهُ. يَتَكَادِمُونَ فِيهَا تَكَادِمُ الْحُمُرِ فِي الْعَانَةِ^(٥).
قَدْ أَضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ، وَعَمِيَ وَجْهُ الْأَمْرِ. تَغِيضُ فِيهَا الْحِكْمَةُ^(٦)،
وَتَنْطِقُ فِيهَا الظُّلْمَةُ. وَتَدُقُّ أَهْلُ الْأَبْدُو بِمَسْجِلِهَا^(٧)، وَتَرْضُضُهُمْ
بِكُلِّ كَلِمَةٍ. يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا الْوُحْدَانُ^(٨)، وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا

كل شيء أوله أي بداياتها في عنفوان وشدة كسباب الغلام وفتوته . والسلام
- بكسر السين - الحجارة . وآثارها في الأبدان الرض والحطم (١) أراح اللحم :
أثنى (٢) يتزايلون : يتفارقون (٣) شديدة الرجفان والاضطراب ، أو شديد ارجافها
وزلازلها للناس . والقاصمة : الكاسرة . والزخوف : الشديدة الزحف (٤) ظهورها
(٥) يتكادمون يعرض بعضهم بعضا كما تكون الجر في العانة أي الجماعة منها وهي
خاصة بحمر الوحش (٦) تغيض - بالغين المعجمة - تنقص وتغور (٧) المسجل - كمنبر -
للبرداء والمنحت . والمراد بالحق التفتيت ، والرض التهشيم . والكسل الصدر (٨) جمع واحد

الرُّكْبَانُ . تَرِدُ بِمِرِّ الْقَضَاءِ . وَتَحْلُبُ عَيْطَ الدِّمَاءِ ^(١) . وَتَشْلِمُ مَنَارَ
الدِّينِ ^(٢) ، وَتَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ . تَهْرُبُ مِنْهَا الْأَكْيَاسُ ^(٣) ، وَتُدْبِرُهَا
الْأَرْجَاسُ ^(٤) . مِرْعَادُ مِبْرَاقٍ ، كَاشِفَةٌ عَنْ سَاقٍ . تُقَطِّعُ فِيهَا الْأَرْحَامُ ،
وَيَفَارِقُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ . بَرِيئًا سَقِيمٌ ، وَطَائِعِنًا مُقِيمٌ

(مِنْهَا) يَبِينُ قَتِيلِ مَطْلُولٍ ^(٥) وَخَائِفِ مُسْتَجِيرٍ . يُخْتَلُونَ بِعَقْدِ
الْإِيمَانِ ^(٦) بِغُرُورِ الْإِيمَانِ . فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتَنِ ^(٧) وَأَعْلَامَ الْبِدْعِ .
وَالزُّمُوا مَا عَقَدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَةِ ، وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعَةِ .
وَأَقْدَمُوا عَلَى اللَّهِ مَظْلُومِينَ وَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ . وَاتَّقُوا مَدَارِجَ
الشَّيْطَانِ وَمَهَابِطَ الْعُدْوَانِ . وَلَا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُقَى الْحَرَامِ ^(٨)
فَإِنَّكُمْ بَيْنَ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَعْصِيَةَ ^(٩) ، وَسَهْلَ لَكُمْ سَبِيلَ الطَّاعَةِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّالُّ عَلَى وَجُودِهِ بِخَلْقِهِ . وَبِمُخْدَتِ خَلْقِهِ عَلَى أَرْزَلِيَّتِهِ .

أى المتفردون (١) عبيط الدماء : الطرى الخالص منها (٢) ثلم الاناء والسيوف
أو نحوه كسر حرفه (٣) جمع كبس : الحاذق العاقل (٤) جمع رجس وهو القدر
والنجس ، والمراد الأشرار (٥) طللت دمه : هدرته (٦) يختلون أى يخذعون الظالمون
بمخلف الإيمان ، وبغروهم بظاهر الإيمان وأنهم مؤمنون مثلهم (٧) الأنصاب كل ما ينصب
ليقصد (٨) اللقى - جمع لعة بضم اللام - وهى ما تأخذ فى المعلقة (٩) انكم بعين الخ

وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ . لَا تَسْتَلِهُهُ الْمَشَاعِيرُ^(١) ، وَلَا تَحْجُبُهُ
السَّوَابِرُ ، لِافْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَالْمَصْنُوعِ ، وَالْحَادِّ وَالْمَحْدُودِ ، وَالرَّبِّ
وَالْمَرْبُوبِ . الْأَحَدِ لَا بِتَأْوِيلِ عَدَدٍ ، وَالْخَالِقِ لَا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ^(٢) ،
وَالسَّمِيعِ لَا بِأَدَاةٍ^(٣) ، وَالْبَصِيرِ لَا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ^(٤) ، وَالشَّاهِدِ لَا بِمُأَسَّسَةٍ
وَالْبَائِنِ لَا بِتَرَاخِي مَسَافَةٍ^(٥) ، وَالظَّاهِرِ لَا بِرُؤْيَاةٍ ، وَالْبَاطِنِ لَا بِلَطَافَةٍ .
بَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا وَالْقُدْرَةُ عَلَيْهَا . وَبَانَتِ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ
لَهُ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ . مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ^(٦) وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ ، وَمَنْ
عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزْلَهُ ، وَمَنْ قَالَ كَيْفَ فَقَدْ اسْتَوْصَفَهُ ، وَمَنْ قَالَ أَيْنَ
فَقَدْ حَيَّرَهُ . وَعَالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومٌ . وَرَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبٌ . وَقَادِرٌ إِذْ لَا مَقْدُورٌ
(مِنْهَا) قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ وَلَمَعَ لَامِعٌ ، وَلَاحَ لَاحِعٌ^(٧) وَأَعْتَدَلَ
مَائِلٌ . وَأُسْتَبْدَلَ اللَّهُ بِقُوِّمٍ قَوْمًا ، وَبِيَوْمٍ يَوْمًا . وَأَنْتَظَرْنَا الْغَيْرَ أَنْتَظَرَ
الْمُجْدِبِ الْمَطَرُ^(٨) . وَإِنَّمَا الْأَلِيمَةُ قُوَّامُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ ، وَعُرْفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ ،
لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ

أى انه يراكم (١) لا تستلمه المشاعر أى لاتصل اليه الحواس (٢) النصب - محركة -
التعب (٣) الأداة : الآلة (٤) تفريق الآلة : تفريق الاله جفان وفتح بعضها عن بعض
(٥) البائن : المنفصل عن خلقه (٦) من وصفه أى من كيفه بكيفيات المحدثين
(٧) لاح : بدا . قالوا هذه خطبة خطبها بعد قتل عثمان (٨) الغير - بكسر ففتح - صروف

أَنكَرَهُمْ وَأَنكَرُوهُ. إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ وَأَسْتَخَصَّكُمْ لَهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَسَمُ سَلَامَةٍ وَجَمَاعُ كَرَامَةٍ^(١). أَصْطَفَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُجَهُ وَبَيَّنَّ حُجَجَهُ مِنْ ظَاهِرٍ عِلْمٍ وَبَاطِنٍ حِكْمٍ. لَا تَقْنَى غَرَائِبُهُ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ. فِيهِ مَرَايِعُ النِّعَمِ^(٢)، وَمَصَائِيحُ الظُّلَمِ. لَا تُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمِفْتَاحِهِ، وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ. قَدْ أَهْمَى حِمَاهُ^(٣) وَأَرْعَى مَرَعَاهُ. فِيهِ شِفَاءُ الْمُشْتَقَى، وَكَفَايَةُ الْمُكْتَئِبِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَهُوَ فِي مُهَلَّةٍ مِنَ اللَّهِ يَهْوِي مَعَ الْغَافِلِينَ^(٤)، وَيَقْدُو مَعَ الْمُذْنِبِينَ. بِلَا سَبِيلٍ قَاصِدٍ، وَلَا إِمَامٍ قَائِدٍ (مِنْهَا) حَتَّى إِذَا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ. وَأَسْتَخَرَجَهُمْ مِنْ جَلَائِبِ غَفْلَتِهِمْ، أَسْتَقْبَلُوا مُذْبِرًا، وَأَسْتَدْبَرُوا مُقْبِلًا. فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طَلِبَتِهِمْ، وَلَا بِمَا قَضَوْا مِنْ وَطَرِهِمْ. إِنِّي أَحْذَرُكُمْ وَنَفْسِي هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ. فَلْيَسْتَفِيعْ أَمْرُو بِنَفْسِهِ، فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ، وَانْتَفَعَ بِالْمِيزِ ثُمَّ سَلَكَ جَدَدًا وَاضِحًا يَتَجَنَّبُ

الحوادث وتقلباتها : انتظرها لعاما يقوم حق وينتكس باطل (١) جاع الشئ يجمعه (٢) مراييع - جمع مرباع بكسر الهم - المكان يثبت نبتة في أول الربيع، أو هو المطر أول الربيع (٣) أحجى المكان : جعله حى لا يقرب، أى أعز الله الاسلام ومنعه من الاعداء، ومن دخل فيه وصار من أهله منعه الله بخيراته وأباحه رعى ما تنبته أرضه الطيبة من الفوائد (٤) قوله وهو في مهلة، كلام في ضال غير معين

فِيهِ الصَّرْعَةُ فِي الْمَهَاوِي ، وَالضَّلَالُ فِي الْمَنَاوِي ^(١) . وَلَا يُعِينُ عَلَى
نَفْسِهِ الْمَوَاةَ بِتَعَسُّفٍ فِي حَقِّ ، أَوْ تَحْرِيفٍ فِي لُطْفٍ ، أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ
صِدْقٍ . فَأَفْنَى أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ ، وَاسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ
وَاخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ ، وَأَنْتُمْ الْفِكَرُ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِمَا لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا مَحِيصَ عَنْهُ ، وَخَالَفَ مَنْ
خَالَفَ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ ، وَدَعَاهُ وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ . وَضَعَفَ فَخْرَكَ وَأَحْطَأَطَ
كِبْرَكَ ، وَأَذْكَرَ قَبْرَكَ فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ ، وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ . وَكَمَا
تَزْرَعُ تَحْصُدُ . وَمَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدِمُ عَلَيْهِ غَدًا ، فَاْمَهْدُ لِقَدَمِكَ ^(٢)
وَقَدَّمَ لِيَوْمِكَ . فَالْحَذَرُ الْحَذَرُ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ . وَالْجِدَّةُ الْجِدَّةُ أَيُّهَا الْغَافِلُ
« وَلَا يُبْنِتُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ »

إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللَّهِ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ الَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ
وَلَهَا يَرْضَى وَيَسْخَطُ ، أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَبْدًا - وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ وَأَخْلَصَ
فِعْلَهُ - أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا لَا قِيَا رَبَّهُ بِمُخَصَّلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ لَمْ يَتَّبِعْ
مِنْهَا : أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ ، أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ

(١) جمع مفواة، وهي الشبهة يذهب معها الإنسان إلى ما يخالف الحق (٢) مهد
- كنع - بسط

يَهْلِكُ نَفْسٍ ، أَوْ يُقَرَّ بِأَمْرِ فَعَلَهُ غَيْرُهُ ، أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ
بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ ^(١) ، أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ ، أَوْ يَمْتَنِي فِيهِمْ
بِلِسَانَيْنِ . أَعْقِلْ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شَبْهِهِ

إِنَّ الْبَهَائِمَ هَمُّهَا بَطُونُهَا . وَإِنَّ السَّبَاعَ هَمُّهَا الْمُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا .
وَإِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْفَسَادُ فِيهَا . إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ
مُسْتَكِينُونَ ^(٢) . إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ . إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَنَظَرْتُ قَلْبَ اللَّيْبِ بِهِ يُنْصِرُ أَمْدَهُ ^(٣) ، وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ وَنَجْدَهُ .
دَاعٍ دَعَا ، وَرَاعٍ رَعَى ، فَاسْتَجَبُوا لِلدَّاعِي وَاتَّبَعُوا الرَّاعِيَ
قَدْ خَاصُّوا بِحَارَ الْفِتَنِ ، وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ . وَارَزَّ
الْمُؤْمِنُونَ ^(٤) . وَنَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ . نَحْنُ الشُّعَارُ ^(٥) وَالْأَصْحَابُ

(١) يستنجح أى يطلب نجاح حاجته من الناس بالابتداع فى الدين (٢) خاضعون
لله عز وجل (٣) ناظر القلب ، استعاره من ناظر العين : وهو النقطة السوداء منها ،
والمراد بصيرة القلب بها يدرك اللبيب أمد أى غايته ومنتهاه . والغور ما انخفض
من الأرض . والنجد ما ارتفع منها ، أى يدرك باطن أمره وظاهره (٤) أرزى بأرز
- بكسر الراء فى المضارع - أى انقبض وثبت . وأرزت الحية لاذت بجحرها ورجعت
إليه (٥) ما يلبى البدن من الثياب والمراد بطاوة النبي صلى الله عليه وسلم

وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ . لَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ
غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقًا

(مِنْهَا) فِيهِمْ كَرَامُ الْقُرْآنِ^(١)، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ . إِنْ نَطَقُوا
صَدَقُوا، وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسَبِّقُوا^(٢) . فَلْيَصْدُقْ رَائِدُ أَهْلَهُ، وَلْيُخْضِرْ
عَقْلَهُ، وَلْيَسْكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِيمٌ وَإِلَيْهَا يَنْقَلِبُ .
فَالنَّاطِرُ بِالْقَلْبِ الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ أَعْمَلُهُ
عَلَيْهِ أَمْ لَهُ . فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ .
فَإِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ . فَلَا يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ
الطَّرِيقِ إِلَّا بُعْدًا مِنْ حَاجَتِهِ . وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ
الْوَاضِحِ، فَلْيَنْظُرْ نَاطِرُهُ أَسَائِرُهُ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ . وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ
بَاطِنًا عَلَى مِثَالِهِ، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ . وَمَا خَبِثَ ظَاهِرُهُ خَبِثَ
بَاطِنُهُ . وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ « إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ
الْعَبْدَ^(٣)، وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ، وَيُحِبُّ الْعَمَلَ وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ^(*) » وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ

(١) الضمير لآل النبي، والكرام جمع كريمة، والمراد أنزلت في مدحهم آيات كريمات.
والقرآن كريم كله وهذه كرائم من كرائم (٢) لم يسبقهم أحد إلى الكلام وهم سكوت أي بهاب
سكوتهم فلم يجرؤ أحد على الكلام فيما سكتوا عنه (٣) إن الله يحب الخ أي يحب
من المؤمنين إيمانه ويُبغض ما يأتية من سيئات الأعمال ولا يفيد ذلك الحب مع هذا

(*) يوجد بهامش الاصل : (المؤمن اذا صدرت منه صغيرة فانه يحبه ويُبغض عمله ، والكافر
اذا أحسن فانه يحب عمله ولا يحبه)

عَمَلٍ نَّبَاتًا . وَكُلُّ نَبَاتٍ لَا غِنَى بِهِ عَنِ الْمَاءِ ، وَالْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ . فَمَا طَابَ
سَقِيهِ طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَّتْ ثَمَرَتُهُ ، وَمَا خَبَثَ سَقِيهِ خَبَثَ غَرْسُهُ
وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ

وَمِنْ حُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
يَذْكُرُ فِيهَا بَدِيعَ خَلْقَةِ الْخَلْقِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي انْحَسَرَتْ الْأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ ^(١) وَرَدَعَتْ
عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ مَسَاقًا إِلَى بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكَوْتِهِ . هُوَ اللَّهُ
الْحَقُّ الْمُبِينُ أَحَقُّ وَأَبِينُ جَمًّا تَرَى الْعِيُونَ ، لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ
بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونُ مُشَبَّهًا . وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونُ
مُمَثَّلًا ، خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ تَمَثُّلٍ وَلَا مَشُورَةٍ مُشِيرٍ ، وَلَا مَعُونَةٍ
مُعِينٍ . فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ ، وَأَذَعَنَ لِطَاعَتِهِ ، فَأَجَابَ وَلَمْ يُدَافِعْ ، وَأُنْقَادَ
وَلَمْ يُنَازِعْ . وَمِنْ لَطَائِفِ صُنْعَتِهِ وَعَجَائِبِ خَلْقَتِهِ مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضَ

البغض إلا عذابا يتطهر به من خبث أعماله . ويجب من الكافر عمله إن كان حسنا،
ويبغض ذاته لالتبائها بدنس الكفر، ولا ينتفع بالعمل المحبوب إلا نفعاً موقناً في الدنيا
وله في الآخرة عذاب عظيم ، فلا يكمل للانسان حظه من السعادة إلا إذا كان مؤمناً
طيب العمل (١) انحصرت : انقطعت

الْحِكْمَةِ فِي هَذِهِ الْخَفَافِشِ الَّتِي يَقْبِضُهَا الضِّيَاءُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ .
وَيَسْطُهَا الظَّلَامُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ . وَكَيْفَ عَشِيَتْ أَعْيُنُهَا^(١) عَنْ أَنْ
تَسْتَيْدَمِنَ الشَّمْسُ الْمُضِيئَةَ نُورًا تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا ، وَتَتَّصِلَ بِعَلَانِيَةٍ
بُرْهَانَ الشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا . وَرَدَّعَهَا بِتَلَاوُضِ ضِيَاءِهَا عَنِ الْمُضِيِّ فِي سُبُحَاتِ
إِشْرَاقِهَا^(٢) ، وَأَكْنَهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ الذَّهَابِ فِي بَلَجِ اثْتِلَاقِهَا^(٣) ،
فَهِىَ مُسْدِلَةُ الْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى أَحْدَاقِهَا . وَجَاعِلَةُ اللَّيْلِ سِرَاجًا تَسْتَدِلُّ
بِهِ فِي التَّمَاسِ أَرْزَاقِهَا . فَلَا يَرُدُّ أَنْصَارَهَا إِسْدَافُ ظَلَمَتِهِ^(٤) . وَلَا تَمْتَنِعُ
مِنَ الْمُضِيِّ فِيهِ لِنَسَقِ دُجُنَّتِهِ . فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا ، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ
نَهَارِهَا^(٥) ، وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى الضُّبَابِ فِي وَجَارِهَا^(٦) أَطْبَقَتْ
الْأَجْفَانَ عَلَى مَا قِيَمَ^(٧) وَتَبَلَّغَتْ بِمَا أُكْتَسَبَتْ مِنْ فِئ ظَلَمٍ لِيَا لِيَهَا^(٨) .
فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهَارًا وَمَعَاشًا . وَالنَّهَارَ سَكْنًا وَقَرَارًا .
وَجَعَلَ لَهَا أَجْنِحَةً مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّيَرَانِ

(١) العشا - مقصورا - سوء البصر وضعفه (٢) سُبُحَاتِ النور : درجاته وأطواره

(٣) الاتلاق : اللمعان . والبلج - بالتحريك - الضوء ووضوحه (٤) أسداف الليل : أظلم .
والدجنة الظلمة ، وغسق الدجنة شدتها (٥) أوضاع - جمع وضع بالتحريك - وهو هنا
بياض الصبح (٦) الضباب - ككتاب - جمع ضب الحيوان المعروف . والوجار - ككتاب -
الجحر (٧) جمع ماق ، وهو طرف العين بما يلي الأنف (٨) تَبَلَّغَتْ : اكْتَفَتْ أَوْ اقْتَنَاتْ

كَأَنَّهَا شَطَايَا الْأَذَانِ^(١)، غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلَا قَصَبٍ^(٢). إِلَّا أَنْكَ تَرَى
مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلَامًا^(٣). لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقًا فَيَنْشَقُّ^(٤). وَلَمْ
يَفْلُظًا فَيَنْثَقِلًا. تَطِيرُ وَوَلَدُهَا لَا صِقُّ بِهَا لَا جِيءُ إِلَيْهَا يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ.
وَيَرْتَقِعُ إِذَا أَرْتَقَعَتْ. لَا يُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهَا. وَيَحْمِلُهُ لِلنُّهُوضِ
جَنَاحُهُ. وَيَعْرِفُ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ. فَسُبْحَانَ الْبَارِي لِكُلِّ
شَيْءٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ^(٥).

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
خَاطَبَ بِهِ أَهْلَ الْبَصْرَةِ عَلَى جِهَةِ اقْتِصَاصِ الْمَلَامِ

فَمَنْ اسْتَطَاعَ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يَمْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلْيَفْعَلْ. فَإِنْ
أَطَعْتُمُونِي فَإِنِّي حَامِلُكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ
ذَا مَشَقَّةً شَدِيدَةً وَمَذَاقَةً مَرِيرَةً

(١) شطايا : جمع شظية - كعطية - وهي الفلقه من الشيء، أى كأنها مؤلفة من شقق
الاذان (٢) القصبة : عمود الريشة أو أسفلها المتصل بالجنح، وقد يكون مجرداً عن
الزغب فى بعض الحيوانات كما ليس بطائر كعوض أنواع القنفذ والفيران له قصب محدد
الاطراف يرمى به صائده كما يرمى النابل، ويعرف بالفأر الأمريكى (٣) أى رسوما ظاهرة
(٤) لا يرقا، عبر بلما إشارة إلى أنهما مارقا فى الماضى ولاهما رقيقان، فهو نقي مستمر
إلى وقت الكلام فى أى زمن كان (٥) خلا تقدمه من سواء مخاذاه

وَأَمَّا فُلَانَةٌ فَأَذَرَ كَهَا رَأَى النِّسَاءَ، وَضَعْنَ غِلَا فِي صَدْرِهَا
كَمِرَ جِلِّ الْقَيْنِ^(١)، وَلَوْ دُعِيَتْ لَتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَنْتَ إِلَى لَمْ تَفْعَلْ،
وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الْأُولَى وَالْحِسَابُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى

(مِنْهُ) سَبِيلُ أَبْلَجِ الْمُنْهَاجِ أَنْوَرُ السَّرَاجِ. فَبِالْإِيْمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى
الصَّالِحَاتِ. وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الْإِيْمَانِ. وَبِالْإِيْمَانِ يُعْمَرُ الْعِلْمُ.
وَبِالْعِلْمِ يُزْهَبُ الْمَوْتُ وَبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا. وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الْآخِرَةُ^(٢).
وَإِنَّ الْخُلُقَ لَا مَقْصَرَ لَهُمْ عَنِ الْقِيَامَةِ^(٣). مُرْقِلَيْنِ فِي مِضْمَارِهَا إِلَى
الْغَايَةِ الْقُصْوَى

(مِنْهُ) قَدْ شَخَّصُوا مِنْ مُسْتَقَرِّ الْأَجْدَاثِ^(٤)، وَصَارُوا إِلَى مَصَائِرِ
الْغَايَاتِ. لِكُلِّ دَارٍ أَهْلُهَا، لَا يَسْتَبْدِلُونَ بِهَا وَلَا يُنْقَلُونَ عَنْهَا. وَإِنَّ
الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ لَخُلُقَانٍ مِنْ خُلُقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

(١) المِرْجَلُ : القدر . والقَيْن - بالفتح - الحداد، أى أن ضعيفتها وحقيقتها كانا
دائمي الغليان كقدر الحداد فإنه يغلي مادام يصنع . ولو دعاها أحد لتصيب من
غيري غرضاً من الاساءة والعدوان مثل ما أنت إلى - أى فعلت بي - لم تفعل، لأن حقدّها
كان على خاصة (٢) وبالدنيا الخ : أى أنه إذا رهب الموت وهو ختام الدنيا كانت
الرهبة سبباً في حرص الانسان على الفائدة من حياته فلا يضيع عمره بالباطل، وبهذا
يحرز الآخرة (٣) المقصر - كقعد - المحبس، أى لا مستقر لهم دون القيامة فهم
ذاهبون اليها مرقلين أى مسرعين في ميدان هي غايته ومنتهاه (٤) شخصوا : ذهبوا

وَأَنَّهُمَا لَا يُقَرَّبَانِ مِنْ أَجَلٍ وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ . وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ فَإِنَّهُ الْخُبْلُ الْمَتِينُ وَالنُّورُ الْمُبِينُ . وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ ، وَالرَّيُّ النَّافِعُ ^(١) وَالْمِصْنَمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ وَالنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ . لَا يَنْوُجُ فَيَقَامَ وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبُ ^(٢) . وَلَا تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ وَوُلُوجُ السَّمْعِ ^(٣) . مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ .

(وَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنَا عَنِ الْفِتْنَةِ وَهَلْ سَأَلْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْهَا فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ)
لَمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَوْلُهُ (أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَاوِرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَنْ أَظْهَرِنَا . فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا ^(٤) فَقَالَ : « يَا عَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِي » فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَوَلَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ أُسْتُشْهِدُ مِنْ أَسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

والأحداث القبور والمصائر الغايات - جمع مصير - ما يصير اليه الانسان من شقاء وسعادة . والكلام في القيامة (١) نفع العطش إذا أزاله (٢) يستعيب من أعتب ، إذا انصرف . والسين والتاء للطلب أو زائدتان ، أى لا يعمل عن الحق فيصرف ، أو يطلب منه الانصراف عنه (٣) أخلقه : ألبسه ثوباً خلقاً أى بالياء ، وكثرة الرد : كثرة ترديده على الالسنه بالقراءة ، أى أن القرآن دائماً فى أنوابه الجدد رائق لنظر العقل وان كثرت تلاوته لانتباطه على الأحوال المختلفة فى الأزمنة المتعددة وليس كسائر الكلام كلما تكرر ابتدل وملته النفس (٤) فقلت يا رسول الله الخ أشكل على الشارحين العطف بالفاء مع كون الآية مكية والسؤال كان بعد أحد ، ووقعته كانت بعد الهجرة ،

وَحِيزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ^(١) فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ فَقُلْتُ لِي: « أَبَشِّرْ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ » فَقَالَ لِي: « إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَا^(٢) » فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ، وَلَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالشُّكْرِ^(٣). فَقَالَ: « يَا عَلِيُّ إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ، وَيَمْنُونُ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ، وَيَتَمَنُّونَ رَحْمَتَهُ، وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ. وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ وَالْأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ. فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالتَّبْيِذِ، وَالسُّخْتِ بِالْهَدِيَّةِ. وَالرِّبَا بِالْبَيْعِ » قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: يَا أَيُّ الْمَنَازِلِ أَتَزِلُّهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ أِبِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ؟ فَقَالَ: « بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ »

وصعب عليهم التوفيق بين كلام الامام وبين ما أجمع عليه المفسرون من كون العنكبوت مكية بجميع آياتها ، والذي أراه أن علمه بكون الفتنة لانتزل والنبي بين أظهرهم كان عند نزول الآية في مكة ، ثم شغله عن استخبار الغيب اشتداد المشركين على الموحدين واهتمام هؤلاء برد كيد أولئك ، ثم بعد ما خفت الوطأة وصفا الوقت لاستكمال العلم سأل هذا السؤال فالفاء لترتيب السؤال على العلم ، والعلم كان ممتداً إلى يوم السؤال فهي لتعقيب قوله لعامة ، والتعقيب يصدق بأن يكون ما بعد الفاء غير منقطع عما قبلها وإن امتد زمن ما قبلها سنين ، تقول تزوج فولده وحلت فولدت (١) حيزت حازها الله عني فلم أنلها (٢) على أية حالة يكون صبرك إذا هيئت لك الشهادة (٣) قوله من مواطن البشرى، هذا شأن أهل الحق يستبشرون بالموت في سبيل الحق فانه الحياة الأبدية

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحًا لِدِكْرِهِ . وَسَبَبًا لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ
وَدَلِيلًا عَلَى آلَانِهِ وَعَظَمَتِهِ . عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِينَ كَجَرِّهِ
بِالْمَاضِينَ . لَا يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْهُ ، وَلَا يَبْقَى سَرْمَدًا مَا فِيهِ . آخِرُ فِعَالِهِ
كَأَوَّلِهِ . مُتَسَابِقَةٌ أُمُورُهُ ^(١) ، مُتَظَاهِرَةٌ أَعْلَامُهُ . فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ
تَحْدُوكُمْ حَدُّو الزَّاجِرِ بِشَوَّلِهِ . فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي
الظُّلُمَاتِ ، وَأُرْتَبِكَ فِي الْهَلَكَاتِ . وَمَدَّتْ بِهِ شِيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ ،
وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئَ أَعْمَالِهِ . فَالْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ . وَالنَّارُ غَايَةُ الْمُفْرِطِينَ
اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ . وَالْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ
ذَلِيلٍ لَا يَمْنَعُ أَهْلَهُ وَلَا يُحْرِزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ ^(٢) . أَلَا وَبِالتَّقْوَى تُقْطَعُ
مُحَمَّةُ الْخَطَايَا ^(٣) . وَبِالْيَقِينِ تُدْرَكُ الْغَايَةُ الْقُصْوَى

(١) تنسابق أمور الدهر ، أى مصائبه كأن كلاً منها يطلب النزول قبل الآخر
فالسابق منها مهلك . والمتأخر لا حق له في مثل أثره . والأعلام هى الرايات كتى بها
عن الجيوش وتظاهرها : تعاونها . والساعة : القيامة . وحدوها : سوفها وحشها لأهل
الدنيا على المسير للوصول إليها . وزاجر الابل : سائقها . والشول - بالفتح - جمع
شائلة ، وهى من الابل مامضى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر (٢) لا يحرز ،
أى لا يحفظ (٣) الجمة - بضم ففتح - فى الأصل إبرة الزنبور والعقرب ونحوها تلتصق

عِبَادَ اللَّهِ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي أعزِّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ ، وَأَحَبَّهَا إِلَيْكُمْ .
 فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ وَأَنَارَ طُرُقَهُ . فَشِقْوَةٌ لَزِيْمَةٌ أَوْ
 سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ . فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاءِ ^(١) لِأَيَّامِ الْبَقَاءِ . فَقَدْ دُلُّتُمْ عَلَى الزَّادِ
 وَأُمِرْتُمْ بِالظَّنِّ ^(٢) . وَخُشِّنْتُمْ عَلَى الْمَسِيرِ . فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكَبٍ وَتَوَفٍ
 لَا يَدْرُونَ مَتَى يُؤْمَرُونَ بِالْمَسِيرِ . أَلَا فَمَا يَصْنَعُ بِالْدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ
 لِلْآخِرَةِ وَمَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسْلَبُهُ ، وَتَبَقَى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ
 وَحِسَابُهُ ^(٣)

عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ مَتْرُكٌ ، وَلَا فِيمَا نَهَى
 عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَرْعَبٌ . عِبَادَ اللَّهِ ، أَحْذَرُوا يَوْمًا تُفْحَصُ فِيهِ الْأَعْمَالُ .
 وَيَكْثُرُ فِيهِ الزَّلْزَالُ . وَتَشِدُّ فِيهِ الْأَطْفَالُ
 أَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصَدًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ ^(٤) ، وَعُيُونًا مِنْ

بها . والمراد هنا سطوة الخطايا على النفس (١) يريد أيام الدنيا (٢) المراد بالظن
 المأمور به هنا السبر إلى السعادة بالأعمال الصالحة ، وهذا ما حثنا الله عليه . والمراد
 بالمسير الذي لا ندري متى نؤمر به هو مفارقة الدنيا . والأمر في الأول خطابي شرعي
 وفي الثاني فعلي تكويني (٣) تبعته ما يتعلق به من حق الغير فيه (٤) الرصد : يريد به
 رقيب الذمة وواعظ السر الروحي الذي لا يغفل عن التنبيه ولا يخطئ في الانذار
 والتحذير حتى لا نكون من مخطيء خطيئة الا ويناديه من سره مناد يعنفه
 على ما ارتكب ، ويعيبه على ما اقترف ، ويبين له وجه الحق فيما فعل . ولا تعارضه على

جَوَارِحِكُمْ ، وَحِفَاطَ صِدْقِ يَحْفَظُونَ أَعْمَالِكُمْ . وَعَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ .
لَا تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ دَاجٍ ، وَلَا يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بَابُ ذُورِ تَاجٍ ^(١)
وَأِنْ غَدًا مِنْ الْيَوْمِ قَرِيبٌ

يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ ، وَيَجِيءُ الْغَدُ لَاحِقًا بِهِ ، فَكَانَ كُلُّ أَمْرٍ
مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْأَرْضِ مَنَزِلَ وَحْدَتِهِ ^(٢) ، وَنَحَطَّ حُفْرَتِهِ . فَيَالَهُ
مِنْ يَبْتِ وَحْدَةٍ ، وَمَنَزِلِ وَخَشَةٍ ، وَمُفْرَدِ غُرْبَةٍ . وَكَانَ الصَّيْحَةُ قَدْ
أَتَتْكُمْ ، وَالسَّاعَةُ قَدْ غَشِيَتْكُمْ ، وَبَرَزْتُمْ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ . قَدْ زَا حَتَّ
عَنْكُمْ الْأَبَاطِيلُ ^(٣) . وَأَضْمَحَلَّتْ عَنْكُمْ الْعِلَلُ . وَأُسْتَحَقَّتْ بِكُمْ
الْحَقَائِقُ . وَصَدَرَتْ بِكُمْ الْأُمُورُ مَصَادِرَهَا . فَاتَّعْظُوا بِالْعِبَرِ ، وَأَعْتَبِرُوا
بِالْغَيْرِ ، وَأَنْتَفِعُوا بِالنَّذْرِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ ^(٤) ،

الهُوَى وَلَا يَخْفُفُ مَرَارَةَ نَصْحِهِ تَلَاغِبَ الْأَوْهَامِ . وَأَيُّ حِجَابٍ يَحْجُبُ الْإِنْسَانَ عَنْ سِرِّهِ
(١) الر تاج — ككتاب — الباب العظيم إذا كان محكم الغلق (٢) منزل وحدته
هو القبر (٣) زاحت : بعدت وانكشفت (٤) الهجعة : المرة من المجوع وهو النوم
ليلاً، نوم الغفلة في ظلمات الجهالة وانتفاض الأحكام الإلهية التي أبرمت على ألسنة

وَأَتَّقَاضٍ مِنَ الْمُبْرَمِ . فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالنُّورِ
الْمُقْتَدَى بِهِ . ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ وَلَنْ يَنْطِقَ وَلَكِنْ أُخْبِرُكُمْ
عَنْهُ . أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي ، وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي ، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ ،
وَنَظْمَ مَا يَنْنَكُمُ

(مِنْهَا) فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ ^(١) إِلَّا وَأَدْخَلَهُ
الظُّلُمَةُ تَرَحَّةً ، وَأَوَّلَجُوا فِيهِ تَقَمَّةً . فَيَوْمَئِذٍ لَا يَبْقَى لَكُمْ فِي السَّمَاءِ
وَلَا فِي الْأَرْضِ نَاصِرٌ . أَصْفَيْتُمْ بِالْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ ^(٢) ، وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ
مَوْرِدِهِ . وَسَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْ ظَلَمَ مَا كَلَّا بِمَا كَلَّ وَمَشْرَبًا بِمَشْرَبٍ ،
مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلَقَمِ وَمَشَارِبِ الصَّبْرِ وَالْمَقْرِ ^(٣) . وَلِبَاسٍ شِعَارِ الْخَوْفِ
وَدِثَارِ السَّيْفِ ^(٤) . وَإِنَّمَاهُمْ مَطَايَا الْخَطِيبَاتِ وَزَوَامِلُ الْآثَامِ ^(٥) .
فَأَقْسِمُ ثُمَّ أَقْسِمُ ، لَتَنْخَمَنَّهَا أُمِيَّةٌ مِنْ بَعْدِي كَمَا تُلَفِّظُ النُّخَامَةَ ^(٦) ثُمَّ

الأنبياء السابقين نقضها الناس بمخالفتها (١) الإشارة بذلك لحالة الاختلاف ومخالفة
القرآن بالنائويل . والترحة ضد الفرحة (٢) أصفيتها بالشيء ، أثرته به واختصصته
(٣) الصبر - ككفف - عصارة شجر مر . والمقر - على وزانه - السم (٤) الدثار
- ككتاب - من اللباس أعلاه فوق اللابس . والسياف يكون أشبه بالدثار إذا عمت
إياحه الدم بأحكام الهوى فلا يكون لبدن ولا لعضو منه انقلاط عنه (٥) الزوامل :
جمع زاملة ، وهي ما يحمل عليها الطعام من الابل ونحوها (٦) نخم - كفرح - أخرج
النخامة من صدره فلقاها . والنخامة - بالضم - ما يدفعه الصدر أو الدماغ من المواد

لَا تَذُوقُهَا وَلَا تَتَطَعَّمُ بِطَعْمِهَا أَبَدًا مَا كَرَّرَ الْجَدِيدَانِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جَوَارِكُمْ ، وَأَحْطْتُ بِمُجْهَدِي مِنْ وَرَائِكُمْ .
وَأَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رَبِّقِ الذَّلِّ . وَحَلَقَ الضَّيِّمِ ^(١) شُكْرًا مِثْلَ اللَّبْرِ الْقَلِيلِ ،
وَإِطْرَاقًا عَمَّا أَدْرَكَهُ الْبَصَرُ وَشَهِدَهُ الْبَدَنُ مِنَ الْمُنْكَرِ الْكَثِيرِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ ، وَرِضَاهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ . يَقْضِي بَعْلِمٍ ، وَيَعْفُو
بِحِلْمٍ . اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي ، وَعَلَى مَا تُعَافِي وَتَبْتَلِي :
حَمْدًا يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ ، وَأَحَبُّ الْحَمْدِ إِلَيْكَ ، وَأَفْضَلُ الْحَمْدِ
عِنْدَكَ . حَمْدًا يَمَلَأُ مَا خَلَقْتَ ، وَيَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ . حَمْدًا لَا يُحْجِبُ عَنْكَ
وَلَا يَقْصُرُ دُونَكَ . حَمْدًا لَا يَنْقَطِعُ عَدْدُهُ ، وَلَا يَفْنَى مَدَدُهُ . فَلَسْنَا
نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ ، إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلَا
نَوْمٌ . لَمْ يَنْتَهَ إِلَيْكَ نَظْرٌ ، وَلَمْ يُذِرْكَ بَصَرٌ . أَدْرَكَتِ الْأَبْصَارُ ،
وَأَحْصَيْتِ الْأَعْمَالُ ، وَأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ . وَمَا الَّذِي رَزَى

مِنْ خَلْقِكَ وَتَعَجَّبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ ،
وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ ، وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ ، وَأَنْتَ هَتَّ عُقُولُنَا دُونَهُ ،
وَحَالَتْ سَوَابِرُ الْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَعْظَمَ . فَمَنْ فَرَعَ قَلْبَهُ وَأَعْمَلَ
فِكْرَهُ لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ^(١) ، وَكَيْفَ
عَلَقْتَ فِي الْأَهْوَاءِ سَمَوَاتِكَ ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرِ الْمَاءِ أَرْضَكَ^(٢)
رَجَعَ طَرَفُهُ حَسِيرًا ، وَعَقْلُهُ مَبْهُورًا ، وَسَمْعُهُ وَإِلْهَامُهُ ، وَفِكْرُهُ حَائِرًا^(٣)
(مِنْهَا) يَدْعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يُرْجُو اللَّهَ . كَذَبَ وَالْعَظِيمِ ، مَا بِاللَّهِ لَا يَتَّبِعِينَ
رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ ؛ فَكُلُّ مَنْ رَجَا عَرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ . وَكُلُّ رَجَاءٍ إِلَّا رَجَاءَ
اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ^(٤) وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ إِلَّا خَوْفَ اللَّهِ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ

(١) ذرأت : خلقت (٢) المور - بالفتح - الموج (٣) كلبلا . والمبهور المغلوب
والمقطوع نفسه من الاعياء . والواله - من الوله - وهو ذهاب الشعور (٤) المدخول:
المغشوش غير الخالص أو هو المغيب النافض لا يترتب عليه عمل . والخوف
المحقق هو الثابت الذي يبعث على البعد عن الخوف والهرب منه وهو في جانب
الله ما يمنع عن إتيان نواهيه ويحمل على إتيان أوامره هرباً من عقابه
وخشية من جلاله . والخوف المعلول هو ما لم يشت في النفس ولم يخالط القلب ، وإتمامه
عارض في الخيال يزيه أدنى الشواغل ويغلب عليه أقل الرغائب ، فهو يرد على الوهم
ثم يفارقه ثم يعود إليه ، شان الأوهام التي لا قرار لها ، فهو معلول : من عليه يعله إذا شربه
مرة بعد أخرى ، ومراد الامام أن الراجي لعبده من العبيد يظهر رجاءه في سعيه واهتمامه
بشأن من رجاء وموافقته على أهوائه ، وكذلك الخائف من أمير أو سلطان يرى أثر
خوفه في نهيبه والامتناع من كل ما يحرك غضبه ، بل ما يتوهم فيه أنه غير حسن عنده ،

يَرْجُو اللَّهَ فِي الْكَبِيرِ ، وَيَرْجُو الْعِبَادَ فِي الصَّغِيرِ ، فَيُعْطِي الْعَبْدَ مَا لَا يُعْطِي الرَّبَّ . فَمَا بَالُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُقْصَرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ لِعِبَادِهِ ؟
 اتَّخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِبًا ؟ أَوْ تَكُونَ لَا تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ
 مَوْضِعًا ؟ وَكَذَلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْدًا مِنْ عِبِيدِهِ أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لَا
 يُعْطِي رَبَّهُ ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ نَقْدًا ، وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِمْ ضِمَارًا
 وَوَعْدًا ^(١) . وَكَذَلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ، وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا فِي قَلْبِهِ
 آثَرَهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا وَصَارَ عَبْدًا لَهَا . وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَافٍ لَكَ فِي الْأُسُوءَةِ ^(٢) . وَدَلِيلُ لَكَ عَلَى ذَمِّ
 الدُّنْيَا وَعَيْنِهَا ، وَكَثْرَةِ مَخَازِيهَا وَمَسَاوِيهَا ، إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا ،
 وَوُطِّئَتْ لِعَيْزِهِ أَكْنَافُهَا ^(٣) ، وَفُطِمَ عَنْ رِضَائِهَا ، وَزُوِيَ عَنْ زَخَارِفِهَا .
 وَإِنْ شِئْتَ تَنَبَّأْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ يَقُولُ
 « رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ » وَاللَّهُ مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْرًا
 يَا كُلُّهُ لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ . وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ

لكنهم في رجاء الله وخوفه يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم ، مع أنهم يرجون الله
 في سعادة الدارين ويخافونه في شقاء الآبد ، فيعطون للعبيد ما لا يعطون لله (١) الضمار
 - ككتاب من الوعود ما كان مسوقا به (٢) الأسوة : القدوة (٣) الأكناف : الجوانب .

تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقٍ بَطْنِهِ ، لِهَزَالِهِ وَتَشَذُّبِ لَحْمِهِ ^(١) . وَإِنْ شِئْتَ
ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ وَقَارِيءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ،
فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُلُوصِ بِيَدِهِ ^(٢) ، وَيَقُولُ لِجِلْسَانِهِ
أَيْكُمُ يَكْفِينِي بَيْعَهَا . وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا . وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ
فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ وَيَلْبَسُ الْحَشِينَ
وَيَأْكُلُ الْجَشِبَ . وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ ، وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ . وَظِلَالُهُ
فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ^(٣) ، وَفَاكِهَتُهُ وَرِيحَانَتُهُ مَا تُنْبِتُ
الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ . وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِيهِ ، وَلَا وَلَدٌ يَحْزَنُهُ ، وَلَا
مَالٌ يَلْفِتُهُ ، وَلَا طَمَعٌ يُدْلُهُ . دَابَّتُهُ رَجُلَاهُ ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ . فَتَأَسَّ ^(٤)
بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَظْهَرِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ
تَأَسَّى ، وَعِزَاءٌ لِمَنْ تَعَزَّى . وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ وَالْمُقْتَصِّ
لِأَثَرِهِ . قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْمًا ^(٥) ، وَلَمْ يُعْرِهَا طَرْفًا . أَهْضَمَ أَهْلُ الدُّنْيَا

وزوى أى قبض (١) الصفاق - ككتاب - هو الجلد الأسفل تحت الجلد
الذى عليه الشعر، أو هو ما بين الجلد والمصران أو جلد البطن كله . والتشذب : التفرق .
وانهضام اللحم : تحلل الأجزاء وتفرقها (٢) السفايف - جمع سفيقة - وصف ، من سف
الخصوص إذا نسجه، أى منسوجات الخوص (٣) ظلاله - جمع ظل - بمعنى السكن والمأوى
ومن كان كنه المشرق وللغرب فلا كن له (٤) تأس : أى اقتد (٥) القضم : الأكل ،
بأطراف الأسنان ، كأنه لم يتناول منها إلا على أطراف أسنانه ولم يبلأ منها فمها أو بمعنى

كَشْحًا^(١)، وَأَخْصَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا. عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا. وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئًا فَأَبْغَضَهُ، وَحَقَرَ شَيْئًا فَحَقَرَهُ، وَصَغَرَ شَيْئًا فَصَغَرَهُ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا جُبْنًا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَتَعَظِيمُنَا مَا صَغَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَكَفَى بِهِ شِقَاقًا لِلَّهِ وَمُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللَّهِ^(٢). وَلَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ، وَيَخْصِفُ يَدَيْهِ نَعْلَهُ^(٣)، وَيَرْقَعُ يَدَيْهِ ثَوْبَهُ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَّ وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ. وَيَكُونُ السُّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ يَافُلَانَةُ - لِإِخْدَى أَرْوَاجِهِ - غَيْبِي عَنِّي فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَّارِقَهَا^(٤). فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْ لَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاسًا^(٥)، وَلَا يَتَّقِدَهَا قَرَارًا وَلَا يَرْجُوَ فِيهَا مُقَامًا، فَأَخْرَجَهَا

أكل اليباس (١) أهضم من الهضم : وهو خص البطن أى خاوها وانطباقها من الجوع. والكسح ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف . وأخصهم : أخلاهم (٢) المحادة المخالفة فى عناد (٣) خصف النعل : خرزها. والحار العارى مالبس عليه برذعة ولا اكاف . وأردف خلفه : أركب معه شخصاً آخر على حمار واحد أو جمل أو فرس أو نحوها وجعله خلفه (٤) فى هذا دليل على أن الرسم على الورق والأثواب ونحوها لا يمنع استعماله ، وإنما يتجافى عنه بالنظر تزهدا وتورعا (٥) الرياس : اللباس الفاخر

مِنَ النَّفْسِ ، وَأَشْخَصَهَا عَنِ الْقَلْبِ ^(١) ، وَغَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ . وَكَذًا مَن
أَبْغَضَ شَيْئًا أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ وَأَنْ يُذَكَّرَ عِنْدَهُ

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا يَذُكُّكَ عَلَى مَسَاوِي
الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا . إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ ^(٢) ، وَزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ
عَظِيمِ زُلْفَتِهِ . فَلْيَنْظُرْ نَاطِرٌ بِعَقْلِهِ أَكْرَمَ اللَّهُ مُحَمَّدًا بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ ؟
فَإِنْ قَالَ أَهَانَهُ فَقَدْ كَذَبَ وَالْعَظِيمِ ، وَإِنْ قَالَ أَكْرَمَهُ فَلْيَعْلَمْ
أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ وَزَوَّاهَا عَنْ أَقْرَبِ
النَّاسِ مِنْهُ . فَتَأَسَّى مُتَأَسِّي بَنِيهِ ^(٣) ، وَاقْتَصَّ أَثَرُهُ ، وَوَلَّجَ مَوْلِجَهُ ،
وَالَا فَلَآ يَأْمَنُ الْهَلَكَةَ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
عَلَمًا لِلْسَّاعَةِ ^(٤) ، وَمُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ ، وَمُنْذِرًا بِالْعُقُوبَةِ . خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا
خَمِيصًا ^(٥) ، وَوَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيمًا . لَمْ يَضَعْ حَجْرًا عَلَى حَجَرٍ حَتَّى مَضَى
لِسَبِيلِهِ ، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ . فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللَّهِ عِنْدَنَا حِينَ أُنْعِمَ
عَلَيْنَا بِهِ سَلَفًا تَتَّبِعُهُ ، وَقَائِدًا نَطَأَ عَقْبَهُ ^(٦) . وَاللَّهِ لَقَدْ رَقَعْتُ

(١) أشخصها : أبعدها (٢) خاصته اسم فاعل في معنى المصدر أى مع خصوصيته ونفذه
عند ربه . وعظيم الزلفة : منزلته العليا من القرب إلى الله . وزوى الدنيا عنه قبضها
وأبعدها (٣) فتأسى خبر يريد به الطلب أى فليقتد مقتد بنبيه (٤) العلم - بالتحريك -
العلامة أى أن بعثته دليل على قرب الساعة حيث لا نبي بعده (٥) خميص : أى خالى
البطن كناية عن عدم التمتع بالدنيا (٦) العقب - بفتح فكسر - مؤخر القدم .

مِدْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا^(١). وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ أَلَا
تُبْذَرُهَا ؟ فَقُلْتُ أَغْرُبُ عَنِّي فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى^(٢)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيِّ وَالْبُرْهَانِ الْجَلِيِّ، وَالنِّهَاجِ الْبَايِ^(٣) وَالْكِتَابِ
الْهَادِي. أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ^(٤)، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ. أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ
وَأَمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ^(٥). مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ وَهَجْرَتُهُ بِطَبِيعَةٍ^(٦). عَلَاهَا ذِكْرُهُ
وَأَمْتَدَّ بِهَا صَوْتُهُ. أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ، وَدَعْوَةٍ
مُتَلَفِّفَةٍ^(٧). أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ، وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ،
وَبَيَّنَ بِهِ الْأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ^(٨). فَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا تَتَحَقَّقُ

ووطوء العقب مبالغة في الاتباع والسلوك على طريقه نفقوه خطوة خطوة حتى كأننا
نظاً مؤخر قدمه (١) المدرعة - بالكسر - ثوب من صوف (٢) اغرب عني : اذهب
وابعد. والمثل معناه إذا أصبح النائمون وقد راوا البارين واصلين إلى مقاصدهم جدوا
سراهم وندموا على نوم أنفسهم، أو إذا أصبح السارون وقد وصلوا إلى ماساروا اليه
جدوا سراهم وإن كان شافاً حيث أبلغهم إلى مقاصدوا. والسرى - بضم ففتح -
السير ليل (٣) أى الظاهر (٤) الأسرة - كغرفة - رهط الرجل الأدنون (٥) مبتدئة :
دانية للاقتطاف (٦) المدينة المنورة (٧) من تلافاه : تداركه بالاصلاح قبل أن يهلكه
الفساد ، فدعوة النبي تلافى أمور الناس قبل هلاكهم (٨) المفصلة التى فصلها الله

شِقْوَتُهُ ، وَتَنْفِصُمُ عُرْوَتُهُ ، وَتَعْظُمُ كِبَوْتُهُ ^(١) . وَيَكُونُ مَا بِهِ إِلَى
الْحَزَنِ الطَّوِيلِ وَالْعَذَابِ الْوَيْلِ . وَأَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ الْإِنَابَةُ
إِلَيْهِ . وَأَسْتَرْشِدُهُ السَّبِيلَ الْمُوَدَّى إِلَى جَنَّتِهِ ، الْقَاصِدَةَ إِلَى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ ^(٢) .
أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ فَإِنَّهَا النِّجَاةُ غَدًا وَالنَّجَاةُ
أَبَدًا . رَهَبٌ فَأَبْلَغَ ، وَرَغَبٌ فَأَسْبَغَ ^(٣) . وَوَصَفَ لَكُمْ الدُّنْيَا
وَأَنْقِطَاعَهَا ، وَزَوَالَهَا وَانْتِقَالَهَا . فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّةِ
مَا يَصْجَبُكُمْ مِنْهَا . أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ ، وَأَنْعَمُهَا مِنْ رِضْوَانِ
اللَّهِ . فَفُضُّوا عَنْكُمْ - عِبَادَ اللَّهِ - غُمُومَهَا وَأَشْغَالَهَا لِمَا قَدْ أَيْقَنْتُمْ بِهِ
مِنْ فِرَاقِهَا وَتَصَرُّفِ حَالَاتِهَا . فَاحْذَرُوهَا حَذَرَ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ ^(٤) وَالْمُجِدِّ
الْكَادِحِ . وَاعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ .
قَدْ تَرَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ ^(٥) ، وَزَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ ، وَذَهَبَ شَرَفُهُمْ
وَعِزُّهُمْ ، وَانْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ . فَبَدُّوا بِقُرْبِ الْأَوْلَادِ فَقَدَهَا ،
وَبِصُحْبَةِ الْأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا . لَا يَتَفَاخَرُونَ ، وَلَا يَتَنَاسَلُونَ ، وَلَا

أى قضى بها على عباده (١) الكبوة : السقطة (٢) أسبغ أى أحاط بجميع وجوه
الترغيب (٣) الشفيق : الخائف . والناصح : الخالص . والمجد : المجتهد . والكادح :
المبالغ فى سعيه (٤) ترايلت : تفرقت . والواصل : المفاصل أو مجتمع العظام وتفرقها

يَتَزَاوَرُونَ ، وَلَا يَتَجَاوَرُونَ . فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ حَذَرَ الْغَالِبِ لِنَفْسِهِ ،
الْمَانِعِ لَشَهْوَتِهِ ، النَّاطِرِ بِعَقْلِهِ . فَإِنَّ الْأَمْرَ وَاضِحٌ ، وَالْعِلْمَ قَائِمٌ ،
وَالطَّرِيقَ جَدَدٌ ، وَالسَّبِيلَ قَصْدٌ^(١)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ وَقَدْ سَأَلَهُ : كَيْفَ دَفَعَكُمْ قَوْمُكُمْ
عَنْ هَذَا الْمَقَامِ وَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ ؟ فَقَالَ :

يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِيعِ^(٢) تَرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدَدٍ ، وَلَكَ
بَعْدُ ذِمَامَةُ الصَّهْرِ وَحَقُّ الْمَسْأَلَةِ ، وَقَدْ اسْتَعْلَمْتَ فَأَعْلَمَ . أَمَّا الْإِسْتِبْدَادُ
عَلَيْنَا بِهَذَا الْمَقَامِ وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَبًا ، وَالْأَشْدُونَ بِرِسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَوَاطًا^(٣) ، فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نَفُوسُ

كناية عن تبدهم وفنائهم (١) الجدد- بالنحر يك- المستوى السلوك والقصد القويم
(٢) الوضعين : بطن يشد به الرجل على البعير كالخزام للسرّج ، فإذا قلق واضطرب
اضطرب الرجل فكثير تحمل الجمل وقل ثباته في سيره . والارسال : الاطلاق والاهمال .
والسد- محركا- الاستقامة ، أى تطلق لسانك بالكلام في غير موضعه كحركة الجمل المضطرب
في مشيته . والذمامة : الحماية والكفاية . والصهر : الصلة بين أقارب الزوجة وأقارب
الزوج ، وإنما كان للأسدى حامية الصهر لأن زينب بنت جحش زوجة رسول الله
كانت أودية (٣) النوط - بالفتح- التعلق . والاثرة : الاختصاص بالشيء ، دون مستحقه .

قَوْمٍ، وَسَخَتْ عَنْهَا نَفُوسُ آخَرِينَ. وَالْحُكْمُ، اللَّهُ وَالْمَعُودُ إِلَيْهِ الْقِيَامَةُ

وَدَعَّ عَنْكَ نَهَبًا صَبِيحَ فِي حَرَاتِهِ ^(١)

وَهَلُمَّ الْخُطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ ^(٢)، فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ
إِبْكَائِهِ. وَلَا غَرَوْا وَاللَّهِ فَيَالَهُ خُطْبًا. يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ، وَيُكْثِرُ
الْأَوْدَ. حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ اللَّهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ، وَسَدَّ فَوَارِهِ مِنْ
يَنْبُوعِهِ ^(٣)، وَجَدَحُوا يَبْنِي وَيَبْنِيهِمْ شَرِبًا وَيَبْنِيًا ^(٤). فَإِنْ تَرْتَفِعْ عَنَّا وَعَنَّهُمْ
مَحْنُ الْبَلَوَى أَحْمِلُهُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ ^(٥)، وَإِنْ تَكُنِ الْآخَرَى ^(٦)
« فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ »

والمراد بمن سخت نفوسهم عن الأمر أهل البيت (١) البيت لامرئ القيس. وتمته :

وهات حديثاً ما حديث الرواحل

قاله عند ما كان جارا لخالد بن سدوس فأغار عليه بنو جديلة فذهبوا بأهله فسكا
لمجبره خالد فقال له أعطني رواحلك ألحق بها القوم فأردا بك وأهلك ؟ فأعطاه ،
وأدرك خالد القوم فقال لهم ردوا ما أخذتم من جاري ، فقالوا ما هولك بجار ، فقال
والله انه جاري وهذه رواحله ، فقالوا رواحله ؟ فقال نعم . فرجعوا اليه وأنزلوه عنهن
وذهبوا بهن . والنهب بالفتح الغنيمة . وصيح أي صاحوا للغارة . في حجراته جمع حجرة
بفتح الحاء الناحية . ووجه التمثيل ظاهر (٢) هلم : اذ كر . والخطب عظيم الأمر وعجيبه
الذي أدى لقيام من ذكره لمنازعة في الخلافة . والوداد العوجاج (٣) القوار والفؤارة
من الينبوع : الثقب الذي يفور الماء منه بشدة (٤) جدحوا : خلطوا . والشرب بالكسر
النصيب من الماء . والوبىء : ما يوجب شر به الوباء ، يريد به الفتنة التي يزدهنها نزاعا
له في حقه كأنها ماء خلط بالمواد السامة القاتلة (٥) محض الحق : خالصه (٦) وإن لا يزالوا

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْعِبَادِ، وَسَاطِعِ الْمِهَادِ، وَمُسِيلِ الْوَهَادِ، وَمُخْصِبِ النَّجَادِ^(١). لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ أُنْبَاءٌ، وَلَا لِآخِرِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ. هُوَ الْأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ، وَالْبَاقِي بِلاَ أَجَلٍ. خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ، وَوَحَدَتْهُ الشِّفَاهُ. حَدَّ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةٌ لَهُ مِنْ شَبَهٍ^(٢). لَا تُقَدَّرُهُ الْأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ وَالْحَرَكَاتِ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَدَوَاتِ. لَا يُقَالُ لَهُ مَتَى، وَلَا يُضْرَبُ لَهُ أَمْدٌ بِحَتَّى. الظَّاهِرُ لَا يُقَالُ مِمَّا^(٣)، وَالْبَاطِنُ لَا يُقَالُ فِيمَا. لَا شَبَحَ فَيَتَقَضَّى^(٤)، وَلَا مَحْجُوبٌ فَيُخَوَى. لَمْ يَقْرُبْ مِنْ الْأَشْيَاءِ بِالتَّصَاقِ، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاقٍ. لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصٌ لَحْظَةً^(٥)، وَلَا كُرُورٌ لَفْظَةً، وَلَا أزدِلَافٌ رُبُوبَةً^(٦)، وَلَا أَنْبَسَاطٌ خُطُوبَةً فِي لَيْلٍ

مفتونين فلا تمت نفسك غما عليهم (١) المهاد : الأرض . والوهاد - جمع وهدة - ما انخفض من الأرض . والنجاه - جمع نجد - ما ارتفع منها ، وتسيل الوهاد بمياه الأمطار ، وتخصيب النجاد بأنواع النبات (٢) الإبانة ههنا التمييز والفصل ، والضمير في له يرجع إليه سبحانه أي تمييزاً لذاته تعالى عن شبهها أي مشابهتها . وإبانة مفعول لأجله يتعاقب بمحد ، أي حد الأشياء تنزيهاً لذاته عن مماثلتها (٣) ظاهر بآثار قدرته ولا يقال من أي شيء ظهر (٤) ليس بجسم فيفنى بالانحلال (٥) شخوص لحظة : امتداد بصر (٦) ازدلاف الربوبية : تقربها من النظر وظهورها له لأنه يقع عليها قبل المنخفضات

دَاجٍ^(١) ، وَلَا غَسَقٍ سَاجٍ ، يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ^(٢) ، وَتَعْقِبُهُ الشَّمْسُ
ذَاتُ النُّورِ فِي الْأَفْوَلِ وَالْكُرُورِ^(٣) ، وَتَقْلُبِ الْأَزْمِنَةَ وَالذُّهُورِ .
مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ وَإِذْبَارِ نَهَارٍ مُذِيرٍ . قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ وَمُدَّةٍ^(٤) ، وَكُلِّ
إِحْصَاءٍ وَعِدَّةٍ . تَعَالَى عَمَّا يَنْحُلُهُ^(٥) الْمُحَدَّدُونَ مِنْ صِفَاتِ الْأَقْدَارِ ،
وَنِهَائِيَّاتِ الْأَقْطَارِ . وَتَأْتِلِ الْمَسَاكِينُ^(٦) ، وَتَمَكُنِ الْأَمَّاكِينُ . فَالْحُدُّ
لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ ، وَإِلَى غَيْرِهِ مَنُصُوبٌ . لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ مِنْ أَصُولٍ
أَزَلِيَّةٍ ، وَلَا أَوَائِلٍ أَبَدِيَّةٍ ، بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ حَدَّهُ ، وَصَوَّرَ
مَا صَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ^(٧) لَيْسَ لَشَيْءٍ مِنْهُ أُمْتِنَاعٌ^(٨) ، وَلَا لَهُ بِطَاعَةٌ

(١) الداجي : المظلم . والغسق : الليل . وساج أي ساكن لاحتكاكه فيه (٢) أصل التفيؤ
للظل نسخ نور الشمس . ولما كان الظلام بالليل عاما كالضياء بالنهار عبر عن نسخ
نور القمر له بالتفيؤ تشبيهاً له بنسخ الظل لضياء الشمس ، وهو من لطيف التشبيه
ودقيقه (٣) الأفول : المغيب . والكرور : الرجوع بالشروق (٤) قوله قبل كل غاية
متعلق بـيخفى على معنى السلب، أي لا يخفى عليه شيء من ذلك قبل كل غاية، أي يعلمه
قبل الخ . ويصح أن يكون خبراً عن ضمير الذات العلية، أي هو موجود قبل كل غاية
الخ (٥) نحله القول - كنعمة - نسبة إليه أي عما ينسبه المحددون لذاته تعالى والمعرفون لها .
من صفات الأقدار جمع قدر - بسكون الدال - وهو حال الشيء من الطول والعرض والعمق
ومن الصغير والكبير . ونهايات الأقطار هي نهايات الأبعاد الثلاثة المتقدمة (٦) التأتل : التأصل
(٧) لم تكن مواد متساوية في القدم والأزلية وكان له فيها أثر التصوير والنشكيل
فقط ، بل خلق المادة بجوهرها ، وأقام لها حداً ، أي ما به امتازت عن سائر الموجودات
وصور منها ما صور من أنواع النباتات والحيوانات وغيرها (٨) أي لا يمتنع عليه

شَيْءٌ اُنْتَفَاعٌ . عِلْمُهُ بِالْأَمْوَاتِ الْمَاضِينَ كَعِلْمِهِ بِالْأَحْيَاءِ الْبَاقِينَ ،
وَعِلْمُهُ بِمَا فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الْأَرْضِينَ السُّفْلَى
(مِنْهَا) أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ ^(١) ، وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعَى فِي ظُلُمَاتِ
الْأَرْحَامِ ، وَمُضَاعَفَاتِ الْأَسْتَارِ . بُدِئَتْ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ^(٢) ، وَوُضِعَتْ
فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ، إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ، وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ . تَمُورُ فِي بَطْنِ أُمِّكَ
جَنِينًا لَا تُحِيرُ دُعَاءَ وَلَا تَسْمَعُ نِدَاءً . ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقْرَنِكَ إِلَى دَارٍ
لَمْ تَشْهَدْهَا ، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا . فَمِنْ هَذَاكَ لِاجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ
تَدْيِ أُمِّكَ ، وَعَرَفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَإِرَادَتِكَ . هِيَئَاتِ ،
إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَاتِ ذِي الْهِئَةِ وَالْأَدَوَاتِ فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ
أَعْجِزٌ . وَمِنْ : تَنَاوُلِهِ بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِينَ أَبَعْدُ

يمكن إذا قال للشيء كن فيكون (١) مستوى الخلقة لانقص فيه . والمنشأ المبتدع .
والمرعى المحفوظ (٢) السلالة من الشيء : ما نسل منه . والنطفة : مزيج ينسل من البدن
المؤلف من عناصر الأرض المخلوطة بالمواد السائلة ، فالزواج البدني أشبه بالزواج الطبي
بل هو [منه] بنوع اتقان واحكام . والقرار المسكين : محل الجنين من الرحم . والقدر المعلوم :
مبلغ المدة المحددة للحمل . وتمور : تتحرك . ولا تحير ، من قولهم ما أحرار جوابا ما رد
أى لا نستطيع دعاء

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَشَكَّوْا مَا يَقُومُهُ عَلَى عُثْمَانَ
وَسَأَلُوهُ مُحَاطَبَتَهُ عَنْهُمْ وَأَسْتَعْتَابَهُ لَهُمْ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ

إِنَّ النَّاسَ وَرَأَى وَقَدْ اسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ^(١) . وَاللَّهِ مَا أَدْرِي
مَا أَقُولُ لَكَ ؟ مَا أَعْرِفُ شَيْئًا تَجْهَلُهُ ، وَلَا أَدْلُكَ عَلَى أَمْرٍ لَا تَعْرِفُهُ . إِنَّكَ
لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ . مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ ، وَلَا خَلَوْا نَابِشِي فَنُبْلِغَكَهُ .
وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا ، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا ، وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا صَحَبْنَا . وَمَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلَا ابْنُ الْخَطَّابِ أَوْلَى بِعَمَلِ
الْحَقِّ مِنْكَ ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
وَشَيْجَةَ رَحِمٍ مِنْهُمَا^(٢) . وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهرِهِ مَا لَمْ يَنَالَ . فَاللَّهُ اللَّهُ فِي
نَفْسِكَ ، فَإِنَّكَ وَاللَّهِ مَا تُبَصِّرُ مِنْ عَمِّي وَلَا تَعْلَمُ مِنْ جَهْلٍ ، وَإِنَّ الطَّرِيقَ

(١) استسفروني : جعلوني سفيراً (٢) الشيعة : اشتباك القرابة ، وإنما كان
عثمان أقرب وشيجه لرَسُولِ اللَّهِ لَأنه من بني أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف
رابع أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أما أبو بكر فهو من بني تميم بن مرة سابع
أجداد النبي ، وعمر من بني عدى بن كعب ثامن أجداده صلى الله عليه وآله وسلم . وأما
أفضليته عليهما في الصهر فلأنه تزوج ببنتي رسول الله رقية وأُم كلثوم ، توفيت الأولى
فزوجه النبي بالثانية ولذا سُمي ذا النورين . وغاية ما نال الخليفان أن النبي تزوج

لَوَاضِحَةً، وَإِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ. فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ
 إِمَامٌ عَادِلٌ هُدًى وَهَدًى، فَأَقَامَ سُنَّةَ مَعْلُومَةٍ، وَأَمَاتَ بِدْعَةَ مَجْهُولَةٍ.
 وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَسِيرَةٍ لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ الْبِدَعَ لظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ. وَإِنَّ
 شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ، فَأَمَاتَ سُنَّةَ مَأْخُودَةٍ،
 وَأَحْيَى بِدْعَةَ مَتْرُوكَةٍ. وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
 يَقُولُ «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَازِرٌ
 فَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى ثُمَّ يَرْتَبِطُ فِي قَرْنِهَا»^(١)
 وَإِنِّي أَنْشِدُكَ اللَّهَ أَنْ لَا تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولِ، فَإِنَّهُ كَانَ
 يُقَالُ: يُقْتَلُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ
 الْقِيَامَةِ، وَيَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا، وَيَبْثُ الْفِتْنَ عَلَيْهَا، فَلَا يُبْصِرُونَ
 الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ. يَمْوِجُونَ فِيهَا مَوْجًا، وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجًا»^(٢). فَلَا
 تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً^(٣) يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلَالِ السَّنِّ وَتَقْضَى
 أَلْعُمُرِ. فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَلَّمَ النَّاسَ فِي أَنْ يُوجِّلُونِي
 حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ» فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ
 فَلَا أَجَلَ فِيهِ، وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وَصُورُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ

من بناتهما (١) ربطه فارتبط، أى شده وحبسه (٢) المرج: الخلط (٣) السيقه - ككيسه -
 ما استاقه العدو من الدواب، وكان مروان كاتباً ومشيراً لعثمان

وَمِنْ حُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
يَذْكُرُ فِيهَا عَجِيبَ خَلْقِ الطَّائُوسِ

أَبْتَدَعَهُمْ خَلْقًا عَجِيبًا مِنْ حَيَوَانَ وَمَوَاتٍ ، وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ .
فَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صَنْعَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ مَا أَنْقَادَتْ
لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ وَمُسَلِّمَةً لَهُ . وَنَعَتَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلَالِيَهُ عَلَى
وَحْدَانِيَّتِهِ ^(١) ، وَمَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُورِ الْأَطْيَارِ ^(٢) الَّتِي أَسْكَنَهَا أَحَادِيدَ
الْأَرْضِ وَخُرُوقَ فِجَاجِهَا ، وَرَوَاسِيَ أَعْلَامِهَا . مِنْ ذَاتِ أَجْنَحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ ،
وَهَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ ، مُصَرَّفَةٍ فِي زِمَامِ التَّسْخِيرِ ^(٣) وَمُرْفَرَفَةٍ بِأَجْنَحَتِهَا فِي
غَخَارِقِ الْجَوِّ الْمُتَفَسِّحِ ، وَالْفَضَاءِ الْمُنْفَرِّجِ . كَوْنَهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ فِي
عَجَائِبِ صُورِ ظَاهِرَةٍ ، وَرَكَّبَهَا فِي حِقَاقِ مَفَاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ ^(٤) . وَمَنْعَ

(١) نعتت من نعت بغنمه - كنع - صاح (٢) ذرأ: خلق. والأخاديد - جمع أخدود الشق في الأرض والخروق جمع خرق - : الأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح. والفجاج - جمع فج - الطريق الواسع وقد يستعمل في متسع الفلا. والأعلام جمع علم بالتحريك ، وهو الجبل (٣) يصرفها الله في أطوار مختلفة تنتقل فيها بزمام تسخيرها واستخدامه لها فيها خلقها لأجله. ومرفرفة من رفراف الطائر بسط جناحيه. والمخارق - جمع مخرق - الفلاة. وشبه الجوب بالفلاة للسعة فيهما (٤) الحقائق - ككتاب - : جمع حق بالضم - مجتمع المفصلين واحتجاب المفاصل : استنارها باللحم والجلد والعبالة : الضخامة. ويسمى يرتفع وخفوقا مرعة وخفة. ودفيق الطائر : مروره فوق الأرض ، وأوان يحرك جناحيه ورجلاه

بَعْضَهَا بِعِبَالَةٍ خَلَقَهُ أَنْ يَسْمُوَ فِي السَّمَاءِ خُفُوفًا ، وَجَعَلَهُ يَدْفُ دَفِيفًا .
وَنَسَقَهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا فِي الْأَصَابِغِ ^(١) بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ وَدَقِيقِ صَنْعَتِهِ .
فَإِنَّهَا مَعْمُوسٌ فِي قَالِبٍ ^(٢) لَوْنٍ لَا يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنٍ مَا تُغِيسَ فِيهِ . وَمِنْهَا
مَعْمُوسٌ فِي لَوْنٍ صَبِغٍ قَدْ طَوَّقَ بِخِلَافٍ مَا صُبِغَ بِهِ وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقًا
الطَّائُوسُ الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ ، وَلِتَضَدَّ أَلْوَانُهُ فِي أَحْسَنِ
تَنْضِيدٍ ^(٣) ، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبُهُ ، وَذَنْبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ . إِذَا دَرَجَ إِلَى
الْأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طِيَّهِ ، وَسَمَّا بِهِ مُطَلًّا عَلَى رَأْسِهِ ^(٤) كَأَنَّهُ قَلْعٌ دَارِيٌّ
عَنْجَبَهُ نُوتِيَّهُ . يَخْتَالُ بِالْوَانِهِ ، وَيَمِيسُ بِزَيْفَانِهِ . يُفْضِي كَأَفْضَاءِ الدِّيَكَةِ ،
وَيَوُزُّ بِمَلَاقِحَةٍ أَرَّ الْفُحُولِ الْمُغْتَلِمَةِ ^(٥) فِي الضَّرَابِ . أَجْمَلُكَ مِنْ ذَلِكَ

في الأرض . ويدف بضم الدال (*) (١) نسقها : رتبها . والأصباغ : جمع أصباغ - بفتح الهمزة -
جمع صبغ بالكسر وهو اللون أو ما يصبغ به (٢) القالب مثال تفرغ فيه الجواهر
لأنه على قدره . والطائر ذو اللون الواحد كأنما أفرغ في قالب من اللون . وقوله
قد طوق أي جميع بدنه بلون واحد إلا لون عنقه فإنه يخالف سائر بدنه كأنه طوق
صبغ حلته (٣) التنضيد : النظم والترتيب . وقوله أشرج قصبه : أي داخل بين أحاده
ونظمها على اختلافها في الطول والقصر وإذا مشى إلى أثنائه ليسافدها نشر ذلك الذنب
بعد طيه (٤) سمابه أي ارتفع به ، أي رفعه مطلقاً على رأسه ، أي مشرفاً عليه كأنه
يظله . والقلع - بكسر فسكون - شراع السفينة . وعنجه : جذبه فرفعه ، من عنجت
البعير إذا جذبته بخطامه فرددته على رجله . ويختال : يعجب . ويميس : يتبعثر
بزيفان ذنبه . وأصل الزيفان التبخر أيضاً ويريد به هنا حركة ذنب الطاووس يمينا
وشمالا (٥) يفضي : أي يسافد أثنائه كما سافد الديكة جمع ديك . ويوزر - كيشد - أي يأتي

عَلَى مُعَايِنَةٍ^(١) ، لَا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَى ضَعِيفِ إِسْنَادِهِ . وَلَوْ كَانَ كَزَعْمٍ مَنْ
 يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُهَا مَدَامِعُهُ^(٢) ، فَتَقِفُ فِي ضَفْتَيْ جُفُونِهِ
 وَأَنْ أَتَأْثَاهُ تَطْعَمُ ذَلِكَ ، ثُمَّ تَبْيِضُ لَا مِنْ لِقَاحٍ فَحَلٍ سِوَى الدَّمْعِ الْمُنْبَجِسِ
 لَمَّا كَانَ ذَلِكَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعِمَةِ الْغُرَابِ^(٣) . تَخَالُ قَصَبَهُ مَدَارِي مِنْ
 فِضَّةٍ وَمَا أَتَيْتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ ذَارَاتِهِ وَشُمُوسِهِ خَالِصِ الْعَقِيَّانِ
 وَفِلَذِ الزَّبَرْجَدِ^(٤) فَإِنْ شَبَّهْتُهُ بِمَا أَتَيْتَ الْأَرْضُ قُلْتَ

أَتَأْثَاهُ . بملاقحة أى مسافدة يفرز فيها مادة تناسلية من عضو التناسل يدفعها في رحم
 قابل . والمطاعمة . على صيغة اسم الفاعل . من اغتمل إذا غلب للشهوة . والضراب :
 لقاح الفحل لأنشاه (١) أى ان لم يكفك الخبر فاني أحولك عنه إلى المعاينة فاذهب
 وعابن نجد صدق ما أقول (٢) تسفحها أى ترسلها أوعية الدمع . وضفة الجفن :
 استعارة من ضفتي النهر بمعنى جانبيه . وتطعم ذلك - كتعلم - أى تذوقه كأنها تترشفه .
 ولقاح الفحل - كسحاب - ماء التناسل يلقح به الأثني . والمنبجس النابع من العين
 (٣) لما كان ذلك بأعجب أى لو صح ذلك الزعم في الطاووس لكان له نظير فيما
 زعموا في مطاعمة الغراب ونلقيحه لأنشاه حيث قالوا ان مطاعمة الغراب بانتقال جزء
 من الماء المستقر في قنطرة الذكر إلى الأثني تتناوله من منقاره . والمائلة بين الزعمين
 في عدم الصحة . ومنشأ الزعم في الغراب اخفاؤه لسفاده حتى ضرب المثل بقولهم : أخفى من سفاد
 الغراب (٤) القصب - جمع قصبة - هى عمود الريش . والمدارى - جمع مدرى بكسر
 الميم - قال ابن الأثير المدرى والمدراة مصنوع من حديد أو خشب على شكل سن من
 أسنان المشط وأطول منه يسرح به الشعر المتلبد ويستعمله من لامشطله . والدارات :
 هالات القمر . والعقيان : الذهب الخالص أو ما ينمو منه في معدنه . وفلذ - كعنب -
 جمع فلذة بمعنى القطعة . وما أتيت معطوف على قصبه . والتشبيه في بياض القصب والصفرة

جَنَى جُنَى مِنْ زَهْرَةٍ كُلِّ رَيْعٍ^(١). وَإِنْ ضَاهَيْتُهُ بِالْمَلَابِسِ فَهُوَ كَمَوْشَى
 الْحُلَلِ^(٢)، أَوْ مُوتِقِ عَصَبِ الْيَمَنِ. وَإِنْ شَا كَلَّتُهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصِ ذَاتِ
 الْوَانَ قَدْ نَطَّقَتْ بِاللَّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ^(٣). يَمْشِي مَشَى الْمَرْحِ الْمُخْتَالِ^(٤)
 وَيَتَصَفَّحُ ذَنْبَهُ وَجَنَاحِيَهُ فَيُقَهِّقُهُ ضَاحِكًا الْجَمَالَ سِرْبًا لَهُ وَأَصَابِيغًا وَشَاحِيَهُ^(٥)
 فَإِذَا رَمَى بِبَصَرِهِ إِلَى قَوَائِمِهِ زَقَامَعُو لَا بِصَوْتٍ يَكَادُ يُبَيِّنُ عَنْ اسْتِغْنَائَتِهِ،
 وَيَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ، لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمَشٌ كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ الْخِلَاسِيَّةِ^(٦)
 وَقَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنُوبِ سَاقِهِ صِيصِيَّةٌ خَفِيَّةٌ^(٧). وَلَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ
 قُنْزَعَةٌ خَضْرَاءُ مُوشَاةٌ^(٨). وَنَخْرَجُ عَنْقَهُ كَالْإِبْرِيْقِ. وَمَعَرَّزُهَا إِلَى حَيْثُ

والخضرة في الريش (١) جنى أى مجتنى جمع كل زهر لأنه جمع كل لون (٢) الموشى :
 المنقوش المنمى على صيغة اسم الفاعل . والعصب - بالفتح - ضرب من البرود منقوش
 (٣) جعل اللجين - وهو الفضة - منطقة لها . والمككل : المزين بالجواهر . فكما تنطق
 الفصوص باللجين كذلك زين اللجين بها (٤) المرح - ككتف - المعجب والمختال الزاهي
 بحسنه (٥) السربال : اللباس مطلقاً أو هو الدرع خاصة والوشاح نظامان من لؤلؤ
 وجوهر يخالف بينهما ويعطف أحدهما على الآخر بعد عقد طرفه به حتى يكونا
 كدائرتين أحدهما داخل الأخرى كل جزء من الواحدة يقابل جزءاً من قرينتها
 ثم تلبسه المرأة على هيئة حالة السيف، وأديم عريض مرصع بالجواهر يلبس كذلك ما بين
 العاتق والكشح (٦) زقايزفو : صاح، وأعول فهو معول رفع صوته بالبكاء بكاديين أى يفصح
 عن استغاثته من كراهة قوائمه أى ساقيه . حش - جمع أحش - أى دقيق . والديك
 الخلامى - بكسر الخاء - هو المتولد بين دجاجتين هندية وفارسية (٧) وقد نجمت
 أى نبتت من ظنوب ساقه أى من حرف عظمه الأسفل صيصية وهى شوكة تكون
 فى رجل الديك . والظنوب - بالضم - كعقوب عظم حرف الساق (٨) القزعة - بضم

بَطْنُهُ كَصَبْغِ الْوَسْمَةِ الْيَمَانِيَّةِ^(١)، أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ بِرَأَةِ ذَاتِ صِقَالٍ^(٢)
وَكَاَنَّهُ مُتَلَفَعٌ بِمَعْجَرٍ أَسْحَمَ^(٣). إِلَّا أَنَّهُ يُخِيلُ لِكثَرَةِ مَائِهِ وَشِدَّةِ
بَرِّيقِهِ أَنَّ الْخَضِرَةَ النَّاصِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ. وَمَعَ فَتَقِ سَمْعِهِ خَطُّ كَمُسْتَدَقِّ
الْقَلَمِ فِي لَوْنِ الْأَقْحُوَانِ^(٤) أَيْضُ يَقِقُ. فَهُوَ بِيَاضِهِ فِي سَوَادِ مَا هُنَاكَ
يَأْتَلِقُ^(٥). وَقَلَّ صَبْغٌ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ^(٦)، وَعَلَاهُ بِكَثَرَةِ صِقَالِهِ
وَبَرِّيقِهِ وَبَصِيصِ دِيْبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ^(٧). فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمَبْثُوثَةِ^(٨) لَمْ تَرْتَبْهَا
أَمْطَارُ رَيْسِجٍ^(٩) وَلَا شُمُوسُ قَيْظٍ. وَقَدْ يَتَحَسَّرُ مِنْ رِيَشِهِ^(١٠)، وَيَعْرِى مِنْ
لِبَاسِهِ، فَبَسَقَطُ تَتْرَى، وَيَنْبُتُ تَبَاعَا، فَيَنْحَتُ مِنْ قَصَبِهِ أَنْجِتَاتُ أَوْ رَاقٍ

القاف والزاي - بينهما سكون - الخصلة من الشعر ترك على رأس الصبي . وموشاة :
منقوشة (١) مغرزاها : الموضع الذي غرز فيه العنق منتهيا إلى مكان البطن لونه
كلون الوسمة وهي نبات يخضب به، أو هي نبات النيل الذي منه صبغ النبايج المعروف
بالنبيلة (٢) الصقال : الجلاء (٣) المعجر - كنبير - : ثوب تعتجر به المرأة فتضع طرفه
على رأسها ثم تمر الطرف الآخر من تحت ذقنها حتى ترده إلى الطرف الأول فيغطي
رأسها وعنقها وعاتقها وبعض صدرها وهو معنى التلفع ههنا . والأسجم الأسود
(٤) الأفحوان : البابونج . والبيقق - محركا - شديد البياض (٥) يلمع (٦) نصب
(٧) علاه أى فاق اللون الذي أخذ نصيباً منه بكثرة جلالة . والبصيص : اللمعان .
والرונق : الحسن (٨) الأزاهير : جمع أزهار جمع زهر (٩) لم ترتبها، فعل من الترتيب .
والقيظ : الحر (١٠) يتحسر هو من ح - أى كشفه، أى وقد - كشف من ريشه .

الْأَغْصَانِ^(١)، ثُمَّ يَتَلَحَّقُ نَامِيًا حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ. لَا يُخَالِفُ سَالِفَ أَلْوَانِهِ، وَلَا يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ. وَإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعْرَاتِ قَصَبِهِ أَرَأَيْتَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً، وَتَارَةً خُضْرَةً زَبْرَجْدِيَّةً، وَأَحْيَانًا صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً^(٢). فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَى صِفَةِ هَذَا عَمَاقِ الْفِطَنِ^(٣)، أَوْ تَبْلُغَهُ قَرَائِحُ الْعُقُولِ، أَوْ تَسْتَظْمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ الْوَاصِفِينَ. وَأَقْلُ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الْأَوْهَامَ أَنْ تُذَكِّرَهُ، وَالْأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ. فَسُبْحَانَ الَّذِي بَهَرَ الْعُقُولَ^(٤) عَنْ وَصْفِ خَلْقِ جَلَالِهِ لِلْعُيُونِ فَأَذْرَكَتُهُ مَحْدُودًا مُكُونًا، وَمُؤَلَّفًا مَلُونًا. وَأَعْجَزَ الْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ، وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ. وَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الذَّرَّةِ^(٥) وَالْهَمْجَةَ إِلَى مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ الْحَيَاتَانِ وَالْأَفِيلَةِ. وَوَأَى عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يَضْطَرِبَ شَبَحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ إِلَّا وَجَعَلَ الْحِمَامَ مَوْعِدَهُ، وَالْفَنَاءَ غَايَتَهُ^(٦)

(مِنْهَا فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ) فَلَوْ رَمَيْتَ بَبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزِفَتْ نَفْسُكَ^(٧) عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا

ونرى أى شيئاً بعد شيء (١) ينحت : يسقط وينقشر (٢) ذهبية (٣) عمائق جمع عميقة (٤) بهر العقول : قهرها وفردها. وجلال - كجلاله - كشفه (٥) الذرة : واحدة الذرة : صغار النمل . والهمجة - محركة - واحدة الهمج : ذباب صغير يسقط على وجوه النعم . وقوائمه : أرجلها . وأدمجها : أودعها فيها (٦) وأى : وعد . والحمام : الموت (٧) عزفت الابل - كفرج - اشتكت بطونها من أكل العزف : وهو الثام ، أى لكرهت بدائع

وَلَذَاتَهَا وَزَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا ، وَلَذَهْلَتِ بِالْفِكْرِ فِي أَصْطِفَاقِ أَشْجَارِ^(١)
 غَيْبَتِ عُرُوقَهَا فِي كُثْبَانِ الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا ، وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ
 اللُّوْلُؤِ الرُّطْبِ فِي عَسَالِيحِهَا وَأَفْنَانِهَا^(٢) ، وَطُلُوعِ تِلْكَ الثَّمَارِ مُخْتَلِفَةٍ فِي
 غُلْفِ أَكْمَامِهَا^(٣) . تُحْنِي مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ^(٤) فَتَأْتِي عَلَى مُنِيَةِ مُجْتَنِيهَا ،
 وَيُطَافُ عَلَى نُزُلِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالْأَغْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ^(٥) ، وَالْحُمُورِ
 الْمُرَوَّقَةِ . قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكَرَامَةُ تَتِمَادَى بِهِمْ حَتَّى حَلُّوا دَارَ الْقَرَارِ^(٦) ،
 وَأَمِنُوا ثِقْلَةَ الْأَسْفَارِ . فَلَوْ شَغَلَتْ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ إِلَى
 مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاظِرِ الْمُؤَنِقَةِ^(٧) لَزَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقًا إِلَيْهَا ،
 وَلَتَحَمَلْتِ مِنْ مَجْلِسِي هَذَا إِلَى مُجَاوَرَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ اسْتِمْعَالًا بِهَا . جَعَلْنَا
 اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ سَعَى بِقَلْبِهِ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ .

(تَفْسِيرُ بَعْضِ مَا فِي هَذِهِ الْخُطْبَةِ مِنَ الْغَرِيبِ^(*))

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيُورُثُ بِمَلَاحَةِ الْأَرُ كِنَايَةً عَنِ النِّكَاحِ ، يُقَالُ أَرَا الْمَرْأَةَ

الدنيا كما تكره الابل الثام أو لتألت نفسك من النظر والتناول لما تراه من بدائع
 الدنيا كما تألم بطون الابل من أكل الثام (١) اصطفاق الأشجار : تضارب أوراقها
 بالنسيم بحيث يسمع لها صوت . والكثبان - جمع كتيب - وهو التل (٢) جمع فن
 - بالنحر يك - وهو الفصن (٣) غاف بضمين - جمع غلاف - والأكام جمع كم بكسر
 الكاف - وهو وعاء الطلع وغطاء النوار (٤) تحنى من حناه حنوا عطفه (٥) المصفاة
 (٦) قوله قوم الخ أى هم قوم أى نزال الجنة قوم شأنهم ما ذكره (٧) المؤنقة : المعجبة

(*) هذا التفسير غير موجود في بعض النسخ

يُورِثُهَا أَى نَكَحَهَا ، وَقَوْلُهُ كَأَنَّهُ قُلِعُ دَارِي عَنَجَهُ نُوتِيَهُ : الْقِلْعُ شِرَاعُ
السَّفِينَةِ ، وَدَارِيٌّ : مَنْسُوبٌ إِلَى دَارِينَ ، وَهِيَ بَلَدَةٌ عَلَى الْبَحْرِ يُجْلِبُ مِنْهَا
الطِّيبُ . وَعَنَجَهُ أَى عَطَفَهُ . يَقَالُ عَنَجْتُ النَّاقَةَ - كَنَصَرْتُ - أَعْنَجُهَا عَنَجًا
إِذَا عَطَفْتُمَا . وَالذُّوِّيُّ الْمَلَّاحُ . وَقَوْلُهُ صَفَّتِي جُفُونِي ، أَرَادَ جَانِبِي جُفُونِي .
وَالضَّفَّتَانِ الْجَانِبَانِ . وَقَوْلُهُ وَفِلَذِ الزَّبَرْجِدِ ، الْفِلَذُ : جَمْعُ فِلَذَةٍ ، وَهِيَ
الْقِطْعَةُ . وَقَوْلُهُ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرُّطْبِ ، الْكِبَاسَةُ : الْعِدْقُ ^(١) .
وَالْعَسَالِيحُ الْغُصُونُ ، وَاحِدُهَا عُسْلُوجٌ)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَيْتَ أَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرُكُمْ ^(٢) ، وَلَيْتَ أَسَّ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرُكُمْ .
وَلَا تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَهُونَ ، وَلَا عَنِ اللَّهِ
يَعْتَلُونَ . كَقَيْضٍ بَيْضٍ فِي أَدَاخٍ ^(٣) يَكُونُ كَسَرُهَا وَزَرًّا . وَيُخْرِجُ
خِضَانَهَا شَرًّا

(١) العدق للنخلة كالعنقود للعنب مجموع الثمار يخ وما قامت عليه من العرجون
(٢) ليتأس : أى ليقند (٣) القيض : النشرة العليا اليابسة على البيضة . والأداحى
- جمع أدحى - كالجى وهو مبيض النعام فى الرمل تدحوه برجلها لتبيض فيه فإذا
مر مار بالأداحى فرأى فيها بيضاً أرقط ظن أنه بيض القطا لكثرة والفه للأفاحيس .
والقأ يبيض فيها فلا يسوغ العار أن يكسر البيضه ، وربما كان فى الحقيقة بيض شيطان
فيخرج خضانه الدبر له شراً ، وكذلك الانسان الجاهل الجانى ضررته الانسانية

(مِنْهَا) أَفْتَرُقُوا بَعْدَ الْفَتْهِمْ ، وَتَشْتَتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ . فَمِنْهُمْ آخِذٌ
بِفُضْنٍ أَيْنَمَا مَالَ مَالٌ مَعَهُ . عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمِّيَّةٍ
كَمَا تَجْتَمِعُ قَرْعُ الْخَرِيفِ ^(١) يُؤَلِّفُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكَّامًا
كُرَّ كَامِ السَّحَابِ . ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابًا يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَشَارِهِمْ
كَسِيلِ الْجَنَّتَيْنِ ، حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ ، وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكْمَةٌ ،
وَلَمْ يَرُدَّ سَنَّهُ رَصٌّ طَوْدٍ ، وَلَا حِدَابٌ أَرْضٍ . يُرْغِزُهُمُ اللَّهُ فِي بُطُونِ
أَوْدِيَّتِهِ ^(٢) ، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ
قَوْمٍ ، وَيُمْكِّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ . وَأَيْنُمُ اللَّهُ لِيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ

من اتلافه ولا ينتج الابقاء عليه إلا شراً ، فانه بجعله يكون أشد ضرراً على الناس
من الثعبان بسمه (١) القرع - محركا - : القطع المتفرقة من السحاب واحده قرعة
بالتحريك . والركام : السحاب المتراكم . والمستشار : موضع انبعاثهم نائرين . وسيل
الجنتين ، هو الذي سماه الله سيل العرم الذي عاقب الله به سباً على ما بطروا نعمته
فدمر جناتهم وحول نعيمهم شقاء . والقارة - كالقرارة - ما طمان من الأرض . والأكمة
- محركة - غليظ من الأرض يرتفع عما حواله . والسنن يريد به الجرى . والطود : الجبل
العظيم والمقصود الجمع . والرص يراد به الارتصاص أى الانضمام والتلاصق ، أى لم يمنع
جريته تلاصق الجبال . والحداب - جمع حذب بالتحريك - ما غلظ من الأرض في ارتفاع
(٢) يرغزهم : يفرقهم . وبطون الأودية كناية عن مسالك الاختفاء ، ثم يسلكهم
ينابيع في الأرض أى أنهم يسرون دعوتهم وينفثونها في الصدور حتى تنور نائرتها
في القلوب كما تنور الينابيع من عيونها . وقد كان ذلك في قيام الهاشميين على الأمويين

الْمُلُوءُ وَالْتَمَكِينَ^(١) كَمَا تَذُوبُ الْأَلْيَةُ عَلَى النَّارِ

أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ لَمْ تَتَّخِذُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ
الْبَاطِلِ . لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ ، وَلَمْ يَقُومَنَّ قَوِي
عَلَيْكُمْ . لَكِنَّكُمْ تَهْتُمُ مَتَاهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ . وَلَعَمْرِي لِيُضَعِفَنَّ لَكُمْ
الَّتِيهِ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافًا^(٢) . بِمَا خَلَقْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ، وَقَطَعْتُمُ
الْأَذَى وَوَصَلْتُمُ الْإِبْعَدَ . وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنْ اتَّبَعْتُمُ الدَّاعِيَ لَكُمْ
سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ الرَّسُولِ ، وَكُفَيْتُمْ مَوْثُونَةً الْإِغْتِسَافِ ، وَتَبَدَّثُمْ
الثَّقَلُ الْفَادِحَ عَنِ الْأَعْنَاقِ^(٣)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي أَوَّلِ خِلَافَتِهِ

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ كِتَابًا هَادِيًا يَنْ فِيهِ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ . فَخُذُوا مِنْهُجِ
الْخَيْرِ تَهْتَدُوا ، وَأَصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا^(٤) . الْفَرَائِضَ الْفَرَائِضَ ،
أَدْوَهَا إِلَى اللَّهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ . إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ حَرَامًا غَيْرَ مَجْهُولٍ ، وَأَحَلَّ
حَلَالًا غَيْرَ مَدْخُولٍ^(٥) ، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحُرْمِ كُلِّهَا ، وَشَدَّ

في زمن مروان الحمار (١) الضمير في أيديهم لبني أمية . والالية الشحمة (٢) ليضعفن
لكم التيه : لتزدن لكم الحيرة أضعاف ما هي لكم الآن (٣) الفادح - من فدحه
الدين إذا أنقله (٤) صدف : أعرض . والسمت : الجهة . وتقصدوا تستقيموا (٥) معيب

بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا^(١). فَالْمُسْلِمُ مَنْ
 سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ إِلَّا بِالْحَقِّ. وَلَا يَحِلُّ أَذَى الْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا
 يَجِبُ. بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ وَخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ الْمَوْتُ^(٢) فَإِنَّ النَّاسَ
 أَمَاتَكُمْ، وَإِنَّ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ. تَحَقَّقُوا تَلَحُّقُوا، فَإِنَّمَا
 يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ. اتَّقُوا اللَّهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ
 حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ وَالْبَهَائِمِ، أَطِيعُوا اللَّهَ وَلَا تَعُصُوهُ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ
 فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بَعْدَ مَا بُوِيعَ بِالْخِلَافَةِ، وَقَدْ قَالَ لَهُ قَوْمٌ مِنَ الصَّحَابَةِ
 لَوْ عَاقَبْتَ قَوْمًا مِمَّنْ أَجْلَبَ عَلَى عُثْمَانَ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

يَا إِخْوَتَاهُ إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْمَلُونَ، وَلَكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةٍ
 وَالْقِسْمُ الْمُجْلِبُونَ عَلَى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ، يَمْلِكُونَنَا وَلَا نَمْلِكُهُمْ.

(١) أى جعل الحقوق مرتبطة بالإخلاص والتوحيد لا تنفك عنه . ومعاهد الحقوق :

١- رَأْيُهَا مِنَ التَّمَمِ (٢) بادره : عاجله ، أى عاجلوا أمر العامة بالإصلاح لئلا يغلبكم الفساد
 ٢- تَلَحُّقُوا ، فإذا انقضى عملكم فى شؤون العامة فبادروا الموت بالعمل الصالح كيلا
 ٣- تَمْلِكُونَنَا ، أى غفلة فلا تكونوا منه على أهبة . وفى تقديم الامام أمر العامة على أمر
 ٤- الحجة دليل على أن الأول أهم ولا يتم الثانى إلا به . وهذا ماضافت عليه الأدلة الشرعية

وَهَاهُمْ هُوْلَاءِ قَدْ تَارَتْ مَعَهُمْ عُبْدَانُكُمْ ، وَالتَّفَّتْ إِلَيْهِمْ آغْرَابُكُمْ ،
وَهُمْ خِلَالَكُمْ^(١) يَسْؤُمُونَكُمْ مَا شَاءُوا . وَهَلْ رَوْنَ مَوْضِعًا لِقُدْرَةٍ
عَلَى شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ . إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَمْرُ جَاهِلِيَّةٍ . وَإِنَّ لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ
مَادَّةً^(٢) . إِنَّ النَّاسَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ - إِذَا حُرِّكَ - عَلَى أُمُورٍ : فِرْقَةٌ تَرَى
مَاتَرُونَ ، وَفِرْقَةٌ تَرَى مَا لَا تَرُونَ ، وَفِرْقَةٌ لَا تَرَى هَذَا وَلَا ذَاكَ ، فَاصْبِرُوا
حَتَّى يَهْدِيَ النَّاسُ ، وَتَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا ، وَتُؤْخَذَ الْحُقُوقُ مُسَمِّحَةً^(٣)
فَاهْدُوا عَنِّي ، وَانْظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي . وَلَا تَفْعَلُوا فَعْلَةً
تُضْعِضُ قُوَّةً ، وَتُسْقِطُ مَتَةً ، وَتُورِثُ وَهْنًا وَذِلَّةً^(٤) . وَسَأُتِمِّسُكُمُ الْأَمْرَ
مَا اسْتَمْسَكَ . وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدًّا فَآخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيُّ^(٥)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عِنْدَ مَسِيرِ أَصْحَابِ الْجَمَلِ إِلَى الْبَصْرَةِ

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ رَسُولًا هَادِيًا بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ ، لَا يَهْلِكُ عَنْهُ
إِلَّا هَالِكٌ^(٦) . وَإِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ الْمُشَبَّهَاتِ هُنَّ الْمُهْلِكَاتُ^(٧) إِلَّا مَا حَفِظَ

وان غفل عنه الناس في أزماننا هذه (١) خلاصكم : فيما بينكم (٢) مادة أي عوناً ومدا
(٣) مسمحة : اسم فاعل ، من أسمع إذا جاد وكرم ، كأنها تيسرها عند القدرة
تجود عليه بنفسها فيأخذها (٤) ضعضعه : هدمه حتى الأرض . والنتة بالضم - القدرة .
والوهن : الضعف (٥) الكي كناية عن القتل (٦) الامن كان في طبعه عوج جبلي
ختم عليه الشفاء الأبدى (٧) البدع الملبسة توب الدين المشبهة بعمى المهلكة إلا أن يحفظ

اللَّهُ مِنْهَا . وَإِنَّ فِي سُلْطَانِ اللَّهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ . فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ
 مُلَوَّمَةٍ وَلَا مُسْتَكْرَهٍ بِهَا^(١) . وَاللَّهُ لَتَفْعَلَنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ اللَّهُ عَنْكُمْ سُلْطَانَ
 الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ لَا يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَدًا حَتَّى يَأْرِزَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِكُمْ^(٢) .
 إِنَّ هُوَ لَا يَزَالُ قَدْ تَمَلَّأَ وَاعَلَى سَخْطَةِ إِمَارَتِي^(٣) ، وَسَاصِبِ مَالَمُ أَخَفَّ
 عَلَى جَمَاعَتِكُمْ . فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَمُوا عَلَى فَيَالَةِ هَذَا الرَّأْيِ^(٤) أَنْتَقَطَعَ نِظَامُ
 الْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّمَا طَلَبُوا هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَدًا لِمَنْ أَفَاءَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَأَرَادُوا
 رَدَّ الْأُمُورِ عَلَى أَذْبَارِهَا . وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسِيرَةِ
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ وَالتَّعَشُّ لِسُنَّتِهِ^(٥)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كَلَّمَ بِهِ بَعْضَ الْعَرَبِ وَقَدْ أَرْسَلَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ لِمَا قَرُبَ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهَا لِيَعْلَمَ لَهُمْ مِنْهُ حَقِيقَةَ حَالِهِ مَعَ أَصْحَابِ الْجَمَلِ لِتَزُولَ
 الشُّبُهَةُ مِنْ نُفُوسِهِمْ فَبَيَّنَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَمْرِهِ مَعَهُمْ مَا عَلِمَ بِهِ
 أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ بَايِعْ ، فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ قَوْمٍ وَلَا أُحْدِثُ حَدَثًا

الله منها بالتوبة (١) ملوامة - من لومه - مبالغة في لومه أى غير ملوم عليها بالنفاق
 (٢) يارز: يرجع (٣) تملأوا اتفقوا وتعاونوا. والسخطة - بالفتح - الكراهة وعدم
 الرضاء. والمراد من هؤلاء من انتقض عليه من طلحة والزبير رضى الله عنهما والمنضمين
 إليهما (٤) فباله الرأي - بالفتح - ضعفه. وأفاءها عليه: أرجعها إليه (٥) التعش مصدر

حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْهِمْ . فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِدًا تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ الْغَيْثِ
فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْكَلَالِ وَالْمَاءِ فَخَالَفُوا إِلَى الْمَعَاطِشِ
وَالْمَجَادِبِ مَا كُنْتُ صَانِعًا ؟ قَالَ كُنْتُ تَارِكَهُمْ وَمُخَالِفَهُمْ إِلَى الْكَلَالِ
وَالْمَاءِ . فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاْمُدُّ إِذَا يَدُكَ . فَقَالَ الرَّجُلُ فَوَاللَّهِ مَا
أَسْتَطَعْتُ أَنْ أُمْتِنِعَ عِنْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَى ، فَبَايَعْتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَالرَّجُلُ
يُعرفُ بِكُتَيْبِ الْجُرْمِيِّ

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
لَمَّا عَزَمَ عَلَى لِقَاءِ الْقَوْمِ بِصِفِّينَ

اللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ، وَأَجْوِ الْمَكْفُوفِ ^(١) ، الَّذِي جَعَلْتَهُ
مَغِيضًا لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَتَجَرَّى لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، وَخُتِلَفَا لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ .
وَجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سَبْطًا مِنْ مَلَائِكَتِكَ لَا يَسْأَمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ . وَرَبَّ
هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَارًا لِلْأَنَامِ وَمَدْرَجًا لِلْهَوَامِّ وَالْأَنْعَامِ ، وَمَا

نَعْنُهُ إِذَا رَفَعَهُ (١) الْجَو : مَا بَيْنَ الْأَرْضِ وَالْأَجْرَامِ الْعَالِيَةِ . وَفِيهِ مِنْ مَصْنُوعَاتِ اللَّهِ
مَا لَا يَحْصِي نَوْعُهُ وَلَا يَعْدُ جَنَّهُ . وَهُوَ يَحْرُ تَسْبِجُ فِيهِ الْكَائِنَاتُ الْجَوِيَّةُ وَلَكِنَّهَا مَكْفُوفَةٌ
عَنِ الْأَرْضِ لَا تَسْقُطُ عَلَيْهَا حَتَّى يَرِيدَ اللَّهُ إِحْدَاثَ أَمْرٍ فِيهَا . وَجَعَلْتَهُ مَغِيضًا مِنْ غَاضِ الْمَاءِ
إِذَا نَقَصَ ، كَأَنَّ هَذَا الْجَوَ مَنبِعَ الضِّيَاءِ وَالظَّلَامِ وَهُوَ مَغِيضُهَا كُلِّ يَغِيضُ الْمَاءِ فِي الْبُئْرِ

لَا يُخْصِي مِمَّا يَرَى وَمِمَّا لَا يَرَى . وَرَبَّ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي الَّتِي جَعَلْتَهَا
لِلْأَرْضِ أَوْتَادًا ، وَلِلخَلْقِ اعْتِمَادًا^(١) ، إِنَّ أَظْهَرَ تَنَاعُلًا عَلَى عَدُوِّنَا فَجَبْنَنَا الْبَغْيَ
وَسَدَّدْنَا لِلْحَقِّ . وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ وَأَعْصِمْنَا مِنَ الْفِتْنَةِ .
أَيْنَ الْمَانِعِ لِلذَّمَارِ^(٢) وَالْغَائِرُ عِنْدَ نُزُولِ الْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ الْخِفَافِ . الْغَارُ
وَرَاءَكُمْ وَالْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُوَارِي عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءٌ^(٣) وَلَا أَرْضٌ أَرْضًا
(مِنْهَا) وَقَالَ قَائِلٌ : إِنَّكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ يَا أَبْنَى أَبِي طَالِبٍ لَحَرِيصٌ ،
فَقُلْتُ بَلْ أَنْتُمْ وَاللَّهِ لَأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ ، وَأَنَا أَخْصُ وَأَقْرَبُ ، وَإِنَّمَا طَلَبْتُ
حَقَّيْ وَأَنْتُمْ تَحْوِوْنَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ^(٤) . فَلَمَّا

والكلام الآتي صريح في أن الكواكب السيارة كالشمس والقمر تختلف أي
يختلف بعضها بعضاً في الجو فهو مجال سيرها وميدان حركاتها . والسبط - بالكسر - الأمة
(١) اعتماداً أي معتمداً أي ملجأً يعتصمون بها إذا طردتهم الغارات من السهول ،
وكما هي كذلك للإنسان هي أيضاً كذلك للحيوانات تعتصم بها (٢) الذمار - ككتاب -
ما يلزم الرجل حفظه من أهله وعشيرته . والغائر : من غار على امرأته أو قريبته أن يسهأ
أجنبي . والحقائق : وصف لامم ، يريد النوازل الثابتة التي لا تدفع بل لا تقلع إلا بعازمات
الهمم ومن أهل الحفاظ بيان للمانع والغائر ، والحفاظ : الوفاء ورعاية الذمم (٣) لا توارى :
لا تحجب (٤) ضرب الوجه كناية عن الرد والمنع . وقرعته بالحجة من قرعه بالعصا
ضربه بها . وهب ، من هيب التيس أي صباحه ، أي كان يتكلم بالمهمل مع سرعة

قَرَعَتْهُ بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلَا الْخَاضِرِينَ هَبَّ لَا يَدْرِي مَا يُحْيِيَنِي بِهِ
اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغِيثُكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ^(١)، فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَجْمِي،
وَصَغَرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أُمْرًا هَوِيلِي. ثُمَّ قَالُوا إِلَّا
أَنْ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ^(٢)

(مِنْهَا فِي ذِكْرِ أَصْحَابِ الْجَمَلِ) فَخَرَجُوا يَخْرُونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا تُجَرُّ الْأَمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا، مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى
الْبَصْرَةِ، فَجَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي يُيُوتِهِمَا، وَأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ لِهَمًّا وَلِغَيْرِهِمَا^(٣) فِي جَبَشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أُعْطَانِي
الطَّاعَةَ وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ فَقَدِمُوا عَلَى عَامِلِي بِهَا وَخَزَانِ
بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ^(٤) وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا. فَتَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْرًا^(٥)،
وَطَائِفَةً غَدْرًا. فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا
مُعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ^(٦) بِلَا جُرْإِمٍ جَرُّهُ، لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذَلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ

حل عليها الغضب كأنه محبوب لا يدري ما يقول (١) أستعينك : أستنصرك وأطلب منك
المعونة (٢) ثم قالوا الخ أي أنهم اعترفوا بفضله وأنه أجدرهم بالقيام به، وفي الحق أن يأخذه
ثم لما اختار المقدم في الشورى غيره عقدوا له الأمر وقالوا للامام في الحق أن تتركه
فتناقض حكمهم بالحقية في القضيتين، ولا يكون الحق في الأخذ إلا لمن توفرت فيه شروطه
(٣) حبس فعيل بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث، وأم المؤمنين كانت محبوسة
لرسول الله لا يجوز لأحد أن يمسه بعده كأنها في حياته (٤) خزان جمع خازن
(٥) القتل صبراً أن تحبس الشخص ثم ترميه حتى يموت (٦) معتمدين : قاصدين

إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلَا يَدٍ . دَعَا مَا
أَنْهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ^(١)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمِينُ وَحْيِهِ ، وَخَاتَمُ رُسُلِهِ ، وَبَشِيرُ رَحْمَتِهِ ، وَنَذِيرُ نِقْمَتِهِ
إِنَّمَا النَّاسُ إِنْ أَحَقَّ النَّاسُ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ ، وَأَعْلَاهُمْ بِأَمْرِ
اللَّهِ فِيهِ . فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ اسْتَعْتَبَ^(٢) فَإِنْ أَبَى قُوتِلَ . وَلَعَمْرِي لَنْ
كَانَتْ الْإِمَامَةُ لَا تَنْعَقِدُ حَتَّى يَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ فَمَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ ،
وَلَكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ
وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ

أَلَا وَإِنِّي أَقَاتِلُ رَجُلَيْنِ : رَجُلًا ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ ، وَآخَرَ مَنَعَ الَّذِي
عَلَيْهِ . أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا خَيْرٌ مَّا تَوَاصَى الْعِبَادُ بِهِ ،
وَخَيْرُ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَ اللَّهِ . وَقَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ

(١) قوله دع ما أنهم أي يحل لي قتلهم بقتل مسلم واحد عمدا فدع من أعمالهم مازاد
على ذلك وهو أنهم قتلوا من المسلمين عدد جيشهم فذلك مما يستحقون عليه عقاباً
فوق حل دمائهم، وما في قوله ما أنهم مثل لو في قولهم يعجبني لو أن فلانا يتكلم، ومثلها
في قوله تعالى « انه لخلق مثل ما أنكم تنطقون » فهي زائدة أو مساعدة على سبك
الجملة بالمصدر (٢) الشغب : تهيج الفساد . واستعتب : طلب منه الرضاء بالحق

أَهْلِ الْقِبْلَةِ^(١)، وَلَا يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ إِلَّا أَهْلُ الْبَصَرِ وَالْبَصَرِ^(٢) وَالْعِلْمُ بِمَوَاضِعِ الْحَقِّ. فَاْمْضُوا إِمَّا تُؤْمَرُونَ بِهِ، وَقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ. وَلَا تَعْجَلُوا فِي أَمْرِ حَتَّى تَتَبَيَّنُوا، فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكَرُونَهُ غَيْرًا^(٣) أَلَا وَإِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا، وَأَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ، وَلَا مَنْزِلِكُمْ الَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ وَلَا الَّذِي دُعِيتُمْ إِلَيْهِ. أَلَا وَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ وَلَا تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا. وَهِيَ وَإِنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَذَرَتْكُمْ شَرَّهَا. فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا، وَإِطْمَاعَهَا لِتَخْوِيفِهَا. وَسَابِقُوا فِيهَا إِلَى الدَّارِ الَّتِي دُعِيتُمْ إِلَيْهَا وَانْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا. وَلَا يَخْنِنُ أَحَدُكُمْ خَيْنَ الْأَمَةِ عَلَى مَا زَوَى عَنْهُ مِنْهَا^(٤). وَاسْتَمْتُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى مَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ. أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ. أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ حَافِظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ. أَخَذَ اللَّهُ

(١) أهل القبلة من يعتقد بالله وصدق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ويصلي معنا إلى قبلة واحدة (٢) أى لا يحمل علم الحرب ورايتها لقتال أهل القبلة إلا أهل العقل والمعرفة بالشرع وهم الامام ومن معه، أى ليس جلنا لهذا العلم عن جهل أو غفلة عن أحكام الله (٣) أى إذا اتفق أهل الحل والعقد من المسلمين على انكار شئ عدلنا إلى حكمهم وغيرنا حكمنا (٤) أى كان انفاقهم لا يخالف نواشر عباد الله كسر ففتح اسم للتغيير أو التغير (٤) الخنن -

بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْخَقِّ ، وَالْهَمْنَا وَإِيَّاكُمْ الصَّبْرَ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي مَعْنَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدٍ اللَّهِ

قَدْ كُنْتُ وَمَا أَهْدُدُ بِالْحَرْبِ ، وَلَا أَرْهَبُ بِالضَّرْبِ . وَأَنَا عَلَى مَا قَدْ
وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ . وَاللَّهِ مَا اسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّدًا لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ ^(١)
إِلَّا خَوْفًا مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ لِأَنَّهُ مَطْنَتُهُ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحْرَصَ
عَلَيْهِ مِنْهُ ^(٢) ، فَأَرَادَ أَنْ يُغَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ فِيهِ لِيُلبِسَ الْأَمْرَ ^(٣) وَيَقَعَ
الشَّكُّ . وَاللَّهِ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ : لَيْسَ كَانَ ابْنُ عَفَّانَ
ظَالِمًا - كَمَا كَانَ يَزْعُمُ - أَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَازَرَ قَاتِلِيهِ ^(٤) أَوْ يُنَابَذَ
نَاصِرِيهِ . وَلَيْسَ كَانَ مَظْلُومًا لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ
الْمُعْتَذِرِينَ عَنْهُ ^(٥) ، وَالْمُعْذِرِينَ فِيهِ ^(٦) . وَلَيْسَ كَانَ فِي شَكٍّ مِنْ
أَخْصَلَتَيْنِ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَمْتَرَاهُ وَيَرْكُدَ جَانِبًا ^(٧) وَيَدْعَ

بالخاء المعجمة - ضرب من البكاء يردد به الصوت في الأنف . وزوى : أى قبض
(١) متجرّدأ كأنه سيف تجرد من غمد : (٢) أحرص عليه أى على دم عثمان بمعنى سفسكه
(٣) يلبس رباعى من قولهم أمر ملبس أى مشتبّه (٤) يوازر : ينصر ويعين . والمناذرة
المراعاة والمراد المعارضة والمدافعة (٥) نهضه عن الأمر : كفه وزجره عن اتيانه
(٦) المعتذرين فيه : المعتذرين عنه فيما نقم منه (٧) ويركد جانبا يسكن فى جانب

النَّاسَ مَعَهُ ، فَمَا قَمَلَ وَاحِدَةٌ مِنَ الثَّلَاثِ ، وَجَاءَ بِأَمْرِ لَمْ يُعْرِفْ بَابَهُ ، وَلَمْ
تَسْلَمْ مَعَاضِيرُهُ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا الْغَافِلُونَ غَيْرَ الْمَقُولِ عَنْهُمْ ، وَالتَّارِكُونَ الْمَأْخُودَ مِنْهُمْ^(١) .
مَالِي أَرَأَيْتُمْ عَنِ اللَّهِ ذَاهِبِينَ ، وَإِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ . كَأَنَّكُمْ نَعْمَ أَرَاحَ
بِهَا سَأَلْتُمْ إِلَى مَرْعَى وَبَنِي وَمَشْرَبِ دَوَى^(٢) . إِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمُدَى
لَا تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بِهَا ، إِذَا أَحْسِنَ إِلَيْهَا تَحَسَّبُ يَوْمَهَا ذَهْرَهَا^(٣) ، وَشَبِعَهَا
أَمْرَهَا . وَاللَّهُ لَوْ شِئْتُ أَنْ أَخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوَاجِئِهِ
وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ^(٤) ، وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِي رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . أَلَا وَإِنِّي مُفْضِيهِ إِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمِنُ ذَلِكَ مِنْهُ^(٥) .

عن القاتلين والناصرين (١) التاركون الخ أي أن التاركين لما أمروا به المأخوذة منهم
أعمارهم تطو بها عنهم يد القدرة ساعة بعد ساعة . فلما أخذ منهم صفة للتاركين (٢) النعم
- محرقة - الابل أو هي والغنم . وأراح بهادها . وأصل الراحة الانطلاق في الريح فاستعمله
في مطلق الانطلاق ، والسائق : الراعي . والوبى : الردى يجلب الوباء . والدوى : الوبيل
يفسد الصحة ، أصله من الدوا بالقصر أى المرض . والمدى - جمع مدية - السكين أى
معلوفة للذبح (٣) تحسب يومها دهرها أى لا تنظر إلى عواقب أمورها فلا تعد شيئاً
لما بعد يومها ، ومتى شبعت ظنت أنه لا شأن لها بعد هذا الشبع . هذا كلام كأنه ثوب
فصل على أقدار أهل هذا الزمان (٤) بمخرجه الخ أى من أين يخرج . وأين يلج
أى يدخل (٥) مفضيه أصله من أفضى إليه خاربه وإلى الأرض مسها . والمراد أنى موصله

وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ وَأَصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ مَا أَنْطَقُ إِلَّا صَادِقًا . وَقَدْ عَاهَدَ
إِلَىٰ بِذَلِكَ كُلَّهُ ، وَبِعَهْدِكَ مَنْ يَهْلِكُ وَمَنْجَىٰ مَنْ يَنْجُو ، وَمَا لِي هَذَا
الْأَمْرِ . وَمَا أَبْقَىٰ شَيْئًا يَمُرُّ عَلَىٰ رَأْسِي إِلَّا أَفْرَغَهُ فِي أُذُنِي وَأَفْضَىٰ بِهِ إِلَيَّ .
أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَحْكُمُ عَلَىٰ طَاعَةٍ إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا ، وَلَا
أَنهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَأَتْنَاهِي قَبْلَكُمْ عَنْهَا

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اتَّبِعُوا بَيَانَ اللَّهِ ، وَاتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ ، وَاقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللَّهِ . فَإِنَّ
اللَّهَ قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيلَةِ ^(١) . وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةَ . وَبَيَّنَ لَكُمْ
مَحَابَّةَ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ مِنْهَا لِتَتَّبِعُوا هَذِهِ وَتَجْتَنِبُوا هَذِهِ ، فَإِنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَقُولُ « إِنَّا لَجُنَّةٌ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ
وَإِنَّا لَنَارٌ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ » وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةٍ لِلَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي
كُرْهِ ^(٢) . وَمَا مِنْ مَعْصِيَةٍ لِلَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ . فَرَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا
نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ ^(٣) . وَقَمَعَ هَوَىٰ نَفْسِهِ ، فَإِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ

إلى أهل اليقين ممن لا تخشى عليهم الفتنة (١) أعذر اليكم بالجليلة أى بالأعذار الجليلة .
والعذر هنا مجاز عن سبب العقاب في المواخذة عند مخالفة الأوامر الإلهية (٢) أى لاشئء
من طاعة الله إلا وفيه مخالفة لهوى النفس البهيمية فتكره إتيانه ، ولاشئء من معصية
الله إلا وهو موافق لميل حيواني فنشتهي النفوس إتيانه (٣) نزع عنه : انتهى وأفلع ،

مَنْزَعًا. وَإِنَّهَا لَا تَرَالُ تَنْزَعُ إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوًى. وَأَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ
 الْمُؤْمِنِينَ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ^(١)، فَلَا يَزَالُ زَارِيًا
 عَلَيْهَا وَمُسْتَزِيدًا لَهَا. فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ وَالْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ
 قَوِّضُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ^(٢) وَطَوَّوْهَا طَيَّ الْمَنَازِلِ. وَأَعْلَمُوا أَنَّ
 هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَفْشُ، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ،
 وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ. وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ
 بَرِّيَّةٌ أَوْ نُقْصَانٌ: زِيَادَةٌ فِي هُدًى، أَوْ نُقْصَانٌ فِي عَمًى. وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ
 لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ^(٣)، وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى
 فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَانِكُمْ وَأَسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَا وَائِكُمْ^(٤)، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً
 مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ وَالْغَى وَالضَّلَالُ. فَاسْأَلُوا اللَّهَ بِهِ^(٥)،

فإن عسى بالي كان بمعنى اشتاق ، وأبعد منزعا أى نزوعا بمعنى الانتهاء والكف عن
 المعاصي (١) ظنون - كصبور - الضعيف والقليل الحيلة، فيريد أن المؤمن يظن في نفسه
 النقص والتقصير في الطاعة أو هو من البسر الظنون التي لا يدري أفيها ماء أم لا
 فتكون هنا بمعنى متهمه فهو لا يثق بنفسه إذا وسوست له بأنها أدت حق ما فرض
 عليها . وزاريا عليها : أى عابيا . ومستزيدا طالبا لها الزيادة من طيبات الأعمال
 (٢) التقويض نزع أعمدة الخيمة وأطنابها والمراد أنهم ذهبوا عما كنهم وطو واعدة
 الحياة كما يطوى المسافر منازل سفره أى مراحل ومسافاته (٣) أى فقر وحاجة إلى هاد
 سواء يرشد إلى مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال، وسائق إلى شرف المنازل وغايات المجد
 والرفعة (٤) اللاءاء : الشدة (٥) فاطلبوا من الله ما تحبون من سعادة الدنيا والآخرة

وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ حُبًّا ، وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ
بِعَمَلِهِ . وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ ، وَقَائِلٌ مُصَدِّقٌ . وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ
لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفَعَ فِيهِ ^(١) ، وَمَنْ حَمَلَ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
صَدَقَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : « أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى
فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةٍ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرْثَةِ الْقُرْآنِ » فَكُونُوا مِنْ حَرْثَتِهِ وَاتَّبَاعِهِ
وَأُسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ ، وَأُسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَاتَّبِعُوا عَلَيْهِ
آرَاءَكُمْ ^(٢) ، وَأُسْتَفِشُوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ . الْعَمَلُ الْعَمَلُ ، ثُمَّ النَّهَايَةُ النَّهَايَةُ .
وَالِاسْتِقَامَةُ الْإِسْتِقَامَةُ ، ثُمَّ الصَّبْرُ الصَّبْرُ ، وَالْوَرَعُ الْوَرَعُ . إِنْ لَكُمْ
نِهَايَةٌ فَانْتَهُوا إِلَى نِهَايَتِكُمْ . وَإِنْ لَكُمْ عِلْمًا فَاهْتَدُوا بِعِلْمِكُمْ ^(٣) .
وَإِنَّ لِلْإِسْلَامِ غَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى غَايَتِهِ . وَآخِرُجُوا إِلَى اللَّهِ بِمَا افْتَرَضَ
عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ ^(٤) ، وَبَيِّنَ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ . أَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ

باتباعه وأقبلوا على الله بالرغبة في اقتفاء هديه وهو المراد من حبه ، ولا تجعلوا آلة
لنيل الرغبات من الخلق لأنه ما تقرب العباد إلى الله بمثل احترامه والأخذ به كما أنزل
الله (١) شفاعة القرآن : نطق آياته بانطباقها على عمل العامل . ومحل به مثل الحباء
كأده بتبيين سيئاته عند السلطان ، كناية عن مباينة أحكامه لما أتاه العبد من أعماله
(٢) إذا خالفت آراؤكم القرآن فاتهموها باخطأ واستعشوا أهواءكم أي ظنوا فيها
الغش وارجعوا إلى القرآن (٣) العلم محركا يريد به القرآن (٤) خرج إلى فلان من حقه
أداه فكأنه كان حبيسا في مؤاخذه فأنطلق ، إلا أن من حقه في العبارة بيان لما افترض
ومعمول أخرجا مقدر مثله . والوظائف ما فطر الله لنا من الأعمال المخصصة بالأوقات

وَحَجِيجُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ^(١)

أَلَا وَإِنَّ الْقَدَرَ السَّابِقَ قَدْ وَقَعَ ، وَالْقَضَاءَ الْمَاضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ^(٢) .
وَإِنِّي مُتَكَلِّمٌ بَعْدَ اللَّهِ وَحُجَّتِهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا
رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَتَخَفُوا وَلَا
تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ » وَقَدْ قُلْتُمْ رَبُّنَا اللَّهُ
فَاسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابِهِ ، وَعَلَى مِثْقَاتِ الْأَرْضِ عَلَى الرِّسَالَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ
عِبَادَتِهِ . ثُمَّ لَا تَمْرُقُوا مِنْهَا وَلَا تَبْتَذِرُوهَا فِيهَا وَلَا تَخَافُوهَا عَنْهَا . فَإِنَّ
أَهْلَ الْمُرُوقِ مُنْقَطِعُ بِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . ثُمَّ إِيَّاكُمْ وَتَهْزِيعَ
الْأَخْلَاقِ وَتَصْرِيفَهَا^(٣) . وَاجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِدًا . وَلِيُخْزِنَ الرَّجُلُ
لِسَانَهُ^(٤) . فَإِنَّ هَذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ بِصَاحِبِهِ . وَاللَّهُ مَا أَرَى عَبْدًا يَتَّقِي

والأحوال كالصوم والصلاة والزكاة (١) حجيج - من حج - إذا فنع بحجته. والامام
كرم الله وجهه بعلم منزله من الله يشهد المحسنين ويقوم بالحجة عن المخلصين :
(٢) نور : هو تفعل كتنزل، أي ورد شيئاً بعد شيء. والمراد من القضاء الماضي ما قدر
حدوثه من حادثة الخليفة الثالث وما تبعها من الحوادث. وعدة الله بكسر ففتح مخفف
هي وعده، أي لا تخرجوا منها (٣) تهزيع الشيء : تكسبه، والصادق إذا كذب فقد
انكسر صدقه والكريم إذا لؤم فقد انكسر كرمه ، فهو نهى عن حطم الكمال بمعول
النقص. وتصريف الأخلاق من صرفته إذا قلبته، نهى عن النفاق والتلون في الأخلاق
وهو معنى الأمر بجعل اللسان واحداً (٤) ليخزن - كينصر - أي ليحفظ لسانه .
والجوح : من جح الفرس إذا غلب فارسه فيوشك أن يطرح به في مهلكة فيريه

تَقْوَى تَنْفَعُهُ حَتَّى يَخْتَزِنَ لِسَانَهُ . وَإِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ ^(١) .
وَأَنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ . لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ
بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا أَبْدَاهُ ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا وَارَاهُ .
وَأَنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ لَا يَذَرِي مَا ذَلَّ لَهُ وَمَا ذَا عَلَيْهِ .
وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى
يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ . وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ » فَمَنْ اسْتَطَاعَ
مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى وَهُوَ نَقِي الرَّاحَةِ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ ،
سَلِيمُ اللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ فَلْيَفْعَلْ . وَأَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ
الْعَامَ مَا اسْتَحَلَّ عَامًّا أَوَّلًا ، وَيُحَرِّمُ الْعَامَ مَا حَرَّمَ عَامًّا أَوَّلًا . وَإِنْ مَا أَحْدَثَ
النَّاسُ لَا يُحِلُّ لَكُمْ شَيْئًا مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ^(٢) ، وَلَكِنَّ الْحَلَالَ مَا أَحَلَّ
اللَّهُ وَالْحَرَامَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ . فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الْأُمُورَ وَضَرَسْتُمُوهَا ^(٣) ،
وَوُعِظْتُمْ بِعَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَضُرِبَتْ الْأَمْثَالُ لَكُمْ وَدُعِيتُمْ إِلَى
الْأَمْرِ الْوَاضِحِ . فَلَا يَصْمُ عَنْ ذَلِكَ الْأَصَمُّ ، وَلَا يَعْمَى عَنْ ذَلِكَ الْأَعْمَى
وَمَنْ لَمْ يَنْفَعَهُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ وَالتَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِلَّةِ .

(١) لسان المؤمن تابع لاعتقاده لا يقول إلا ما يعتقد ، والمنافق يقول ما ينال به غايته
الخبثية ، فإذا قال شيئاً أخطره على قلبه حتى لا ينساه فيناقضه مرة أخرى فيكون قلبه
تابعاً لدهانه (٢) البدع التي أحلها الناس لا تغير شيئاً من حكم الله (٣) ضرسته الحرب :

وَأَتَاهُ التَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ ^(١) حَتَّى يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ ، وَيُنْكِرَ مَا عَرَفَ .
وَأِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ : مُتَّبِعُ شِرْعَةٍ ، وَمُتَّبِعُ بِدْعَةٍ لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ بَرْهَانُ سُنَّةٍ وَلَا ضِيَاءُ حُجَّةٍ . وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعْظِ أَحَدًا بِمِثْلِ هَذَا
الْقُرْآنِ ، فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَسَبَبُهُ الْأَمِينُ ، وَفِيهِ رَيْعُ الْقَلْبِ
وَيَنَائِيعُ الْعِلْمِ ، وَمَا لِلْقَلْبِ جِلَاءٌ غَيْرُهُ ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمَتَذَكَّرُونَ
وَبَقِيَ النَّاسُونَ وَالْمُتَنَاسُونَ . فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْرًا فَأَعِينُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا
رَأَيْتُمْ شَرًّا فَادْهَبُوا عَنْهُ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَقُولُ :
« يَا أَبْنَ آدَمَ أَعْمَلِ الْخَيْرَ وَدَعْ الشَّرَّ فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ ^(٢) »

أَلَا وَإِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ : فَظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ ، وَظُلْمٌ لَا يُتْرَكُ ، وَظُلْمٌ
مَغْفُورٌ لَا يُطْلَبُ . فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ فَالشَّرْكُ بِاللَّهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
« إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ » وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ
نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ ^(٣) . وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ
بَعْضِهِمْ بَعْضًا . الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ ، لَيْسَ هُوَ جُرْحًا بِالْمَدَى ^(٤) وَلَا

جربته أى جربتموها (١) الاتيان من الامام كناية عن الظهور ، كأن التقصير عدو
قوى يأتي مجاهرة لا يخدع ولا يفر فيأخذه أخذ العزيز المقندر ، عند ذلك يعرف من الحق
ما كان أنكر وينكر من الباطل ما كان عرف (٢) مستقيم أو قريب من الله والسعادة
(٣) بفتح الهاء جمع هنة محركة : الشئ اليسير والعمل الحقير . والمراد به صغائر الذنوب (٤) جمع

ضَرْبًا بِالسَّيَاطِ ، وَلَكِنَّهُ مَا يُسْتَصْفَرُ ذَلِكَ مَعَهُ^(١) . فَإِيَّاكُمْ وَالتَّلَوْنَ
فِي دِينِ اللَّهِ ، فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيْمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْخَلْقِ خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيْمَا
تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ^(٢) . وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُمِطْ أَحَدًا بِفُرْقَةٍ خَيْرًا مِنْ
مَضَى وَلَا يَمُنُّ بَقِيَّ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ ، وَطُوبَى
لِمَنْ لَزِمَ يَتَهُ ، وَأَكَلَ قُوَّتَهُ ، وَاشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ ، وَبَكَى عَلَى
خَطِيئَتِهِ^(٣) ، فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغْلٍ ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ
وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي مَعْنَى الْحَكَمَيْنِ

فَانْجَمَعْ رَأْيُ مَلَائِكُمْ عَلَى أَنْ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ

مدية : وهي السكين . والسياط جمع سوط (١) ولكنه العذاب الذي بعد الجرح والضرب
صغيراً بالنسبة إليه (٢) من يحافظ على نظام الألفة والاجتماع وإن ثقل عليه أداء بعض
حقوق الجماعة وشق عليه ما تكلفه به من الحق فذلك الجدیر بالسعادة دون من يسعى
للشقاق ويهدم نظام الجماعة وإن نال بذلك حقاً باطلا وشهوة وقتية، فقد يكون في حظه
الوقتي شقاؤه الأبدى . ومتى كانت الفرقة عم الشقاق وأحاطت العداوات وأصبح كل واحد
عرضة لشرور سواء، فحيت الراحة وفست حال المعيشة (٣) قوله لمن لزم يته: ترغيب
في العزلة عن إثارة الفتن واجتهاب الفساد، وليس ترغيباً في الكسالة وترك العامة
وشأنهم، فقد حث أمير المؤمنين في غير هذا الموضع على مقاومة المفاسد والأمر بالمعروف

يُجْمَعًا عِنْدَ الْقُرْآنِ^(١)، وَلَا يُجَاوِزَاهُ، وَتَكُونُ أَلْسِنَتُهُمَا مَعَهُ وَقُلُوبُهُمَا
تَبَعُهُ. فَتَأْهَأَ عَنْهُ وَتَرَكَ الْحَقَّ وَهُمَا يُنْصِرَانِهِ. وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا،
وَالْإِعْوِجَاجُ دَأْبَهُمَا. وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمِ بِالْمَذَلِّ
وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا^(٢) وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا، وَالثِّقَةُ فِي أَيْدِينَا لِأَنْفُسِنَا^(٣)
حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ الْحَقِّ، وَأَتَيَا بِمَا لَا يُعْرِفُ مِنْ مَمْكُوسِ الْحُكْمِ.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ. وَلَا يُفَيِّرُهُ زَمَانٌ، وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ. وَلَا يَصِفُهُ
لِسَانٌ. وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ^(١)، وَلَا نُجُومِ السَّمَاءِ، وَلَا
سَوَاقِي الرِّيحِ فِي أَلْهَوَاءِ، وَلَا دَيْبُ النَّمْلِ عَلَى الْأَصْفَاءِ، وَلَا مَقِيلُ الذَّرِّ

والنهي عن المنكر (١) يجمعها: من جمع جمع البعير إذا برك ولزم الجمع أي
الأرض. أي أن يقف عند القرآن. والتبع - محركا - التابع للواحد والجمع. وناهى أي ضل
(٢) سوء مفعول سبق، أي أن استثناءنا وقت التحكيم حيث قلنا لا تحكموا إلا بالعدل
كان سابقا على سوء الرأي وجور الحكم فهما المخالفان لما شرط عليهما إلا نحن. ويصح
أن يكون مفعول استثناءنا، والمعنى أننا استثنينا عليهم فيما سبق أن لا يسيئارا بآي ولا يجوز
حكماء، فيقبل حكمهما إلا أن يجوزوا ويسيئوا (٣) عبر بالثقة عن الحججة القوية والسبب
المتين في رفض حكمهما (٤) لا يعزب: لا ينجي. وسواقي الرياح جمع سافية من سفت
الرياح التراب والورق أي جلته. والصفاء مقصوراً - جمع صفاء - الحجر الأملس
الضخم. ودبيب النمل أي حركته عليه في غاية الخفاء لا يسمع لها حس. والذر: صغار

فِي اللَّيْلَةِ الظُّلَمَاءِ . يَعْلَمُ مَسَافِطَ الْأَوْرَاقِ وَخَنِيَّ طَرَفِ الْأَحْدَاقِ ^(١) .
وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ ^(٢) ، وَلَا مَشْكُوكٍ فِيهِ ،
وَلَا مَكْفُورٍ دِينُهُ وَلَا مَجْجُودٍ تَكْوِينُهُ ^(٣) . شَهَادَةٌ مِنْ صَدَقَتْ نَيْتُهُ
وَصَفَتْ دِخْلَتَهُ ^(٤) ، وَخَلَصَ يَقِينُهُ ، وَثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ . وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الْمُجْتَبَى مِنْ خَلَائِقِهِ ، وَالْمُعْتَمَدُ لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ ^(٥)
وَالْمُخْتَصُّ بِعُقَابِلِ كَرَامَاتِهِ . وَالْمُضْطَفَى لِكِرَائِمِ رِسَالَاتِهِ .
وَالْمَوْضَحَّةُ بِهِ أَشْرَاطُ الْهُدَى ^(٦) . وَالْمَجْلُوبُ بِهِ غَرِيبُ الْعَمَى

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الدُّنْيَا تَغْرُ الْمُؤْمِلَ لَهَا وَالْمُخْلِذَ إِلَيْهَا ^(٧) ، وَلَا تَنْفَسُ بِمَنْ
نَافَسَ فِيهَا ، وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا . وَأَيُّمُ اللَّهِ مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضٍّ
نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ أُجْتَرَحُوا ^(٨) ، لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ
بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ . وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقْمُ وَتَزُولُ عَنْهُمْ النِّعْمُ

النمل . ومقيلها محل استراحتها ومبيتها (١) طرف الحدقة: تحريك جفنيها. والحدقة هنا
العين (٢) عدل بالله : جعل له مثلاً وعديلاً (٣) خلقه للخلق جميعاً (٤) دخلته بالكسر :
باطنه (٥) المجتبى : المصطفى . والعيمة - بكسر العين - المختار من المال . واعتام : أخذاها
فألغى العتام المختار لبيان حقائق توحيده ونزاهته . والعقائل الكرائم والكرامات ما أكرم
الله به نبيه من معجزات ومنازل في النفوس عالياً (٦) أشراط الهدى علاماته ودلائله .
وغير ييب النوى - كعفريت - أشده - سواداً فغريب العمى أشد الضلال ظلمة (٧) الخلد :
الراكن المائل ونفس - كفرح - ضن ، أى لا تضن الدنيا بمن يبارى غيره في اقتنائها
وعادها من نقائسه ولا تحرص عليه بل تهلكه (٨) الغض الناصر . واجترح الذنب

فَزِعُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِّنْ نِّيَّاتِهِمْ وَوَلَهُ مِّنْ قُلُوبِهِمْ لَرَدٌّ عَلَيْهِمْ كُلٌّ شَارِدٌ ، وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلٌّ فَاسِدٌ . وَإِنِّي لَأَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فِتْرَةٍ ^(١) . وَقَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَّضَتْ مِثْلُكُمْ فِيهَا مِثْلَةٌ كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ مُحْمُودِينَ ، وَلَنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنْكُمْ لَسَعْدَاءُ . وَمَا عَلَيَّ إِلَّا الْجُهْدُ ، وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ . عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدْ سَأَلَهُ ذِغْلَبُ أَلِيمَانِي ، فَقَالَ : هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَفَأَعْبُدُ مَا لَا أَرَى ؟ فَقَالَ : وَكَيْفَ تَرَاهُ ؟ فَقَالَ :

لَا تَرَاهُ الْعِيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ ، وَلَكِنْ تُذَرِّكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ . قَرِيبٌ مِّنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرُ مُلَامِسٍ ^(٢) . بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرُ مُبَايِنٍ . مُتَكَلِّمٌ لَا بِرَوِيَّةٍ ، مُرِيدٌ لَا بِهِمَّةٍ . صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ . لَطِيفٌ

اكتسبه وارثه (١) كنى بالفترة عن جهالة الغرور ، أو أراد في فترة من عذاب ينتظر بكم عقاباً على انحطاطهمكم وتباطؤكم عن جهاد عدوكم (٢) اللامسة والمباينة على معنى البعد المكاني من خواص المواد. وذات الله مبرأة من المادة وخواصها. فنسبة الأشياء إليها سواء وهي في تعاليها، فهي مع كل شيء وهي أعلى من كل شيء، فالبعد بعد المسكانة من التنزيه. والروية التفكير. والهمة الاهتمام بالأمر بحيث لو لم يفعل لجر نقصاً وأوجب

لَا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ . كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ ^(١) بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ
بِالْحَاسَةِ . رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرَّقَةِ . تَعْنُو أَلْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ ^(٢) ، وَتَجِبُ
الْقُلُوبُ مِنْ خَافَتِهِ

(وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَمِّ أَصْحَابِهِ)

أُحْمَدُ اللَّهِ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ ، وَعَلَى أَيْتِلَاثِي بِكُمْ
أَيُّهَا الْفِرْقَةُ الَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِيعْ ، وَإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ . إِنْ أَمِهَلْتُمْ
خُضْتُمْ ^(٣) ، وَإِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ . وَإِنْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ ،
وَإِنْ أُجِبْتُمْ إِلَى مُشَاقَّةٍ نَكَضْتُمْ . لَا أَبَا لِعَيْرِ كُمْ ^(٤) . مَا تَنْتَظِرُونَ
نَضْرِكُمْ وَالْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ ؟ . الْمَوْتُ أَوْ الذَّلَالَةُ لَكُمْ . فَوَاللَّهِ
لَنْ جَاءَ يَوْمِي - وَلَيَأْتِيَنِي - لِيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَنَا لَصُحْبَتِكُمْ
قَالَ ^(٥) ، وَبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ . اللَّهُ أَنْتُمْ . أَمَا دِينُ يَجْمَعُكُمْ ؟ وَلَا حِمِيَّةُ

هما وحزنا. والجراحة العضو البدني (١) الجفاء: الغلظ والخشونة (٢) تعنو: نذل. ووجب
القلب يجب وجيبا ووجبا نا: خفق واضطرب (٣) أي في الكلام الباطل. وخرتم أي ضعفتم
وجبتكم. والمشاقة المراد بها الحرب ونكضتم رجعتكم القهقري (٤) المعروف في التفريق
لا أبالك، ولا أبالك. وهو دعاء بفقد الأب أو تعبير بحمله، فتلطف الامام بتوجيه الدعاء
أو الذم لغيرهم (٥) قال أي كاره. وغير كثير بكم، أي أني أفارق الدنيا وأناني قلعة من الأعوان

تَشْهَدُكُمْ^(١)؟ أَوَلَيْسَ عَجَبًا أَنْ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجُفَاءَ الطَّغَامَ فَيَتَّبِعُونَهُ^(٢)
 عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ وَلَا عَطَاءٍ . وَأَنَا أَدْعُوكُمْ - وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ الْإِسْلَامِ^(٣)
 وَبَقِيَّةُ النَّاسِ - إِلَى الْمَعُونَةِ وَطَائِفَةٍ مِنَ الْعَطَاءِ فَتَقْرَأُونَ عَنِّي وَتَخْتَلِفُونَ
 عَلَيَّ . إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضَى فِتْرَتُونَهُ^(٤) ، وَلَا سُخْطًا
 فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ وَإِنْ أَحَبَّ مَا أَنَا لَاقٍ إِلَى الْمَوْتِ . قَدْ دَارَسْتُكُمْ
 الْكِتَابَ^(٥) ، وَفَاتَحْتُكُمْ الْحِجَابَ ، وَعَرَفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ ،
 وَسَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَّبْتُمْ . لَوْ كَانَ الْأَعْمَى يَلْحَظُ^(٦) ، أَوِ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ .
 وَأَقْرَبُ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ فَأَنْدَهُمْ مُعَاوِيَةُ ، وَمُؤَدِّبُهُمْ ابْنُ النَّابِغَةِ^(٧)

وان كنتم حولى كثيرين ويدل عليه قوله فيها بعد الله أنتم (١) من شهد السكين
 كنع أى حددها (٢) الجفأ - جمع جاف - أى غليظ . والطغام بالفتح أرذال الناس .
 والمعونة : ما يعطى للجنود لاصلاح السلاح وعلف الدواب زائداً على العطاء المفروض
 والا رزاق المعينة لكل منهم (٣) التريكة - كسفينة - بيضة النعامة بعد أن يخرج
 منها الفرخ تتركها فى مجثمها والمراد أنتم خلف الاسلام وعوض السلف (٤) يريد
 أنه لا يوافقكم منى نبي ولا مابرضى ولا مابسخط (٥) أى قرأت عليكم القرآن تعليماً ومثمناً .
 وفاتحتكم ، مجردة فتح بمعنى فضى ، فهو بمعنى قاضيتكم أى حاكمتكم . والحجج : الحاجة
 أى قاضيتكم عند الحاجة حتى قضت عليكم بالعجز عن الخصام وعرفتم الحق الذى كنتم تجهلوناه
 وسوغت لأذواقكم من مشرب الصدق ما كنتم تمجرونه وانظر حوته (٦) لولتمنى كأنه
 يقول ليت الأعمى الخ (٧) أقرب بهم . ما قر بهم من الجهل : وابن النابغة عمرو بن العاص

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدْ أَرْسَلَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ يَعْلَمُ لَهُ عِلْمَ أَخْوَالِ قَوْمٍ مِنْ
جُنْدِ الْكُوفَةِ قَدْ هَمُّوا بِاللَّحَاقِ بِالْخَوَارِجِ وَكَانُوا عَلَى خَوْفٍ
مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَلَمَّا عَادَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ قَالَ لَهُ : « أُمِنُوا
فَقَطُّنُوا أَمْ جَبَنُوا فَظَعَنُوا ؟ »^(١) . فَقَالَ الرَّجُلُ : بَلْ ظَعَنُوا
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

بَعْدًا لَهُمْ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ . أَمَّا لَوْ أَشْرَعَتِ الْأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ^(٢) ،
وَصُبَّتِ السُّيُوفُ عَلَى هَامَاتِهِمْ . لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ . إِنَّ الشَّيْطَانَ
الْيَوْمَ قَدْ اسْتَفْلَهُمْ^(٣) ، وَهُوَ غَدًا مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ وَمُتَخَلٍّ عَنْهُمْ .
فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَى^(٤) ، وَأَزْتِكَاسِهِمْ فِي الضَّلَالِ وَالْعَمَى ،
وَصَدِّهِمْ عَنِ الْحَقِّ ، وَجَمَاحِهِمْ فِي النَّبِيِّ^(٥)

(١) أمِنُوا : اطمأنوا . وظعنوا أقاموا ، وظعنوا رحلوا (٢) أشرعت : سددت وصوبت نحوهم . والهامات الرعوس (٣) استفلهم : دعاهم للتفلل وهو الانهزام عن الجماعة (٤) حسبهم : كافىهم من الشر خروجهم الخ . والباء زائدة وإن جعل حسب اسم فعل بمعنى اكتف كالتاء في موضعها أي فليكتفوا من الشر والخطيئة بذلك فهو كفيهم بكل شقاء . والارتكاس : الانقلاب والاتكاس (٥) صدهم : اعراضهم . والجماح : الجوح وهو أن يغلب الفرس راكبه . والمراد تعاصيهم في النهي أي الضلال

وَمِنْ حُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

رَوَى عَنْ نَوْفٍ الْبِكَالِيِّ^(١) قَالَ خَطَبَنَا هَذِهِ الْخُطْبَةُ بِالْكُوفَةِ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى حِجَارَةٍ نَصَبَهَا لَهُ
جَمْعَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْخَزُومِيُّ ، وَعَلَيْهِ مِدْرَعَةٌ مِنْ صُوفٍ^(٢)
وَحَمَائِلُ سَيْفِهِ لَيْفٌ ، وَفِي رِجْلَيْهِ نَعْلَانِ مِنْ لَيْفٍ ، وَكَانَ
جَبِينُهُ تَفْنَةً بَعِيرٍ^(٣) . فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ ، وَعَوَاقِبُ الْأَمْرِ . نَحْمَدُهُ عَلَى
عَظِيمِ إِحْسَانِهِ وَنَيِّرِ بُرْهَانِهِ ، وَنَوَامِي فَضْلِهِ وَأَمْتِنَانِهِ^(٤) ، حَمْدًا يَكُونُ
لِحَقِّهِ قَضَاءً وَلِشُكْرِهِ أَدَاءً ، وَإِلَى ثَوَابِهِ مُقَرَّبًا وَلِإِحْسَنِ زَيْدِهِ مُوجِبًا .
وَنَسْتَعِينُ بِهِ أَسْتِعَانَةً رَاجٍ لِفَضْلِهِ ، مُوْتَمِّلٍ لِنَفْعِهِ ، وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ ، مُعْتَرِفٍ

(١) هونوف بن فضالة التابعي البكالي نسبة إلى بني بكال - ككتاب - بطن
من حبر ضبطه بعضهم بتشديد الكاف كشداد . وجعدة بن هبيرة هو ابن أخت أمير
المؤمنين وأمه أم هانئ بنت أبي طالب كان فارساً مقداماً فقيهاً (٧) المدرعة : ثوب يعرف
عند بعض العامة بالدراعية فيص ضيق الأكلام ، قال في القاموس ولا يكون إلا من صوف
(٣) التفنة - بكسر بعد فتح - ما يمس الأرض من البعير عند البروك ويكون فيه غلظ
من ملاطمة الأرض ، وكذلك كان في جبين أمير المؤمنين من كثرة السجود (٤) النوامي

لَهُ بِالطَّوْلِ^(١)، مُذْعِنٌ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ . وَتُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانٌ مِنْ رَجَاءِ
مُوقِنًا ، وَأَنْابَ إِلَيْهِ مُؤْمِنًا ، وَخَنَعَ لَهُ مُذْعِنًا^(٢) ، وَأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّدًا ،
وَعَظَّمَهُ مُمَجِّدًا ، وَلَاذَ بِهِ رَاغِبًا مُجْتَهِدًا . لَمْ يُولَدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونَ فِي
الْعِزِّ مُشَارَكًا^(٣) . وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْزُونًا هَالِكًا . وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتُ
وَلَا زَمَانٌ . وَلَمْ يَتَعَاوَرَهُ زِيَادَةٌ وَلَا تَقْصَانٌ^(٤) . بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا
مِنْ عِلَامَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتَقِنِ وَالْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ . فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ
خَلْقُ السَّمَوَاتِ مَوْطِدَاتٍ بِلَا عَمَدٍ^(٥) ، قَائِمَاتٍ بِلَا سَنَدٍ . دَعَاهُنَّ فَاجَبْنَ
طَائِعَاتٍ مُذْعِنَاتٍ ، غَيْرَ مُتَلَكِّثَاتٍ وَلَا مُبْطِئَاتٍ^(٦) . وَلَوْلَا إِقْرَارُهُنَّ لَهُ
بِالرُّبُوبِيَّةِ وَإِذْعَانُهُنَّ بِالطَّوْاعِيَّةِ لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعًا لِعَرْشِهِ ، وَلَا مَسْكَنًا
لِمَلَائِكَتِهِ ، وَلَا مَصْعَدًا لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ .
جَمَلَ نُجُومَهَا أَعْلَامًا يَسْتَدِلُّ بِهَا الْخَيْرَانُ فِي مُخْتَلَفِ فِجَاجِ الْأَقْطَارِ . لَمْ
يَمْتَعِ ضَوْءُ نُورِهَا أَذْهَامًا سِجْفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ^(٧) . وَلَا اسْتَطَاعَتْ

(١) الطول - بالفتح - الفضل (٢) خنع : ذل وخضع (٣) لأن أباه
يكون شريكه في العز بل أعز منه لأنه علة وجوده . وسر الولادة حفظ النوع فلو صح
لله أن يلد لكان فانياً يبقى نوعه في أشخاص أولاده فيكون موروثاً هالكا تعالى الله
عن ذلك علواً كبيراً (٤) يتعاوره : يتداوله ويتبادل عليه (٥) موطدات : مثبتات
في مداراتها على ثقل أجرامها (٦) التلكؤ : التوقف والتباطؤ (٧) ادلهام الظلمة :
كثافتها وشدتها . والسجف - بالكسر والفتح - وككتاب الستر . والجلايب - جمع
حلاب - نوب واسع تلبسه المرأة فوق ثيابها كأنه ملحفة . ووجه الاستعارة فيها ظاهر .

جَلَالِيبُ سَوَادِ الْجُنَادِ أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِي السَّمَوَاتِ مِنْ تَلَالُؤِ نُورِ
الْقَمَرِ . فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقِ دَاجٍ وَلَا لَيْلِ سَاجٍ ^(١) فِي
بِقَاعِ الْأَرْضِينَ الْمُتَطَاثَّاتِ ، وَلَا فِي يَفَاعِ السُّفْعِ الْمُتَجَاوِرَاتِ . وَمَا
يَتَجَلَّجَلُ بِهِ الرُّعْدُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ ، وَمَا تَلَاشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمَامِ ، وَمَا
تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ وَأَنْهِيَالُ السَّمَاءِ ^(٢)
وَيَعْلَمُ مَسْقَطُ الْقَطَرَةِ وَمَقَرُّهَا ، وَمَسْحَبُ الذَّرَّةِ وَحَجَرُّهَا ، وَمَا يَكْفِي
الْبُعُوضَةَ مِنْ قُوَّاتِهَا ، وَمَا تَحْمِلُ الْأُنْثَى فِي بَطْنِهَا . الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَائِنِ
قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيُّ أَوْ عَرْشٌ ، أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ
لَا يَدْرِكُ بَوْمِهِمْ . وَلَا يَقْدَرُ بِفَهْمِهِمْ . وَلَا يَشْغَلُهُ سَائِلٌ ، وَلَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ ^(٣)

والجنادس: جمع حنّس - بكسر الحاء - الليل المظلم (١) الساجي: الساكن . ووصف
الليل بالسكون وصف له بصفة الشمولين به فان الحيوانات تسكن بالليل وتطلب أرزاقها
بالنهار . والمتطاثّات: المنخفضات . واليفاع: التل أو المرتفع مطلقاً من الأرض .
والسفع - جمع سفهاء - السوداء يضرب الى الحرة ، والمراد منها الجبال عبر عنها بلونها
فيما يظهر للنظر على بعد . وما يجلجلج به الرعد: صوته . والجلجلجة: صوت الرعد . وتلاشت:
اضمحلت وأصله من اشيء بمعنى خسر بعد رفعة . وما يضمحل عنه البرق هو الأشياء
التي ترى عند لمعانه . والعواصف: الرياح الشديدة واصافها للأنواء من اضافة الشيء
لمصاحبه عادة . والأنواء - جمع نوء - أحد منازل القمر يعدها العرب ثمانية وعشرين
يغيب منها عن الأفق في كل ثلاث عشرة ليلة منزلة ويظهر عليه أخرى . والغيب والظهور
عند طلوع الفجر وكانوا ينسبون المطر لهذه الأنواء فيقولون مطرنا بنوء كذا لمصادفة
هبوب الرياح وهطول الأمطار في أوقات ظهور بعضها حتى جاء الاسلام فأبطل الاعتقاد
بتأثير الكواكب في الخواص الأرضية وتأثير ارواحنا (٢) السماء هنا: المطر (٣) النائل:

وَلَا يُبْصِرُ بِعَيْنٍ . وَلَا يُحَدِّثُ بَأْنٍ . وَلَا يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ ، وَلَا يَخْلُقُ بِعِلَاجٍ .
وَلَا يُدْرِكُ بِالْخَوَاسِّ . وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ . الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا ،
وَأَرَاهُمِنْ آيَاتِهِ عَظِيمًا . بِلَا جَوَارِحَ وَلَا أَدَوَاتٍ ، وَلَا نُطْقٍ وَلَا لَهَوَاتٍ ^(١) .
بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لَوْ صَفِ رَبُّكَ ^(٢) فَصِفْ جَبْرَائِيلَ
وَمِيكَائِيلَ وَجُنُودَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي حُجَرَاتِ الْقُدُسِ مُرْجَحِينَ ^(٣) ،
مُتَوَلِّهَةً عُقُولُهُمْ أَنْ يَحْدُوا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ . فَإِنَّمَا يُدْرِكُ بِالصِّفَاتِ
ذَوُو الْهَيْئَاتِ وَالْأَدَوَاتِ ، وَمَنْ يَنْقُضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ ، فَلَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ أَضَاءُ بِنُورِهِ كُلِّ ظَلَامٍ ، وَأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلِّ نُورٍ

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي أَلْبَسَكُمْ الرِّيَاشَ ^(٤) وَأَسْبَغَ
عَلَيْكُمْ الْمَعَاشَ . وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلْمًا ، أَوْ إِلَى دَفْعِ الْمَوْتِ

العطاء . والابن : المكان . والأزواج : القراء والامثال ، أى لا يقال ذو قرناء
ولا هو قرين لشيء . والعلاج لا يكون إلا بين شئين أحدهما يقاوم الآخر فينتلب
الآخر عليه ، والله لا يعالج شيئاً بل يقول له كن فيكون (١) اللهوات - جمع هاة -
اللحمة المشرقة على الخلق فى أقصى الغم (٢) التكلف : هو شديد التعرض لما لا يعنيه ،
أى ان كنت أيها المتعرض لما لا يعنك من وصف ربك صادقاً فى دعوى القدرة
على وصفه فصف أحد مخلوقاته فإذا عجزت فأنت عن وصف الخالق أشد عجزاً
(٣) الحجرات : جمع حجرة - بضم الحاء - الغرفة . والمرجحن - كالمقشعر - المائل
لنقله والمتحرك يمينا وشمالا كناية عن انحنائهم لعظمة الله واهتزازهم لهيبته . ومتولاه :
أى حائرة أو متخوفة (٤) الرياش : اللباس الفاخر

سَيِّلاً، لَكَانَ ذَلِكَ سَلِيمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي سَخَّرَ لَهُ مُلْكُ
الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مَعَ النُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ . فَلَمَّا اسْتَوَى طُعْمَتُهُ^(١)،
وَأَسْكَمَلَ مَدَّتُهُ ، رَمَتْهُ قَيْسُ الْفَنَاءِ بِنِبَالِ الْمَوْتِ . وَأَصْبَحَتْ الدِّيَارُ
مِنْهُ خَالِيَةً ، وَالْمَسَاكِينُ مُعْطَلَةً ، وَوَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ ، وَإِنَّ لَكُمْ فِي
الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً . أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ . أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ
الْفَرَاعِنَةِ . أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرِّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ وَأَطْفَأُوا
سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ . وَأَحْيَوْا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ^(٢) . وَأَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجِيُوشِ
وَهَزَمُوا الْأَلُوفَ . وَعَسَكُرُوا الْعَسَاكِرَ وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ

(١) الطعمة - بالضم - المأكلة أي مايؤكل . والمراد رزقه المقسوم (٢) سئل أمير المؤمنين
عن أصحاب مدائن الرس فيمارواه الرضى عن آبائه إلى جده الحسين فقال . اهتم كانوا يسكنون
في مدائن لهم حلى نهر يسمى الرس من بلاد المشرق (هونهر أرس في بلاد أذربيجان)
وكانوا يعبدون شجرة صنوبر مغروسة على شفير عين تسمى دوشاب (يقال غرسها يافث
بن نوح) وكان اسم الصنوبر شاه درخت وعدة مدائنهم اثنتا عشرة مدينة اسم الأولى
أبان ، والثانية آذر ، والثالثة دى ، والرابعة بهمن ، والخامسة اسفندارمز ، والسادسة
فروردين ، والسابعة اردى بهشت ، والثامنة خزداد ، والتاسعة مرداد ، والعاشره تير ،
والحادية عشرة مهر ، والثانية عشرة شهر يور ، فبعث الله لهم نبياً ينهاهم عن عبادة
الشجرة ويأمرهم بعبادة الله فبغوا عليه وقتلوه وأشنع قتل حيث أقاموا في العين أنابيب
من رصاص بعضها فوق بعض كالبرابخ ثم نزعوا منها الماء واحتفروا حفرة في قعرها
وألقوا نبيهم فيها حياً واجتمعوا يسمعون أنينه وشكواه حتى مات فعاقبهم الله بارسال
ريح عاصفة ملتهبة سلفت أبدانهم وقذفت عليهم الأرض مواد كبريتية متقدة فذابت

(مِنْهَا) قَدْ لَيْسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا^(١). وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدْبَارِهَا مِنَ
الْإِقْبَالِ عَلَيْهَا وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا وَالتَّفَرُّغِ لَهَا. وَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتِي
يَطْلُبُهَا، وَحَاجَّتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا. فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الْإِسْلَامُ^(٢)،
وَضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنْبِهِ، وَالصَّقَ الْأَرْضَ بِحِجْرَانِهِ. بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ^(٣)،
خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ (ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ) :

أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكُمْ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا
أُمَمَهُمْ. وَأَدَيْتُ إِلَيْكُمْ مَا آدَتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ. وَأَدْبَيْتُكُمْ
بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا. وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوْجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْثِقُوا^(٤). اللَّهُ أَنْتُمْ!
أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَامًا غَيْرِي يَطَّأُ بِكُمْ الطَّرِيقَ، وَيُرْشِدُكُمْ السَّبِيلَ؟
أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ
مُذْبِرًا، وَأَزْمَعَ التَّرْحَالَ عِبَادُ اللَّهِ الْأَخْيَارُ، وَبَاعُوا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا

أَجْسَادَهُمْ وَهَلَكُوا وَانْقَلَبَتْ مَدَائِسُهُمْ (١) جنة الحكمة : ما يحفظها على صاحبها
من الزهد والورع. والكلام في العارف مطلقا (٢) هو مع الاسلام فاذا صار الاسلام
غريبا اغترب معه لا يضل عنه. وعسيب الذنب : أصله . والضمير في ضرب للاسلام .
وهذا كناية عن التعب والاعياء، يريد ضعف . والجران - ككتاب - مقدم عنق البعير
من المذبح إلى المنحر، والبعير أقل ما يكون نفعه عند بروكه. والصاق جراحه بالأرض
كناية عن الضعف كسابقه (٣) بقية: تابع لغترب: وضمير حجته وأنبيائه لله المعلوم
من الكلام (٤) استوسقت الابل : اجتمعت وانضم بعضها إلى بعض

لَا يَبْقَى بِكَثِيرٍ مِنَ الْآخِرَةِ لَا يَفْنَى. مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سَفَكْتَ
 دِمَاؤَهُمْ وَهُمْ بِصِفَيْنِ أَنْ لَا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءَ؟ يُسَيِّغُونَ الْقُصَصَ
 وَيَشْرَبُونَ الرِّيقَ^(١). قَدْ وَاللَّهِ لَقُوا اللَّهَ فَوْقَهُمْ أَجُورُهُمْ، وَأَحْلَمَهُمْ
 دَارَ الْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ. أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ وَمَضَوْا
 عَلَى الْحَقِّ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ^(٢)؟ وَأَيْنَ ابْنُ التَّيْهَانِ؟ وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ؟
 وَأَيْنَ لُظْرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ، وَأُثِرِدَ بَرءُ وَسِيهِمْ
 إِلَى الْفَجَرَةِ. (قَالَ ثُمَّ ضَرَبَ يَدِهِ عَلَى لِحْيَتِهِ الشَّرِيفَةِ الْكَرِيمَةِ
 فَأَطَالَ الْبُكَاءَ، ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ) :

أَوْهٍ عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ تَلَّوْا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ^(٣)، وَتَدَبَّرُوا
 الْفَرَضَ فَأَقَامُوهُ، أَحْيَوْا السُّنَّةَ وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ. دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا،
 وَوَقَّعُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ (ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ) : الْجِهَادُ الْجِهَادُ عِبَادَ
 اللَّهِ. أَلَا وَإِنِّي مُعْسِكِرٌ فِي يَوْمِي هَذَا فَمَنْ أَرَادَ الرِّوَا حَ إِلَى اللَّهِ
 فَلْيَخْرُجْ

(١) الرقيق - بكسر النون وفتحها وسكونها - الكدر (٢) عمار بن ياسر من السابقين
 الأولين. وأبو الهيثم مالك بن التيهان بشديد البلاء وكسر هاء من أ كابر الصحابة. وذو الشهادة
 خزيمة بن ثابت قبل النبي شهادته بشهادة رجلين في قصة مشهورة كلهم قتلوا في صفين.
 وأثريد برء وسهم أى أرسلت مع البريد بعد قتلهم إلى البغاة للتشفي منهم رضى الله عنهم
 (٣) أوه بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر الهاء - كلمة توجع

قَالَ نَوْفٌ : وَعَقَدَ لِلْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ ، وَلَقِيَ
 ابْنَ سَعْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ ، وَلِأَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ فِي عَشْرَةِ
 آلَافٍ ، وَلِغَيْرِهِمْ عَلَى أَعْدَادٍ أُخَرَ وَهُوَ يُرِيدُ الرُّجْعَةَ إِلَى صِفِّينَ ، فَمَا
 دَارَتِ الْجُمُعَةُ حَتَّى ضَرَبَهُ الْمَلْعُونَ ابْنُ مُلْجَمٍ لَعْنَهُ اللَّهُ ، فَتَرَا جَعَتِ
 الْمَسَاكِرُ فُكْنًا كَأَغْنَامٍ فَقَدَّتْ رَاعِيَهَا تَحْتَطِفُهَا الذُّنَابُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَا ، وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصَبَةٍ^(١) . خَلَقَ
 الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ ، وَأَسْتَعْبَدَ الْأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ ، وَسَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ .
 وَهُوَ الَّذِي أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ ، وَبَعَثَ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ رُسُلَهُ
 لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غَطَائِهَا ، وَلِيَحْذَرُواهُمْ مِنْ ضَرَائِهَا ، وَلِيَضْرِبُوا لَهُمْ
 أَمْثَالَهَا ، وَلِيُبْصِرُواهُمْ عُيُوبَهَا ، وَلِيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ تَصَرُّفِ
 مَصَاحِبِهَا وَأَسْقَامِهَا^(٢) ، وَحَلَالِهَا وَحَرَامِهَا . وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ

(١) المنصبه - كصطبة - التعب (٢) هجم عليه - كنصر - دخل غفلة . والمعتبر مصدر ميمي
 الاعتبار والاعتاظ بمعنى . والتصرف : التبديل . والمصاح - جمع مصححة بكسر الصاد وفتحها -
 بمعنى الصحة والعافية ، كأن الناس في غفلة عن سر تعاقب الصحة والمرض على بدن
 الانسان حتى نبهتهم رسل الله إلى أن هذا ابتلاء منه سبحانه ليعرف الانسان عجزه
 وأن أمره بيدخالقه

وَالْعَصَاةِ مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ وَكَرَامَةٍ وَهَوَانٍ . أَحْمَدُهُ إِلَى نَفْسِهِ كَمَا اسْتَحَمَدَ
إِلَى خَلْقِهِ ^(١) جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ، وَلِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلًا ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ
كِتَابًا .

(مِنْهَا) فَالْقُرْآنُ أَمْرٌ زَاجِرٌ ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ . حُجَّةٌ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ .
أَخَذَ عَلَيْهِمْ مِيثَاقَهُ . وَأَرْثَنَ عَلَيْهِ أَنْفُسَهُمْ ^(٢) . أَتَمَّ نُورُهُ ، وَأَكْمَلَ بِهِ
دِينَهُ ، وَقَبَضَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَدَفَرَغَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ
الْهُدَى بِهِ . فَعَظَمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ . فَإِنَّهُ لَمْ يُخَفِ
عَنْكُمْ شَيْئًا مِنْ دِينِهِ . وَلَمْ يَتْرِكْ شَيْئًا رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ
عَلَمًا بَادِيًا وَآيَةً مُحْكَمَةً تَرْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ . فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ
وَاحِدٌ ، وَسَخَطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ . وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بِشَيْءٍ
سَخَطَهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَإِنْ يَسَخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِنْ
كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرِ بَيِّنٍ ، وَتَكَاْمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ
قَالَهُ الرِّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ . قَدْ كَفَاكُمْ مَوْثُونَ دُنْيَاكُمْ ، وَحَكَمَكُمْ
عَلَى الشُّكْرِ ، وَافْتَرَضَ مِنَ أَلْسِنَتِكُمْ الذِّكْرَ . وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى

(١) أى كما طلب من خلقه أن يحمده (٢) حبس نفوسهم فى ضنك المواخذة حتى
يؤدوا حق القرآن من العمل به فان لم يفعلوا لم يخلصوا بل بهلكوا

وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ وَحَاجَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ . فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِعَيْنِهِ ^(١)
وَنَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ ، وَتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ . وَإِنْ أَسْرَرْتُمْ عَالِمَهُ ، وَإِنْ
أَعْلَنْتُمْ كِتَبَهُ . قَدْ وَكَّلَ بِذَلِكَ حَفَظَةً كَرَامًا لَا يُسْقِطُونَ حَقًّا ، وَلَا
يُثْبِتُونَ بَاطِلًا . وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا مِنْ أَلْفَتَيْنِ وَنُورًا
مِنَ الظُّلَمِ ، وَيُخَلِّدُهُ فِي مَا أَسْتَهْتِ نَفْسُهُ ، وَيُنْزِلُهُ مَنَزِلَ الْكَرَامَةِ
عِنْدَهُ . فِي دَارٍ أَصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ . ظِلُّهَا عَرْشُهُ . وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ . وَزُورُهَا
مَلَائِكَتُهُ . وَرُفُقَاؤُهَا رُسُلُهُ . فَبَادِرُوا أَلَمَعَادَ . وَسَابِقُوا أَلَا جَالٍ . فَإِنَّ
النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الْأَمَلُ ، وَيَرْهَقَهُمُ الْأَجَلُ ^(٢) ، وَيُسَدَّ
عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ . فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرُّجْعَةُ مَنْ كَانَ
قَبْلَكُمْ ^(٣) . وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ ، وَقَدْ
أُودِنْتُمْ مِنْهَا بِالْإِرْتِحَالِ ، وَأُمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ . وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا
الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ ، فَأَرْحَمُوا أَنْفُسَكُمْ فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَبْتُمُوهَا
فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا . أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنْ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ ،

(١) يقال فلان بعين فلان إذا كان بحيث لا يخفى عليه منه شيء (٢) أي يغشاهم بالمنية (٣) أي
أنكم في حالة يمكنكم فيها العمل لآخرتكم وهي الحالة التي ندب المهملون على فواتها وسألوا الرجعة
إليها كما حكى الله عنهم إذ يقول الواحد منهم «رب ارجعون لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت»

وَالْعَمْرَةَ تَدْمِيهِ، وَالرَّامُضَاءِ تُحْرِقُهُ؟ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ مِنَ
نَارٍ، ضَجِيعَ حَجَرٍ وَفَرَيْنَ شَيْطَانٍ. أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكًا إِذَا غَضِبَ عَلَى
النَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضًا لِعُصْبِهِ^(١)، وَإِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا
جَزَعًا مِنْ زَجَرَتِهِ

أَيُّهَا الْيَفَنُ الْكَبِيرُ^(٢) الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ الْقَتِيرُ، كَيْفَ أَنْتَ إِذَا
الْتَحَمَتْ أَطْوَاقُ النَّارِ بِعِظَامِ الْأَعْنَاقِ! وَنَشِبَتْ الْجَوَامِعُ^(٣) حَتَّى أَكَلَتْ
لُحُومَ السُّوَاعِدِ. فَاللَّهُ اللَّهُ مَعَشَرَ الْعِبَادِ وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصَّحَّةِ قَبْلَ
الْسُّقْمِ. وَفِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ، فَاسْعَوْا فِي فِكَالِكِ رِقَابِكُمْ مِنْ
قَبْلِ أَنْ تَعْلَقَ رَهَائِنُكُمْ^(٤). أَسْهَرُوا عْيُونََكُمْ، وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ
وَأَسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ، وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ، وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ
وَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَبْخُلُوا بِهَا عَنْهَا فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
«إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» وَقَالَ تَعَالَى «مَنْ ذَا
الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ» فَلَمْ
يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ، أَسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ

(١) مالك هو الموكل بالجحيم (٢) اليفن - بالتحريك - الشيخ المسن . ولهذه :
أى خاطبه . والقدير : الشيب (٣) نشبت - كفرحت - علقت . والجوامع - جمع جامعة -
الغل لأنها تجمع اليمين إلى العنق (٤) غلق الرهن - كفرح - استحققه صاحب الحق

جُنُودِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . وَأَسْتَغْفِرُكُمْ وَلَهُ
خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ . أَرَادَ أَنْ يَبْلُوكُمْ^(١)
أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا . فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ اللَّهِ فِي
دَارِهِ . رَافِقَ بِهِمْ رَسُولَهُ ، وَأَزَارَهُمْ مَلَائِكَتُهُ ، وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ
تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَدًا^(٢) ، وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوبًا وَنَصَبًا^(٣)
« ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » أَقُولُ
مَا تَسْمَعُونَ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَانْفُسِكُمْ ، وَهُوَ حَسْبِي
وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَالَ لِلْبُرْجِ بْنِ مِسْهَرٍ الطَّائِي^(٤) ، وَقَدْ قَالَ لَهُ بِحَيْثُ يَسْمَعُهُ :

لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ، وَكَانَ مِنَ الْخَوَارِجِ

أَسْكُتُ قَبْحَكَ اللَّهُ يَا أَثَرَمَ^(٥) ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتُ

فِيهِ ضَعِيفًا شَخْصُكَ ، خَفِيفًا صَوْتُكَ ، حَتَّى إِذَا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمْتَ

وذلك إذا لم يمكن فكاهه في الوقت المشروط (١) يخبركم (٢) الحسيس : الصوت
الخفي (٣) لغب - كسمع ومنع وكرم - لغبا ولغوبا أعني أشد الأعياء . والنصب :
التعب أيضاً (٤) أحد شعراء الخوارج (٥) الأثرم : محرر سقوط التنية من الأسنان .
والضعيل : التحيف المهزول ، كناية عن الضعف . ونعر : أى صاح . ونجمت : ظهرت

نُجُومُ قَرْنِ الْمَاعِزِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُذَرِكُهُ الشَّوَاهِدُ ، وَلَا تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ ، وَلَا تَرَاهُ النَّوَاطِرُ ، وَلَا تَحْجِبُهُ السَّوَابِرُ ، الدَّلَالُ عَلَى قَدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ ، وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى وُجُودِهِ ، وَبِاشْتِيَائِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَيْبَةَ لَهُ . الَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ ، وَأَرْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ . وَقَامَ بِالْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ ، وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ . مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَرْزَاقِهِ ، وَبِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ ، وَبِمَا أَصْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ . وَاحِدٌ لَا يَمُدُّ ، وَدَائِمٌ لَا يَأْمِدُ ^(١) ، وَقَائِمٌ لَا يَمُتُّ . تَتَلَقَّاهُ الْأَذْهَانُ لَا بِمِشَاعَرَةٍ ^(٢) . وَتَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِي لَا بِمُحَاضَرَةٍ . لَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ ، بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا ، وَبِهَا أُمْتَنَعَ مِنْهَا ، وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا ^(٣) . لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ أُمْتَدَّتْ بِهِ النَّهَايَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيمًا ، وَلَا بِذِي عِظَمٍ

وبرزت . والتشبيه بقرن الماعز في الظهور على غير شور (١) الأمد : الغاية (٢) المشاعرة : انفعال إحدى الحواس بما تحسه من جهة عروض شيء منه عليها . والمرأى - جمع مرآة بالفتح - وهي المنظر أي تشهد له مناظر الأشياء لا بحضوره فيها شاخصاً للأبصار (٣) أي أنه بعد ما تجلى للأوهام بآثاره فعرفته امتنع عليها بكنه ذاته وحاكمها إلى نفسها حيث رجعت بعد البحث غاصقة حسيرة معترفة بالعجز عن الوصول إليه

تَنَاهَتْ بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَمَتُهُ تَجَسِّدًا . بَلْ كَبُرَ شَأْنًا ، وَعَظُمَ سُلْطَانًا .
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّيِّ ، وَأَمِينُهُ الرَّضِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ . أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَّجِ ^(١) ، وَظُهُورِ الْفَلَاحِ وَإِضَاحِ
الْمُنْهَجِ ، فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ صَادِعًا بِهَا ، وَحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ دَالًّا عَلَيْهَا .
وَأَقَامَ أَعْلَامَ الْإِهْتِدَاءِ وَمَنَارَ الضِّيَاءِ . وَجَعَلَ أُمُرَاسَ الْإِسْلَامِ مَتِينَةً ^(٢)
وَعُرَى الْإِيمَانِ وَثِيقَةً

(مِنْهَا فِي صِفَةِ خَلْقِ أَصْنَافٍ مِنَ الْخَيَوَانِ) : وَلَوْ فَكَّرُوا فِي
عَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ وَخَافُوا عَذَابَ الْخَرِيقِ
وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ عَلِيلَةٌ ، وَالْبَصَائِرُ مَدْخُولَةٌ . أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ
مَا خَلَقَ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ ، وَآتَقَنَ تَرْكِيبَهُ ، وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ
وَالْبَصَرَ ، وَسَوَّى لَهُ الْعَظْمَ وَالْبَشَرَ ^(٣) . انْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِي صِغَرِ
جُثَّتِهَا وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا ، لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ الْبَصَرِ ، وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكْرِ ،
كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا ، وَصَبَتْ عَلَى رِزْقِهَا ، تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا ،
وَتُعِيدُهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا . تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا ، وَفِي وُرُودِهَا لِيَصْدَرِهَا ^(٤) ،

(١) أى يلزم العباد بالحجج البينة على مادعاهم اليه من الحق . والفلاح : الظفر
وظهوره : علو كلمة الدين (٢) الأمراس جمع مرس بالتحريك وهو جمع مرساة بالتحريك
وهو الحبل (٣) جمع بشرة وهى ظاهر الجلد الانسانى (٤) الصدر - محرك - الرجوع بعد

مَكْفُولَةٌ بِرِزْقِهَا مَرْزُوقَةٌ بِوَفْقِهَا . لَا يُغْفِلُهَا الْمَنَانُ ، وَلَا يَحْرِمُهَا
الدَّيَّانُ وَلَوْ فِي الصِّفَا أَلْيَاسٍ وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ ^(١) وَلَوْ فَكَرَّتْ فِي
مَجَارِي أَكْلِهَا فِي عُلُوقِهَا وَسُفْلِهَا وَمَا فِي أَجُوفٍ مِنْ شَرَّاسِيفٍ بَطْنِهَا ^(٢)
وَمَا فِي الرُّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَبًا ، وَلَقِيتَ مِنْ
وَصْفِهَا تَعَبًا . فَتَعَالَى الَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا ، وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا ، لَمْ
يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ ، وَلَمْ يُعِنِّهُ فِي خَلْقِهَا قَادِرٌ . وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي
مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لَتَبْلُغَ غَايَاتِهِ ، مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ
النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ ، لِذَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ ^(٣) ، وَغَامِضِ اخْتِلَافِ
كُلِّ حَيٍّ ، وَمَا الْجَلِيلُ وَاللَّطِيفُ وَالثَّقِيلُ وَالْخَفِيفُ وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ
فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءً ، وَكَذَلِكَ السَّمَاءُ وَالْهَوَاءُ وَالرِّيَّاحُ وَالْمَاءُ . فَانْظُرْ
إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ وَالْمَاءِ وَالْحَجَرِ وَاخْتِلَافِ هَذِهِ
الَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَتَفَجَّرِ هَذِهِ الْبَحَارِ ، وَكَثْرَةِ هَذِهِ الْجِبَالِ ، وَطُولِ هَذِهِ
الْقِلَالِ ^(٤) وَتَفَرَّقِ هَذِهِ اللُّغَاتِ ، وَالْأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ . فَالْوَيْلُ لِمَنْ

الورود . وقوله بوقفها بكسر الواو أى بما يوافقها من الرزق ويلائم طبعها (١) الجامد (٢) الشراسيف : مقاطع الاضلاع وهى أطرافها التى تشرف على البطن (٣) أى أن دقة التفصيل فى النملة على صغرها والنخلة على طولها تدل على أن الصانع واحد

(٤) القلال - جمع قلة بالضم - وهى رأس الجبل

جَعَدَ الْمُقَدَّرَ وَأَنكَرَ الْمُدَبِّرَ . زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ ،
وَلَا لِاخْتِلَافِ صُورِهِمْ صَانِعٌ . وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا^(١) ،
وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا أُوْعُوا . وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ ، أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ
غَيْرِ جَانٍ . وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي الْجُرَادَةِ إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ .
وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ^(٢) . وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ ، وَفَتَحَ لَهَا
الْأَفْهَ السَّوِيَّ ، وَجَعَلَ لَهَا الْحَسَّ الْقَوِيَّ ، وَنَابِئَيْنِ بَيْنَهُمَا تَقْرِضُ ، وَمِنْجَلَيْنِ
بَيْنَهُمَا تَقْبِضُ^(٣) يَرْهَبُهَا الزَّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ذَهَابَهَا^(٤) .
وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ ، حَتَّى تَرِدَ الْحَرْثُ فِي نَزَوَاتِهَا^(٥) ، وَتَقْضَى مِنْهُ
شَهَوَاتُهَا . وَخَلَقَهَا كُلُّهُ لَا يَكُونُ إِصْبَعًا مُسْتَدَقَّةً

فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ،
وَيَعْبُدُهُ خَدًّا وَوَجْهًا ، وَيُلْقِي إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلَاقًا وَضَعْفًا ، وَيُعْطِي لَهُ
الْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفًا . فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ . أَحْصَى عَدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا
وَالنَّفْسَ ، وَأَرَسَى قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدَى وَالْيَبَسِ^(٦) . وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا ، وَأَحْصَى

(١) لم ياجأوا: لم يستندوا. وأوعاه- كوعاه- بمعنى حفظه (٢) أى مضيئتين كأن كلامهما ليلة
فياء أضاءها القمر (٣) المنجل- كمنبر- آلة من حديد معروفة يقضب بها الزرع. قالوا
أراد بهما هنا رجليها لاعوجاجهما وخشونتهما (٤) دفعها (٥) وثباتها، نزا عليها:
وثب (٦) المراد من الندى هنا مقابل اليبس بالتحريك فيعم الماء، كأنه يريد أن

أَجْنَسَهَا . فَهَذَا غُرَابٌ وَهَذَا عُقَابٌ . وَهَذَا حَمَامٌ وَهَذَا نَعَامٌ . دَعَا
كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ ، وَكَفَلَ لَهُ بِرِزْقِهِ . وَأَنْشَأَ السَّحَابَ الثَّقَالَ فَأَهْطَلَ
دِيمَهَا^(١) وَعَدَّدَ قِسَمَهَا ، فَبَلَّ الْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا ، وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ
جُدُوبِهَا .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي التَّوْحِيدِ وَجَمْعِ هَذِهِ النُّحْبَةِ مِنْ أُصُولِ الْعِلْمِ مَا لَا تَجْمَعُ خُطْبَةً

مَا وَحَدَهُ مِنْ كَيْفِهِ ، وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَلَهُ . وَلَا إِيَّاهُ عَنَى
مَنْ شَبَّهَهُ . وَلَا صَدَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ^(٢) . كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ
مَصْنُوعٌ^(٣) . وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْمُولٌ . فَاعِلٌ لَا بِاضْطِرَابِ آلَةٍ .
مُقَدَّرٌ لَا بِجَوْلِ فِكْرَةٍ . غَنِيٌّ لَا بِاسْتِفَادَةٍ . لَا تَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ ، وَلَا

الله جعل من الطير ما ثبت أرجله في الماء . ومنه ما لا يمشی الا في الأرض اليابسة
(١) الهطل - بالفتح - تتابع المطر والدمع . والديم - كالهمم - جمع ديمة : مطر
يدوم في سكون بلا رعد ولا برق . وتعدد القسم احصاء ما قدر منها لكل بقعة .
وجدوب الأرض : يسبها لاحتجاب المطر عنها (٢) صمده : قصده (٣) أى كل
معروف الذات بالسكنه مصنوع لأن معرفة السكنه انما تكون بمعرفة اجزاء الحقيقة
فمعروف السكنه مركب والمركب مفقتر في الوجود لغيره فهو مصنوع

تَرْفُدُهُ الْأَدَوَاتُ^(١) سَبَقَ الْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ . وَالْعَدَمَ وَجُودُهُ وَالْإِبْتِدَاءَ
 أَزَلُهُ . بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنَّ لَا مَشْعَرَ لَهُ^(٢) . وَبِمُضَادَّتِهِ بَيَّنَّ
 الْأُمُورَ عُرِفَ أَنَّ لَا ضِدَّ لَهُ . وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنَّ لَا قَرِينَ
 لَهُ . ضَادَّ النُّورَ بِالظُّلْمَةِ ، وَالْوُضُوحَ بِالْبُهْمَةِ وَالْجُمُودَ بِالْبَدَلِ ،
 وَالْخُرُورَ بِالضَّرْدِ^(٣) . مُؤَلَّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا^(٤) . مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا
 مُقَرَّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا . مُفَرَّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا^(٥) لَا يُشْمَلُ بِحَدٍّ ،
 وَلَا يُحْسَبُ بَعْدٌ ، وَإِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا ، وَتُشِيرُ إِلَّا لَهٗ إِلَى نَظَائِرِهَا .
 مَنَعَتْهَا مِنْذُ الْقِدَمِيَّةِ ، وَحَمَتْهَا قُدُّ الْأَزَلِيَّةِ . وَجَنَّبَتْهَا لَوْلَا التَّكْمِلَةُ^(٦) .

(١) ترفده - كتنصره - أى تعينه (٢) المشعر - ككفعد - محل الشعور أى الاحساس
 فهو الحاسة . وتشعيرها: إعدادها للانفعال الخصوص الذى يعرض لها من المواد وهو
 ما يسمى بالاحساس ، فالمشعر من حيث هو مشعر منفعل دائماً ولو كان لله مشعر
 لكان منفعلاً ، والمنفعل لا يكون فاعلاً ، وقد قلنا انه هو الفاعل بتشعير المشاعر. وهذا
 بمنزلة أن يقال ان الله فاعل فى خلقه فلا يكون منفعلاً عنهم كما يأتى التصريح به. وإنما
 خص باب الشعور بالذكور رداً على من زعم أن لله مشاعر . وعقده التضاد بين الأشياء
 دليل على استواء نسبتها اليه فلا ضد له إذ لو كانت له طبيعة تضاد شيئاً لاختص بإيجاده
 بما يلائمها لا بما يضادها فلم تكن أضداد ، والمقارنة بين الأشياء فى نظام الخلقة دليل
 أن صانعها واحد إذ لو كان له، شريك لخالفه فى النظام الإيجادى فلم تكن مقارنة.
 والمقارنة هنا : المشابهة (٣) الضرد - محركا - البرد أصلها فارسية (٤) متعادياتها كالغناصر
 (٥) كالجزئين من عنصر واحد فى جسمين مختلفين المزاج (٦) منذ ، وقد ، ولولا ،
 فواعل للأفعال قبلها . ومنذ لا ابتداء الزمان ، وقد لنقريبه ولا يكون الابتداء والتقريب

بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ ، وَبِهَا أُمْتَنَعَ عَنْ نَظَرِ الْعُيُونِ . لَا يَجْرِي عَلَيْهِ
السُّكُونُ وَالْخَرَكَةُ . وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ ، وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ
أَبْدَاهُ ، وَيَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثُهُ . إِذَا تَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ ^(١) ، وَلَتَجَزَأَ كُنْهُهُ ،
وَلَا مَتْنَعَ مِنَ الْأَرَلِ مَعْنَاهُ . وَلَكَانَ لَهُ وَرَائِهِ إِذْ وَجِدَ لَهُ أَمَامٌ . وَلَا تَمَسَّ
الْتِمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النُّقْصَانُ . وَإِذَا لَقَامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ ، وَلَتَحُولَ دَلِيلًا
بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولًا عَلَيْهِ . وَخَرَجَ بِسُلْطَانِ الْإِمْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثَّرَ
فِيهِ مَا يُؤَثَّرُ فِي غَيْرِهِ ^(٢) الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ
الْأَفُولُ ^(٣) . وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَنَّ مَوْلُودًا ^(٤) ، وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُودًا ^(٥) .

إلا في الزمان المتناهي . وكل مخلوق يقال فيه قد وجد ووجد منذ كذا ، وهذا مانع للقدم
والأزلية ، وكل مخلوق يقال فيه لولا خالقه ما وجد فهو ناقص لذاته محتاج للتكملة بغيره ،
والأدوات أي آلات الإدراك التي هي حادثة ناقصة كيف يمكن لها أن تحد الأزل
المتعالي عن النهاية في الكمال . وقوله بها أي بتلك الأدوات أي بواسطة ما أدركته
من شؤون الحوادث عرف الصانع فتجلى للعقول ، وبها أي بمقتضى طبيعة تلك
الأدوات من أنها لا تدرك إلا مادياً محدوداً امتنع سبحانه عن إدراك العيون التي هي
نوع من تلك الأدوات (١) أي اختلفت ذاته باختلاف الأعراض عليها ولتجزأت
حقيقته ، فإن الحركة والسكون من خواص الجسم وهو منقسم ، ولصار حادثاً فإن الجسم
بتركبه مفتقر لغيره (٢) وخرج عطف على قوله لا يجري عليه السكون . وسلطان الامتناع
هو سلطان العزة الأزلية (٣) من أفل النجم إذا غاب (٤) المراد بالمولود المتولد
عن غيره سواء كان بطريق التناسل المعروف أو كان بطريق النشوء كتولد النبات
عن العناصر ومن ولد له كان متولداً باحدى الطريقتين (٥) تكون بداية وجوده

جَلَّ عَنْ اتِّخَاذِ الْإِبْنَاءِ ، وَطَهَّرَ عَنْ مُلَامَسَةِ النِّسَاءِ . لَا تَنَالُهُ الْأَوْهَامُ
فَتُقَدِّرُهُ ، وَلَا تَوَهَّمُهُ الْفِطْنُ فَتُصَوِّرُهُ . وَلَا تُدْرِكُهُ الْخَوَاسُ فَتَحْسُهُ
وَلَا تَلْمِسُهُ الْأَيْدِي فَتَمَسَّهُ . لَا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ ، وَلَا يَتَبَدَّلُ بِالْأَحْوَالِ .
وَلَا تُبْلِيهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ ، وَلَا يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظَّلَامُ . وَلَا يُوصَفُ
بِشَيْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ ^(١) ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ . وَلَا بِعَرَضٍ مِنَ
الْأَعْرَاضِ ، وَلَا بِالْغَيْرِيَّةِ وَالْأَبْعَاضِ . وَلَا يُقَالُ لَهُ حَدٌّ وَلَا نِهَايَةٌ ،
وَلَا انْقِطَاعٌ وَلَا غَايَةٌ . وَلَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ ، فَتُقْلَهُ أَوْ تُهْوِيهِ ^(٢) ، أَوْ أَنَّ
شَيْئًا يَحْمِلُهُ فَيَمِيلُهُ أَوْ يُعَدِّلُهُ . لَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ بِوَالِجٍ ^(٣) ، وَلَا عَنْهَا بِجَارِحٍ .
يُخْبِرُ لَا بِلِسَانٍ وَلِهَوَاتٍ ^(٤) ، وَيَسْمَعُ لَا بِجُرُوقٍ وَأَدَوَاتٍ . يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ ،
وَيَحْفَظُ وَلَا يَتَحَقَّقُ ^(٥) ، وَيُرِيدُ وَلَا يُضْمِرُ . يُحِبُّ وَيَرِضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ ،
وَيُبْغِضُ وَيَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ . يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ كُنْ فَيَكُونُ .
لَا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ ، وَلَا بِبِدَاءٍ يُسْمَعُ . وَإِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ ^(٦)

يوم ولادته (١) أى لا يقال ذو جزء كذا ولا ذو عضو كذا (٢) تقله : أى ترفعه . وتهويه :
أى تحطه وتسقطه (٣) أى داخل (٤) جمع لهاة اللحمية فى سقف أقصى الفم (٥) أى
لا يتكلف الحفظ « ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم » (٦) كلامه أى الالفاظ
والحروف التى يطلق عليها كلام الله باعتبار مادات عليه وهى أحادثة عند عموم الفرق
ما خلا جماعة من الحنابلة . أو المراد بالكلام هنا ما أريد فى قوله تعالى « قل لو كان
البحر مدداً لسكلمات ربى لنفد » الآية ، وهو على ما قال بعض المفسرين أعيان الموجودات

أَنْشَأَهُ . وَمِثْلُهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَائِنًا ، وَلَوْ كَانَ قَدِيمًا لَكَانَ إِلَهًا ثَانِيًا .

لَا يُقَالُ كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَتَجَرَّى عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحْدَثَاتُ ، وَلَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَضْلٌ ^(١) ، وَلَا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ ، فَيَسْتَوِي الْأَصَانِعُ وَالْمَصْنُوعُ ، وَيَتَكَافَأُ الْمُبْتَدِئُ وَالْبَدِيعُ . خَلَقَ الْخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ . وَأَنْشَأَ الْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اشْتِغَالٍ . وَأَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ . وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمٍ . وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمٍ . وَحَصَّنَهَا مِنَ الْأَوْدِ وَالْإِغْوِجَاجِ ^(٢) . وَمَنْعَهَا مِنَ التَّهَافُتِ وَالْإِنْفِرَاجِ ^(٣) . أَرْسَى أَوْتَادَهَا ، وَضَرَبَ أَسْدَادَهَا ، وَأَسْتَقَاضَ غُيُوثَهَا وَخَدَّ أَوْدِيَّتَهَا ^(٤) . فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ ^(٥) ، وَلَا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ . هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ ، وَهُوَ الْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ ، وَالْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلَالِهِ وَعِزَّتِهِ . لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا طَلِبُهُ ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فِعْلُهُ ، وَلَا يَفُوتُهُ السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقُهُ ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى ذِي مَالٍ فَيَرْزُقُهُ . خَضَعَتِ الْأَشْيَاءُ لَهُ ، وَذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ ،

(١) ولا يكون عطف على تجري (٢) عطف تفسير على الود (٣) التهافت : التساقط قطعة قطعة . والانفراج : الانشقاق (٤) الأوتاد : جمع وتد . والأسداد : جمع سدو المراد بها الجبال . وخد أي شق (٥) يهين - من الوهن - بمعنى الضعف

لَا تَسْتَطِيعُ الْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ فَمَتَمَتِ مِنْ نَفْعِهِ وَضَرَّهُ ،
وَلَا كُفُوَ لَهُ فَيُكَافِئُهُ ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ فَيُسَاوِيهِ . هُوَ الْمَفْنَى لَهَا بَعْدَ
وُجُودِهَا ، حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا .

وَلَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَاءِهَا وَاخْتِرَاعِهَا .
وَكَيْفَ لَوْ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا ، وَمَا كَانَ مِنْ
مُرَاحِيهَا وَسَائِمِهَا ^(١) ، وَأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا وَأَجْنَاسِهَا ^(٢) ، وَمُسَبِّلَةِ أَثْمِهَا
وَأَكْيَاسِهَا عَلَى إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ مَا قَدَرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا ، وَلَا عَرَفَتْ
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى إِيجَادِهَا . وَلَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَلَتَاهَتْ ،
وَعَجَزَتْ قُوَاهَا وَتَنَاهَتْ ، وَرَجَعَتْ خَاسِئَةً حَسِيرَةً ^(٣) عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ
مُقِرَّةٌ بِالْعَجْزِ عَنِ إِنْشَاءِهَا . مُذْعِنَةٌ بِالضَّعْفِ عَنِ إِفْنَاءِهَا .

وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَمُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحَدَهُ لَا شَيْءَ مَعَهُ . كَمَا
كَانَ قَبْلَ ابْتِدَاعِهَا كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا . بِلَا وَقْتٍ وَلَا مَكَانٍ ،
وَلَا حِينَ وَلَا زَمَانٍ . عُدِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْأَجَالُ وَالْأَوْقَاتُ ، وَزَالَتِ السَّنُونَ

(١) مراحيها - بضم الميم - اسم مفعول من أراح الابل ردها إلى المراح بالضم أى المأوى .
والسائم: الراعى يريد ما كان فى مأواه وما كان فى مرعاه (٢) الأسناخ: الأصول . والمراد
منها الأنواع أى الاصناف الداخلة فى أنواعها . والمتبيلة أى الغبية . والأكياس :
جمع كيس - بالتشديد - العاقل الخاذق (٣) الخاسية : الذليل . والحسير : السكال المعيب

وَالسَّاعَاتُ . فَلَا شَيْءَ إِلَّا الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ
الْأُمُورِ . بَلَا قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ أِبْتِدَاءُ خَلْقِهَا ، وَبَغْيَرِ امْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ
فَنَائُهَا . وَلَوْ قَدَرْتَ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ دَامَ بَقَاؤُهَا . لَمْ يَتَكَاءَدُهُ صُنْعُ شَيْءٍ
مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ^(١) ، وَلَمْ يَوْدُهُ مِنْهَا خَلْقُ مَا خَلَقَهُ وَبَرَأَهُ . وَلَمْ يُكُونَنَّهَا
لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ . وَلَا خَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ وَتُقْصَانٍ ، وَلَا لِلِاسْتِعَانَةِ بِهَا
عَلَى نِدِّ مُكَاتِرٍ^(٢) ، وَلَا لِلِاحْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدِّ مُثَاوِرٍ . وَلَا لِلِازْدِيَادِ
بِهَا فِي مُلْكِهِ ، وَلَا لِمُكَاتَرَةِ شَرِيكِ فِي شَرِّكِهِ . وَلَا لَوْخْشَةٍ
كَانَتْ مِنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا . ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا
لَا لِسَامٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَصْرِيفِهَا وَتَذْيِيرِهَا ، وَلَا لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ .
وَلَا لِثِقَلِ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ . لَمْ يُمَلِّهِ طَوْلُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوهُ إِلَى سُرْعَةٍ
إِفْنَائِهَا . لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ ، وَأَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ ، وَأَتَقَنَهَا
بِقُدْرَتِهِ ، ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا ، وَلَا أَسْتِعَانَةٍ
بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا ، وَلَا لَانْصِرَافٍ مِنْ حَالٍ وَخْشَةٍ إِلَى حَالٍ أَسْتِئْثَابٍ ،
وَلَا مِنْ حَالٍ جَهْلٍ وَعَمَى إِلَى حَالٍ عِلْمٍ وَالتَّمَاسِ . وَلَا مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ

(١) لم يتكأده : لم يشق عليه . ولم يوده : لم يشغله . و برأه مرادف لخلقها (٢) الند
بالكسر - المثل . والمكاترة : المغالبة بالكثرة يقال كاتره فكثره أى غلبه ، والمثاور

إِلَى غِنَى وَكَثْرَةٍ . وَلَا مِنْ ذُلِّ وَضَعَةٍ إِلَى عِزٍّ وَقُدْرَةٍ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَلَا يَا أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ عِدَّةِ أَسْمَاءٍ مَعْرُوفَةٍ ، وَفِي
الْأَرْضِ مَجْهُولَةٍ ^(١) ، أَلَا فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ إِدْبَارِ أُمُورِكُمْ ،
وَأَنْقِطَاعِ وَصْلِكُمْ ، وَأُسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ . ذَاكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ
السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ الدَّرْهِمِ مِنْ حِلِّهِ ^(٢) . ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ
الْمُعْطَى أَكْثَرَ أَجْرًا مِنَ الْمُعْطَى ^(٣) . ذَاكَ حَيْثُ تَسْكُرُونَ مِنْ غَيْرِ
شَرَابٍ ، بَلْ مِنْ النِّعْمَةِ وَالنَّعِيمِ ، وَتَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ اضْطِرَارٍ ،
وَتَسْكَذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِحْرَاجٍ ^(٤) . ذَلِكَ إِذَا عَضَّكُمْ أَلْبَاءُ كَمَا يَعْضُ
الْقَتَبُ غَارِبَ الْبَعِيرِ ^(٥) . مَا أَطْوَلَ هَذَا الْعَنَاءَ وَأَبْعَدَ هَذَا الرَّجَاءَ

المواثب المهاجم (١) يريد أهل الحق الذين سترتهم ظلمة الباطل في الأرض فجهلهم
أهلها وانشرت بواطنهم فأضاءت بها السموات العلى فعرفهم سكانها (٢) لفساد المسكاسب
واختلاط الحرام بالحلال (٣) أى حيث يكون الخير في الفقراء ويعم الشر جميع الأغنياء
فيعطى الغنى سرفاً وتبذيراً ، وينفق الفقير ما يأخذ من مال الغنى في وجهه الشرعى
(٤) الإحراج : التضييق (٥) القتب: محركا- الأء كاف. والغارب : ما بين العنق والسنام

أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذِهِ الْأَزِمَةَ الَّتِي تَحْمِلُ ظُهُورَهَا الْأَثْقَالَ مِنْ
 أَيْدِيكُمْ^(١) ، وَلَا تَصَدَّعُوا عَلَى سُلْطَانِكُمْ فَتَذُمُوا غِبَّ فِعَالِكُمْ .
 وَلَا تَقْتَحِمُوا مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ فَوْرِ نَارِ الْفِتْنَةِ^(٢) . وَأَمِيطُوا عَنْ
 سَبِيلِهَا^(٣) ، وَخَلُّوا قَصْدَ السَّبِيلِ لَهَا . فَقَدْ لَعِمَرِي يَهْلِكُ فِي لَهَبِهَا الْمُؤْمِنُ
 وَيَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ الْمُسْلِمِ .

إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ مَثَلُ السَّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ
 وَلَجَهَا . فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَعُوا ، وَأَحْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَقْبَهُوا

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَوْصِيَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَكَثْرَةِ حَمْدِهِ عَلَى آلَائِهِ إِلَيْكُمْ ،
 وَنِعْمَائِهِ عَلَيْكُمْ ، وَبِلَايَةِ لَدَيْكُمْ^(٤) . فَكَمْ خَصَّكُمْ بِنِعْمَةٍ ،
 وَتَدَارَكَكُمْ بِرَحْمَةٍ : أَعُورْتُمْ لَهُ فَسَّرَكُمْ^(٥) ، وَتَعَرَّضْتُمْ لِأَخْذِهِ

(١) الأزمة - كائنة - جمع زمام . والمراد بظهورها ظهور المزمومات بها . والكلام
 تجوز عن ترك الآراء الفاسدة التي يقاد بها قوم يحملون أثقالا من الأوزار . ولا تصدعوا
 أي لا تفرقوا ولا تختلفوا على امامكم فتقبح عاقبتكم فتذموها (٢) فور النار :
 ارتفاع لهبها ، أي لا ترموا بأنفسكم في الفتنة التي تقبلون عليها (٣) أميطوا أي تنحوا
 عن طريقها وميلوا عن وجهة سيرها وخلوا لها سبيلها التي استقامت عليها (٤) البلاء :
 الاحسان (٥) أعورتم لها أي ظهرت له عوراتكم وعيوبكم . ولأخذه ، أي أن يأخذكم

فَأَمْهَلَكُمْ . وَأَوْصِيَكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَإِقْلَالِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ . وَكَيْفَ
 غَفَلْتُمْ عَنْمَا لَيْسَ يُغْفِلُكُمْ^(١) ، وَطَمَعُكُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمְهِلُكُمْ .
 فَكَفَى وَاعِظًا بِمَوْتِي غَايَتُهُمْ . حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ^(٢) ،
 وَأُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ . فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّارًا ، وَكَأَنَّ
 الْآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَارًا . أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ^(٣) ، وَأَوْطَنُوا
 مَا كَانُوا يُوحِشُونَ . وَاسْتَعْلُوا بِمَا فَارَقُوا ، وَأَخَاعُوا مَا إِلَيْهِ انْتَقَلُوا .
 لَا عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ انْتِقَالًا ، وَلَا فِي حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ ازْدِيَادًا .
 أَنْسُوا بِالْدُّنْيَا فَقَرَّتْهُمْ ، وَوَقَفُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُمْ . فَسَاقُوا - رَحِمَكُمُ
 اللَّهُ - إِلَى مَنَازِلِكُمُ الَّتِي أُمِرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا ، وَالَّتِي رُغِبْتُمْ فِيهَا وَدُعِيتُمْ
 إِلَيْهَا . وَاسْتَمْتُوا نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَالْمُجَانَبَةِ
 لِمَعْصِيَتِهِ فَإِنَّ غَدًا مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ . مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ ،
 وَأَسْرَعَ الْأَيَّامِ فِي الشَّهْرِ ، وَأَسْرَعَ الشُّهُورِ فِي السَّنَةِ ، وَأَسْرَعَ السِّنِينَ
 فِي الْعُمُرِ

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَإِنَّ الْإِيمَانَ مَا يَكُونُ شَأْنًا مُسْتَقَرًّا فِي الْقُلُوبِ . وَمِنْهُ مَا يَكُونُ

بالعقاب (١) أغفله : سها عنه وتركه (٢) إنما يقال ركب ونزل حقيقة لمن فعل بإرادته
 (٣) أوطن المكان : اتخذ موطنًا . وأوحشه : هجره حتى لا أنيس منه به . وقوله واستغلوا

عَوَارِي بَيْنَ الْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ^(١) . فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ حَتَّى يَحْضُرَهُ الْمَوْتُ^(٢) ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَعُ حَدُّ الْبَرَاءَةِ . وَالْهَجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الْأَوَّلِ^(٣) . مَا كَانَ لِلَّهِ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسَرِّ الْأَمَّةِ وَمُعْلَنِيهَا^(٤) . لَا يَقَعُ اسْمُ الْهَجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الْأَرْضِ . فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقَرَّ بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ . وَلَا يَقَعُ اسْمُ الْإِسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاها قَلْبُهُ

إِنْ أَمَرَ نَاصِبٌ مُسْتَضْعَبٌ ، لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ ، وَلَا يَبْعِي حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ وَأَحْلَامٌ رَزِينَةٌ^(٥)

أى وكانوا اشتغلوا بالدنيا التى فارقوها وأضاعوا العاقبة التى انتقلوا إليها (١) عوارى الخ . كناية عن كونه زعماً بغير فهم (٢) إذا ارتبتم فى أحد وأردتم البراءة فلا تسارعوا لذلك وانتظروا به الموت عسى أن تدركه التوبة (٣) أى لم يزل حكمها الوجوب على من بلغته دعوة الاسلام وورثه الاسلام ديناً وهو المراد بمعرفة الحجة الآتية فى الكلام . فلا يجوز لمسلم أن يقيم فى بلاد هرب على المسلمين ولا أن يقبل سلطان غير المسلم بل تجب عليه الهجرة إلا إذا تغلب عليه ذلك لارض أو عدم نفقة فيكون من المستضعفين المعفو عنهم . وقول النبي صلى الله عليه وسلم « لاهجرة بعد الفتح » محمول على الهجرة من مكة (٤) استسر الأمر : كتمته . والامة - بكسر الهمزة - الحالة ، وبضمها الطاعة . أى أن الهجرة فرضت على المكلفين لمصالحتهم والا فأنه لا حاجة به إلى مضمهر إيمانه فى بلاد الكفر ، ولا إلى ... فى ديار الاسلام (٥) أحلام : عقول

أَيُّهَا النَّاسُ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنْنِي
بِطُرُقِ الْأَرْضِ ، قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةً تَطْلَأُ فِي خِطَامِهَا^(١) ، وَتَذْهَبُ
بِاخْلَامِ قَوْمِهَا

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَحْمَدُهُ شُكْرًا لِإِنْعَامِهِ ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى وَطَائِفِ حُقُوقِهِ . عَزِيزُ الْجُنْدِ
عَظِيمُ الْمَجْدِ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ ، وَقَاهَرَ
أَعْدَاءَهُ جِهَادًا عَلَى دِينِهِ . لَا يَتَّبِعِيهِ عَنْ ذَلِكَ أَجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ وَالْتِمَاسِ
لِإِطْفَاءِ نُورِهِ . فَأَعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ لَهَا حَبْلًا وَثِيقًا عُرْوَتَهُ ، وَمَعْقِلًا
مِنْ عِزِّهِ وَنُورِهِ^(٢) . وَبَادِرُوا الْمَوْتَ فِي غَمَرَاتِهِ . وَأُمِّدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ ، وَأَعِدُّوا
لَهُ قَبْلَ نَزُولِهِ . فَإِنَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةُ . وَكَفَى بِذَلِكَ وَاعِظًا لِمَنْ عَقَلَ ، وَمُعْتَبَرًا لِمَنْ
جَهَلَ . وَقَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَا تَعَلَّمُونَ مِنْ صَبِيقِ الْأَرْمَاسِ^(٣) ، وَشِدَّةِ الْإِبْلَاسِ .

(١) شجر برجله: رفعها. ثم الجملة كناية عن كثرة مداخل الفساد فيها. من قولهم بلدة شاذرة
برجلها أي معرضة للغارة لا تمتنع عنها. وتطلأ في خطامها أي تتعثر فيه، كناية عن ارساها
وطبشها وعدم قاندها. أما قوله عليه السلام فلا تأبطرق السماء أعلم الخ، فالقصد به أنه في العلوم
المسكونية والمعارف الإلهية أوسع احاطة منه بالعلوم الصناعية. وفي تلك تظهر منزلة
العقول العالية والنفوس الرفيعة. وبها ينال الرشد ويستغنى الفكر (٢) المعقل
- كجبد - الملجأ. وذروة كل شيء: أعلاه. ومبادرة الموت: سبقه بالأعمال الصالحة،
وفي غمراته حال من الموت. والغمرات: الشدائد. ومهد - كنع - معناه هنا عمل
(٣) الأرماس: القبور - جمع رمس - وأصله اسم للتراب. والابلاس حزن في خذلان وبأس.

وَهَوَلِ الْمُطَّلَعِ ، وَرَوَعَاتِ الْفَزَعِ . وَاخْتِلَافِ الْأَضْلَاعِ وَإِسْتِكَاكِ
الْأَسْمَاعِ . وَظُلْمَةِ اللَّحْدِ ، وَخِيفَةِ الْوَعْدِ . وَغَمِّ الضَّرِيحِ ، وَرَدَمِ
الصَّفِيحِ

فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنِ ، وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ
فِي فَرَنْ^(١) . وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا ، وَأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا ، وَوَقَفَتْ بِكُمْ
عَلَى صِرَاطِهَا . وَكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلَاذِلِهَا ، وَأَنَاخَتْ بِكَلَالِهَا^(٢) .
وَأَنْصَرَمَتِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا ، وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا . فَكَانَتْ كَيَوْمِ
مَضَى أَوْ شَهْرٍ انْقَضَى . وَصَارَ جَدِيدُهَا رَثًّا^(٣) ، وَسَمِينُهَا غَثًّا . فِي مَوْفِقِ
صَنْكِ الْمَقَامِ ، وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ . وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلْبِهَا^(٤) ، عَالٍ لَجِبِهَا
سَاطِعٍ لَهَبُهَا ، مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا ، مُتَأَجِّجٍ سَعِيرُهَا ، بَعِيدٍ مُخَوِّدُهَا ، ذَاكَ

والمطلع بضم فتشديد مع فتح : المنزلة التي منها يشرف الانسان على أمور الآخرة
وهي منزلة البرزخ . وأصل المطلع موضع الاطلاع من ارتفاع إلى انحدار . واختلاف الأضلاع
دخول بعضها في موضع الآخر من شدة الضغط . واستكالك الأسماع : صممها من التراب
أو الأصوات الهائلة . والضريح : اللحد . والردم : السد . والصفيح : الحجر العريض .
والمراد ما يسد به القبر (١) طريق معروف تفعل بكم فعلها بمن سبقكم . والقرن
- محركا - الحبل يقرن به البعيران ، كناية عن القرب وأن لا بد منها . والأشراط : العلامات .
وأزفت : قربت . والافراط - جمع فرط - بسنن الرأء وهو العلم المستقيم يهتدى به
أي بدلائلها (٢) الكلا كل : الصدور كناية عن الأنقال (٣) الرث : البالي . والفت :
المهزول (٤) الكلب - محركا - أكل بلا شبع . واللجب : الصباح أو الاضطراب . والتغيط :

وَقُودُهَا ، مُخِيفٌ وَعِيدُهَا ، غَمٌّ قَرَارُهَا^(١) ، مُظْلِمَةٌ أَقْطَارُهَا . حَامِيَةٌ
 قُدُورُهَا ، فَطِيعَةٌ أُمُورُهَا « وَسَيِّقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا »
 قَدْ أَمِنَ الْعَذَابُ ، وَانْقَطَعَ الْإِتَابُ . وَزُحْزِحُوا عَنِ النَّارِ ، وَأُطْمِئِنَّتْ بِهِمْ
 الدَّارُ ، وَرَضُوا الْمَثْوَى وَالْقَرَارَ . الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَكِيَّةً ،
 وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِئَةً . وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَارًا ، تَحْشَعًا وَاسْتِغْفَارًا . وَكَانَ
 نَهَارُهُمْ لَيْلًا تَوْحُّشًا وَانْقِطَاعًا^(٢) . فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَأْبَا ، وَالْجَزَاءَ
 ثَوَابًا . وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا . فِي مُلْكٍ دَائِمٍ ، وَنَعِيمٍ قَائِمٍ
 فَارْعَوْا عِبَادَ اللَّهِ مَا بَرِعَإَتِهِ يَقُوزُ فَائِزُكُمْ . وَبِإِصَاعَتِهِ يَخْسَرُ
 مُبْطِلُكُمْ . وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ . فَإِنَّكُمْ مُرْتَهِنُونَ بِمَا
 أَسْلَفْتُمْ ، وَمَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ . وَكَأَنَّ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ الْمُخُوفُ . فَلَا
 رَجْعَةَ تَنَالُونَ ، وَلَا عَثْرَةَ تُقَالُونَ ، إِسْتَعْمَلْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ
 رَسُولِهِ ، وَعَفَا عَنَّا وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ
 اِلْزَمُوا الْأَرْضَ^(٣) ، وَأَصْبِرُوا عَلَى الْبَلَاءِ . وَلَا تَحَرَّكُوا بِأَيْدِيكُمْ

الهيجان. والزفير صوت توقد النار. وذكت النار: اشتد لهيبها (١) غم: صفة من غمه
 إذا غطاه، أي مستور قرارها المستقر فيه أهلها (٢) لا يريد من التوحش النفرة
 من الناس والجفوة في معاملتهم بل يريد عدم الاستئناس بشؤون الدنيا والركون إليها
 (٣) لزوم الأرض كناية عن السكون، ينصحهم به عند عدم توفر أسباب المغالبة، وبنهاهم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِي حَمْدُهُ ، وَالْغَالِبِ جُنْدُهُ ، وَالْمُتَعَالَى جَدُّهُ ^(١) .
أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الْتَوَامِ ^(٢) ، وَالْآلَائِهِ الْعِظَامِ . الَّذِي عَظُمَ حِمْلُهُ فَعَفَا ،
وَعَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَى ، وَعَلِمَ مَا يَمْضِي وَمَا مَضَى . مُبْتَدِعِ الْخَلَائِقِ
بِعَمَائِهِ . وَمُنْشِعِهِمْ بِحِكْمِهِ ، بِلَا اِقْتِدَاءٍ وَلَا تَعْلِيمٍ ، وَلَا اخْتِذَاً
لِمِثَالِ صَانِعِ حَكِيمٍ . وَلَا إِصَابَةَ خَطَاٍ وَلَا حَضْرَةَ مَلَأٍ وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ . أَتَّبَعْتُهُ وَالنَّاسُ يُضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ ^(٣) ، وَيَمْوُجُونَ
فِي حَيْرَةٍ . قَدْ قَادَتْهُمْ أَرْمَةٌ الْخَيْنِ ، وَأَسْتَعْلَمْتُ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ أَقْقَالَ الرِّينِ .

عن التعجل بحمل السلاح تثبيتاً لقول يقوله أحدهم في غير وقته، ويأمرهم بالحكمة في العمل لا يأتونه إلا عند رجحان نجيحه. واصلات السيف: سله (١) الفاشى : المنتشر . والجد - بالفتح - العظمة (٢) جمع نوام - كجعفر - وهو المولود مع غيره في بطن ، وهو مجاز عن الكثير أو المتواصل (٣) ضرب في الماء: سبح. وضرب في الأرض: سار بسرعة

أُوصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا حَقٌّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، وَالْمُوجِبَةُ
 عَلَى اللَّهِ حَقَّكُمْ^(١). وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهِ بِاللَّهِ وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللَّهِ .
 فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحَرِزُ وَالْجَنَّةُ ، وَفِي غَدِ الطَّرِيقُ إِلَى الْجَنَّةِ .
 مَسْلَكُهَا وَاصِحٌ ، وَسَالِكُهَا رَابِحٌ ، وَمُسْتَوْدَعُهَا حَافِظٌ^(٢) . لَمْ تَبْرَحْ
 عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى الْأَثَمِ الْمَاضِينَ وَالْعَابِرِينَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَدًا إِذَا أَعَادَ
 اللَّهُ مَا أَبَدَى ، وَأَخَذَ مَا أُعْطِيَ ، وَسَأَلَ مَا أَسْدَى^(٣) . فَمَا أَقَلَّ مَنْ
 قَبِلَهَا وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا . أُولَئِكَ الْأَقْلُونَ عَدَدًا . وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللَّهِ
 مُبْجَحَانُهُ إِذْ يَقُولُ : « وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكُورُ » . فَأَهْطِعُوا
 بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا^(٤) ، وَكُظُّوا بِحَدِّكُمْ عَلَيْهَا . وَأَعْتَاضُوهَا مِنْ كُلِّ
 سَلَفٍ خَلْفًا ، وَمِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقًا . أَيْقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ ،

وَأَبْعَدُ . والغمرة : الماء الكثير والشدة . والمراد هنا إما شدة الفتن وبلاياها أو شدة
 الجهل ورزايها . والأزمة - جمع زمام - مانقاده الدابة . والحين - بفتح الحاء - الهلاك .
 والرين - بفتح الراء - التغطية والحجاب وهو هنا حجاب الضلال (١) جرى في الكلام
 على نحو قوله تعالى « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » يريد أن التقوى جعلها الله
 سبباً لاستحقاق ثوابه ومعينة على رضائه . والجنة - بضم الجيم - الوقاية وبفتحها
 دار الثواب (٢) مستودع التقوى هو الذي تكون التقوى وديعة عنده وهو الله
 (٣) أسدى : منح وأعطى (٤) الاضطاع : الاسراع، أھطع البعير: مدعقه وصب رأسه .

وَأَقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ . وَأَشْعِرُوهَا قُلُوبَكُمْ ، وَأَرْحَضُوا بِهَا
 ذُنُوبَكُمْ^(١) ، وَدَاوُوا بِهَا الْأَسْقَامَ ، وَبَادِرُوا بِهَا الْجَمَامَ . وَاعْتَبِرُوا بِمَنْ
 أَضَاعَهَا ، وَلَا يَتَّعِبَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا^(٢) . إِلَّا فَصُونُوهَا وَتَصَوَّنُوا
 بِهَا^(٣) ، وَكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُزَاهًا ، وَإِلَى الْآخِرَةِ وُلاَهَا . وَلَا تَضَعُوا
 مَنْ رَفَعْتُهُ التَّقْوَى ، وَلَا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعْتُهُ الدُّنْيَا . وَلَا تَشِيمُوا بَارِقَهَا^(٤)
 وَلَا تَسْتَمِعُوا نَاطِقَهَا ، وَلَا تَجِيبُوا نَاعِقَهَا . وَلَا تَسْتَضِيئُوا بِأَشْرَاقِهَا ، وَلَا
 تُفْتِنُوا بِأَعْلَاقِهَا ، فَإِنَّ بَرَقَهَا خَالِبٌ^(٥) وَنُطْقَهَا كَاذِبٌ . وَأَمْوَالُهَا مَحْرُوبَةٌ ،
 وَأَعْلَاقُهَا مَسْلُوبَةٌ . إِلَّا وَهِيَ الْمُتَصَدِّيةُ الْعُنُونُ^(٦) ، وَالْجَالِحَةُ الْحُرُونُ

والكفاظ - ككتاب - الممارسة وطول الملازمة، وفعله ككتب (١) رخص - كنع -
 غسل. والجمام - ككتاب - الموت (٢) أى لا تكونوا عبرة يتعظ بسوء مصيركم من أطاع
 التقوى وأدى حقوقها (٣) تصونوا : تحفظوا . والنزاه - جمع نازه - العفيف النفس .
 والولاه - جمع واله - الحزين على الشيء حتى يناله أى المشتاق (٤) شام البرق : نظر
 إليه أين يطر . والبارق : السحاب ، أى لا تنظروا لما يفرم من مطاعمها . والأعلاق
 - جمع علق - بالكسر بمعنى النفيس (٥) خالب : خادع . والمحروبة : المنهوبة (٦) المتصدية :
 المرأة تتعرض للرجال تملهم إليها ، ومن الدواب ماتمشى معترضة خابطة . - والعنون -
 بفتح فضم - مبالغة من عن إذا ظهر، ومن الدواب المتقدمة فى السير، شبه الدنيا بالمرأة
 المنبرجة المستميلة ، أو بالدابة تسبق الدواب وان لم يدم تقدمها ، أو الخابطة على غير
 طريق . والجالحة : الصعبة على راكبها . والحرون التى إذا طلب بها السير وقفت
 والمائنة : الكاذبة . والخؤون : مبالغة فى الخائنة . والسكنود - من كند - كنصر :
 كفر النعمة . وجحدالحق : أنكره وهو به عالم . والعنود : شديدة العناد . والصدود :
 كثيرة الصد والهجر . والحيود مبالغة فى الحيد : بمعنى الميل . والميود - من ماد -
 إذا اضطرب . يريد بهذه الأوصاف أن الدنيا فى طبيعتها لوم فمن سالمها حل ربه ، ومن

وَالْمَائِنَةُ الْخَوُونُ. وَالْجُحُودُ الْكَنُودُ، وَالْعَنُودُ الصَّدُودُ، وَالْحَيُودُ
 الْمَيُودُ. حَالَهَا أَنْتَقَالَ، وَوَطْأُهَا زَلْزَالَ، وَعِزُّهَا ذُلٌّ، وَجِدُّهَا هَزْلٌ،
 وَعُلُوُّهَا سُفْلٌ. دَارُ حَرْبٍ وَسَلْبٌ^(١)، وَنَهْبٌ وَعَطَبٌ. أَهْلُهَا عَلَى
 سَاقٍ وَسِيَاقٍ، وَلَحَاقٍ وَفِرَاقٍ^(٢). قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا، وَأَعْجَزَتْ
 مَهَارِبُهَا^(٣)، وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا. فَاسْمَتَهُمُ الْمَعَاوِلُ، وَلَفْظَتُهُمُ الْمَنَازِلُ،
 وَأَعْيَتُهُمُ الْمَحَاوِلُ^(٤). فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ^(٥)، وَلَحْمٍ مَجْزُورٍ، وَشَلُورٍ
 مَذْبُوحٍ، وَدَمٍ مَسْفُوحٍ. وَعَاضَ عَلَى يَدَيْهِ، وَصَافَقَ بِكَفَيْهِ،
 وَبُرْتَفَقَ بِخَدَيْهِ^(٦)، وَزَارَ عَلَى رَأْيِهِ، وَرَاجَعَ عَنْ هَرَمِهِ. وَقَدْ أَذْبَرَتْ

حاربها سالته (١) الحرب - بالتحريك - سلب المال . والعطب : الهلاك (٢) أى قائمون
 على ساق استعدادا لما ينتظرون من آجالهم . والسياق مصدر ساق فلانا إذا أصاب ساقه،
 أى ولا يلبثون أن يضربوا على سوقهم فينسكبوا للموت على وجوههم، أو هو السياق
 بمعنى الشروع فى نزع الروح من ساق المريض سياقا . واللاحق للماضين ، والفرار
 عن الباقين (٣) تحير المذاهب : حيرة الناس فيها . والمهارب أعجزت الناس عن الهروب
 لأنها ليست كما يرونها مهارب بل هى مهالك (٤) المحاول - جمع محال بفتح الميم -
 أومحالة بمعنى الخدق وجودة النظر، أى لم يفدهم ذلك خلاصا (٥) أى فمنهم ناج من الموت
 معقور رأى مجروح، أو هو من عقر الشاة والبعير إذا ضرب ساقه بالسيف وهو قائم،
 والمجزور : المسلوخ أخذ عنه جلده . والشلور - بالكسر - هنا البدن كله . والمسفوح
 المسفوك (٦) المرتفق بخديه : واضع خديه على مرفقيه ومرفقيه على ركبتيه منصوبتين
 وهو جالس على أليتيه . وهذه الأوصاف كناية عن الندم على التفريط والافراط . والزارى

الْحِيلَةُ وَأَقْبَلَتْ أُنْفِيلَةً^(١) ، وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ . وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ تَدْفَاتُ
مَافَاتَ وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ ، وَمَضَتْ الدُّنْيَا لِجَالِ بِأَلِهَا^(٢) «فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ
السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ»

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تُسَمَّى الْقَاصِصَةِ^(٣)
وَهِيَ تَتَضَمَّنُ ذِمَّ إِبْلِيسَ عَلَى اسْتِكْبَارِهِ وَتَرْكِهِ السُّجُودَ
لَادَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ الْعَصْبِيَّةَ^(٤) وَتَبَعَ الْحَمِيَّةَ
وَتَحْذِيرَ النَّاسِ مِنْ سُلُوكِ طَرِيقَتِهِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَبَسَ الْعِزَّ وَالْكِبْرِيَاءَ وَأَخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ
خَلْقِهِ ، وَجَعَلَهُمَا حِمًى وَحَرَمًا عَلَى غَيْرِهِ^(٥) ، وَأَصْطَفَاهُمَا لِحَبْلَاهِ ، وَجَعَلَ
اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ . ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلَائِكَتَهُ

على رأيه المقبول له اللائم لنفسه عليه (١) الغيلة : الشر الذي أضمرته الدنيا في خداعها.
ولات حين مناص أى ليس الوقت وقت التملص والفرار (٢) البال : القلب والخطر.
والمراد ذهب على ما تهواه لا على ما يريد أهلها (٣) من قضع فلان فلانا : أى حقره
لأنه عليه السلام حقر فيها حال المتكبرين ، أو من قضع الماء عطشه إذا أزاله ، لأن سامعها
لو كان متكبرا ذهب تأثيرها بكبره كما يذهب الماء بالعطش (٤) الاعتزاز بالعصبة وهي
قوم الرجل الذين يدافعون عنه ، واستعمال قوتهم فى الباطل والفساد فهمى هنا عصبية
الجهل ، كما أن الحمية حمية الجاهلية . أما التناصر فى الحق والحمية عليه فهو أمر محمود فى جميع
أحواله ، والسكر على الباطل نواضع للحق (٥) الحمى : ما حيته عن وصول الغير إليه

الْمُقَرَّبِينَ لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ
وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ ، وَمَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ : « إِنِّي خَالِقُ
بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ
فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ » أَعْتَرَضَتْهُ الْحُمِيَّةُ فَافْتَخَرَ
عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ . فَعَدَّوْا اللَّهَ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ ،
وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصِيَّةِ ، وَنَارَعَ اللَّهَ رَدَاءَ
الْجَبْرِِيَّةِ . وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ

أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللَّهُ بِتَكْبَرِهِ ، وَوَضَعَهُ بِتَرْفَعِهِ . فَجَعَلَهُ فِي
الدُّنْيَا مَذْهُورًا ، وَأَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعِيرًا

وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ ،
وَيَبْهَرُ الْعُقُولَ رُؤَاؤُهُ ^(١) ، وَطِيبٌ يَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ لِفَعْلٍ . وَلَوْ فَعَلَ
لَظَلَّتْ لَهُ الْأَعْنَاقُ خَاضِعَةً ، وَلَخَفَّتِ الْبُلُوعُ فِيهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ . وَلَكِنَّ
اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ تَمْيِيزًا بِالِاخْتِبَارِ لَهُمْ
وَنَقِيًّا لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ ، وَإِبْعَادًا لِلْخِيَلَاءِ مِنْهُمْ

فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ

وَجَهْدُهُ الْجَهِيدَ ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللَّهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ لَا يُدْرِي أَمِنْ سِنِي
الدُّنْيَا أَمْ سِنِي الْآخِرَةِ عَنْ كِبَرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ^(١) . فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلُمُ
عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَةِ^(٢) ؟ كَلَّا ، مَا كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَرًا
بِأَمْرِ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكًا إِنْ حُكِمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ
لِوَاحِدٍ . وَمَا يَنْبَغِي لِلَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَّةٌ فِي إِبَاحَةٍ حَتَّى حَرَمَهُ
عَلَى الْعَالَمِينَ^(٣)

فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ يُعَذِّبَكُمْ بِدَائِهِ^(٤) ، وَأَنْ يَسْتَفْزِرَ كُمْ بِدَائِهِ ،
وَأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجُلِهِ . فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوْقَ لَكُمْ سَهْمَ
الْوَعِيدِ ، وَأَغْرَقَ لَكُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِيدِ^(٥) ، وَرَمَا كُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ^(٦) .
وَقَالَ : « رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَا زَيْتَنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا غَوِيَتَهُمْ أَجْمَعِينَ »
قَدْفًا بَغِيبٍ بَعِيدٍ ، وَرَجْمًا بَظَنٍّ مُصِيبٍ . صَدَقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ^(٧) ،

(١) عن متعلق بأحبط ، أى أضاع عمله بسبب كبر ساعة (٢) أى يسلم من عقابه ، وكأنه
استعمل سلم بمعنى ذهب أوفات فأتى بعلى (٣) الهوادة - بالفتح - اللين والرخصة
(٤) أن يصيبكم بشيء من دأبه بالخلافة كما يهدى الأجرب السليم ، والضمير لإبليس
ويستفزركم : يستنهضكم لما يريد فان تباطأتم عليه أجلب عليكم بخيله أى ركبانه ،
ورجله أى مشاته . والمراد أعوان السوء (٥) النزاع فى القوس : مدها . وأغرق النازع
إذا استغرق مده قوسه (٦) لأنه يجرى من ابن آدم مجرى الدم (٧) صدق إبليس

وَإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ ، وَفُرْسَانُ الْكِبَرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ . حَتَّى إِذَا انْقَادَتْ لَهُ
الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ^(١) ، وَاسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَةُ مِنْهُ فِيكُمْ ، فَتَجَمَّتِ الْحَالُ
مِنْ السَّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الْأَمْرِ الْجَلِيِّ . اسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ ، وَدَلَفَ
بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ . فَأَقْحَمُوكُمْ وَلَجَاتِ الدُّلِّ ، وَأَحْلَوْكُمْ وَرَطَّاتِ الْقَتْلِ ،
وَأَوْطَأُوكُمْ إِنْخَانِ الْجِرَاحَةِ طَعْنًا فِي عُيُونِكُمْ ، وَحَزَا فِي حُلُوفِكُمْ ،
وَدَقًّا لِمَنَاخِرِكُمْ ، وَقَصْدًا لِمَقَاتِلِكُمْ ، وَسَوْقًا بِحِزَائِمِ الْقَهْرِ إِلَى النَّارِ
الْمُعَدَّةِ . فَأَصْبَحَ أَكْثَرُكُمْ فِي دِينِكُمْ جَرَحًا^(٢) ، وَأَوْرَى فِي دُنْيَاكُمْ
قَدْحًا مِنَ الَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ وَعَلَيْهِمْ مُتَالِبِينَ . فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ
حَدَّكُمْ^(٣) ، وَلَهُ جَدَّكُمْ ، فَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ فَخَّرَ عَلَى أَصْلِكُمْ ، وَوَقَعَ

في تواعد بني آدم بالاغواء أولئك الغشماء أبناء الجية الجاهلية (١) أى استعان ببعضكم
على من لم يطعه منكم وهو المراد بالجامحة . والطماعية : الطمع . وقوله فتنجمت الخ
أى بعد أن كانت وسوسة في الصدور وهمساً في القول ظهرت إلى المجاهرة بالنداء
ورفع الأيدي بالسلاح . ودلفت السكتية في الحرب : تقدمت . وأقحموكم : أدخلوكم
بغته . والولجات - جمع ولجة - بالتحريك . كهف يستتر فيه المارة من مطر ونحوه . أوطأه :
أركبه . وانخان الجراحة المبالغة فيها ، أى أركبوكم الجراحات البالغة كناية عن اشغال
الفتنه بينهم حتى يتقاتلوا . والخزائم - جمع خزامة ككتابة - وهى حلقة توضع فى وتره
أنف البعير فيشد فيها الزمام (٢) فأصبح أى ابليس . وقوله وأورى الخ أى أشد قدحا
لنار في دنياكم لانلافها ، وبالجلة فهو أضر عليكم بوساوسه من اخوانكم فى الانسانية
الذين أصبحتم لهم مناصبين أى مجاهرين لهم بالعداوة ومتالبيين أى مجتمعين (٣) أى
غضبكم وحادتكم . وله جدكم - بفتح الجيم - أى قطعكم ، يريد قطع الوصلة بينكم وبينه

فِي حَسْبِكُمْ ، وَدَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ ، وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ ، وَقَصَدَ
 بِرَجُلِهِ سَبِيلَكُمْ . يَقْتَنِصُونَكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ ، وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ
 بَنَانٍ^(١) . لَا تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ ، وَلَا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ . فِي حَوْمَةٍ ذَلِّ . وَحَلَقَةٍ
 ضَيْقٍ . وَعَرَصَةٍ مَوْتٍ . وَجَوْلَةٍ بَلَاءٍ . فَأُطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ
 نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ وَأَخْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحِمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ
 مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَحْوَاتِهِ ، وَنَزَعَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ^(٢) . وَأَعْتَمِدُوا وَضَعَ
 التَّذَلُّلِ عَلَى رُءُوسِكُمْ ، وَإِلْقَاءِ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ ، وَخَلْعِ التَّكَبُّرِ
 مِنْ أَعْنَاقِكُمْ . وَاتَّخِذُوا التَّوَاضُعَ مَسْلَحَةً^(٣) يَنْبَغُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ
 إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ ، فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُودًا وَأَعْوَانًا ، وَرَجُلًا وَفُرْسَانًا .
 وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضَّلَ جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِ
 سِوَى مَا أَلْحَقَتِ الْعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ ، وَقَدَحَتِ الْحِمِيَّةُ فِي
 قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ ، وَتَفَخَّ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبَرِ الَّذِي
 أَعْقَبَهُ اللَّهُ بِهِ النَّدَامَةَ ، وَالزَّمَهُ آثَامَ الْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

(١) البنان : الأصابع (٢) النخوة : التكبر والتعظيم . والنزعة : المرة من النزغ
 بمعنى الافساد . والنفته : النفخة (٣) المساحة : الثغر يدافع العدو عنده والقوم ذوو
 السلاح

أَلَا وَقَدْ أَمَعَنْتُمْ فِي الْبَغْيِ ^(١) ، وَأَفْسَدْتُمْ فِي الْأَرْضِ مُصَارَحَةً لِلَّهِ
بِالْمُنَاصِبَةِ ، وَمُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ . فَاللَّهُ اللَّهُ فِي كِبَرِ الْحِمِيَةِ وَفَخْرِ
الْجَاهِلِيَّةِ . فَإِنَّهُ مَلَأَ قُحُ الشَّنَّانِ ^(٢) وَمَنَافِخُ الشَّيْطَانِ الَّتِي خَدَعَ بِهَا
الْأُمَمَ الْمَاضِيَةَ ، وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةَ . حَتَّى أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ ^(٣) ،
وَمَهَاوِي ضَلَالَتِهِ ، ذُلًّا عَلَى سِيَاقِهِ ، سُلْسًا فِي قِيَادِهِ . أَمَرًا تَشَابَهَتْ أَلْقُلُوبُ
فِيهِ ، وَتَتَابَعَتْ الْقُرُونُ عَلَيْهِ . وَكِبَرًا تَضَايَقَتْ الصُّدُورُ بِهِ

أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكِبَرَائِكُمْ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا
عَنْ حَسَبِهِمْ ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ ، وَأَلْفُوا الْهَجِيئَةَ عَلَى رَبِّهِمْ ^(٤) ،
وَجَاحَدُوا اللَّهَ مَا صَنَعَ بِهِمْ . مُكَابِرَةً لِقَضَائِهِ ، وَمُغَالَبَةً لِآيَاتِهِ ^(٥) .
فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْمَصِيبَةِ . وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ ، وَسُيُوفُ اعْتِرَازِ
الْجَاهِلِيَّةِ ^(٦) . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَكُونُوا نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَضْدَادًا ، وَلَا لِفَضْلِهِ

(١) أَمَعَنْتُمْ : بالغتم . والمُصَارَحَةُ : التظاهر (٢) الشَّنَّانُ : الملافح - جمع ملافح ككرم -
الفحول التي تُلَفَّحُ الإناث وتستولد الأولاد . والشَّنَّانُ البغض (٣) أَعْنَقُوا : من أَعْنَقَتْ
الرَّيَاغَاتُ ، أَيْ غَابُوا وَاخْتَفَوْا . والحَنَادِسُ - جمع حندس - بكسر الحاء الظلام الشديد .
والمَهَاوِي - جمع مَهْوَاة - الهوة التي يتردى فيها الصيد . والذَّل - جمع ذلول - من الذل
بالضم ضد الصعوبة . والسياق هنا السوق . والسلس - بضم السين - جمع سلس - ككنف -
السهل . والقياد من أمام كالسوق من خلف (٤) الهَجِيئَةُ : الفعل القبيحة . والتهجين :
التقبيح أي أنهم باحتقار غيرهم من الناس قبحوا خلق الله لهم (٥) الآلاء : النعم
(٦) اعتزاز الجاهلية : تفاخرهم بأنسابهم كل منهم يعتز أي ينسب إلى أبيه وما فوقه

عِنْدَكُمْ حُسَادًا . وَلَا تُطِيعُوا الْأَدْعِيَاءَ الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ ،
وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ^(١) ، وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ ، وَهُمْ
أَسَاسُ الْفُسُوقِ وَأَخْلَاسُ الْعُقُوقِ . اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ . وَجُنْدًا
بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ . وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ . اسْتَرِافًا لِعُقُوقِكُمْ
وَدُخُولًا فِي عُيُونِكُمْ ، وَنَفْثًا فِي أَسْمَاعِكُمْ . فَجَعَلَكُمْ مَرَمَى نَبَلِهِ^(٢) ،
وَمَوَاطِي قَدَمِهِ ، وَمَا خَذَ يَدِهِ . فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ
مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَصَوْلَاتِهِ ، وَوَقَائِعِهِ وَمَشَلَاتِهِ^(٣) ، وَاتَّعِظُوا
بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ^(٤) ، وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ ، وَاسْتَعِذُوا بِاللَّهِ مِنْ لَوَاقِحِ
الْكِبَرِ^(٥) كَمَا تَسْتَعِذُونَ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ . فَلَوْ رَخَّصَ اللَّهُ فِي الْكِبَرِ
لَاَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ . وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ

من أجداده، وكثيراً ما يجبر التفاخر إلى الحرب، وإنما تكون بدعوة الرؤساء فهم
سيوفها (١) الأدعياء - جمع دعى - وهو من ينتسب إلى غير أبيه، والمراد منهم
الأخساء المنسوبون إلى الأشراف والأشرار المنسوبون إلى الأخيار. وشربتم بصفوكم
كدرهم أى خلطوا صفاء اخلاصكم بكدر نفاقهم. وبسلامة اخلاقكم مرض اخلاقهم.
والاجلاس - جمع جلس بالكسر - كساء رقيق يكون على ظهر البعير ملازماً لفصيل
لكل ملازم لشيء هو حلسه. والعقوق : العصيان (٢) النبل - بالفتح - : السهام
(٣) المثلات - بفتح فضم - العقوبات (٤) مئاوى - جمع مئوى - بمعنى المنزل .
ومنازل الحدود : مواضعها من الأرض بعد الموت . ومصارع الجنوب : مطارحها
على التراب (٥) لواقح الكبر : محذاته في النفوس

كَرَّةَ إِلَيْهِمُ الشَّكَّابُورَ رَضِيَ لَهُمُ التَّوَّاضِعُ . فَالْصَّقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ ،
وَعَفَّوْا فِي التُّرَابِ وَجُوهَهُمْ . وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمُ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَكَانُوا
أَقْوَامًا مُسْتَضَعِّفِينَ . وَقَدْ اخْتَبَرَهُمُ اللَّهُ بِالْمَحْمَصَةِ ^(١) ، وَابْتَلَاهُمْ
بِالْمَجْهَدَةِ . وَامْتَحَنَهُمُ بِالْمَخَافِ ، وَغَضَبَهُمُ بِالْمَكَارِهِ . فَلَا تَعْتَبِرُوا
الرِّضَا وَالسُّخْطَ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ ^(٢) جَهْلًا بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ وَالْإِخْتِبَارِ فِي
بِمَوَاضِعِ الْغِنَى وَالْإِقْتِدَارِ ، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : « أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا
نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ » فَإِنَّ
اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضَعِّفِينَ
فِي أَعْيُنِهِمْ

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عَلَى
فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ
بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ فَقَالَ :

« أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَٰذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ وَهُمَا

(١) المحمصه : الجوع . والمجهده : المشقة . ومغض اللبن : تحريكه ليخرج زبد .
والمكاره تستخلص إيمان الصادقين وتظهر مزاياهم العقلية والنفسية (٢) لانجماعوا
كثرة الأولاد ووفرة الأموال دليلا على رضا الله ، والنقص فيهما دليلا على سخطه ،
فقد يكون الأول فتنه واستدراجاً ، والثاني : وابتلاء

بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ ، فَهَلَّا اتَّقَى عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ «
 إِعْظَامًا لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ ، وَاحْتِقَارًا لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ . وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
 بِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذَّهَبَانِ ^(١) ، وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ ،
 وَمَغَارِسَ الْجَنَانِ ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرْضِ لَفَعَلَ ،
 وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ ^(٢) ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ ، وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ ، وَلَمَّا وَجَبَ
 لِلْقَابِلِينَ أَجُورُ الْمُبْتَلِينَ ، وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ ،
 وَلَا لَزِمَتْ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيهَا ^(٣) . وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولَى قُوَّةٍ
 فِي عَزَائِمِهِمْ ، وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَتِهِمْ ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمَلُّ
 الْقُلُوبَ وَالْعْيُونُ غِنًى ، وَخَصَاصَةً تَمَلُّ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعُ أَدًى ^(٤)
 وَلَوْ كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ ، وَمُتْلِكٍ تَمْتَدُّ
 نَحْوُهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ ، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ

(١) الذهبان - بضم الذال - : جمع ذهب . والعقيان : نوع من الذهب ينمو
 في معدنه (٢) لو كان الأنبياء بهذه السلطة لخفض لهم الناس كافة بحكم الاضطرار
 فسقط البلاء أى مابه يتميز الخبيث من الطيب ، ولم يبق محل للجزاء على خير أو شر ،
 فان الفعل اضطرارى وبذلك تضمحل أخبار السماء بالوعد والوعيد لعدم الحاجة ،
 ثم لا يكون للقابليين دعوة الأنبياء أجور المبطلين أى المتحنيين بالشدائد الصابرين
 على المكاره لاستهوائهم مع من قبل بالسطوة (٣) فان الخضوع بالرهبة يسمى إذذاك
 إيماناً مع أن الإيمان فى الحقيقة هو الاذعان والتصديق ، فلا يكون معنى الاسم لازماله
 (٤) خصاصة : فقر وحاجة

فِي الْإِعْتِبَارِ^(١) وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الْإِسْتِكْبَارِ ، وَلَا مَنَوعَ عَنِ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ
أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ ، فَكَانَتِ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً .
وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْإِتْبَاعُ لِرُسُلِهِ وَالتَّصَدِيقُ بِكِتَابِهِ
وَالْخُشُوعُ لَوَجْهِهِ وَالِاسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ وَالِاسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ أُمُورًا لَهُ
خَاصَّةٌ لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ . وَكَلَّمَا كَانَتِ الْبَلَوَى وَالِاخْتِبَارُ
أَعْظَمَ كَانَتِ الثُّبُوتَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَوَاتُ
اللَّهِ عَلَيْهِ إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ^(٢) ،
وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ . فَجَعَلَهَا بَيْنَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَامًا . ثُمَّ
وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بَقَاعِ الْأَرْضِ حَجْرًا ، وَأَقْلَّ تَنَاتِقِ الْأَرْضِ مَدْرًا . وَأَضْيَقَ
بُطُونِ الْأَوْدِيَةِ قَطْرًا . بَيْنَ جِبَالٍ خَشْنَةٍ ، وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ^(٣) ، وَعُيُونٍ وَشَلَةٍ ،
وَقُرَى مُنْقَطِعَةٍ . لَا يَزْكُو بِهَا خُفٌّ ، وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ^(٤) . ثُمَّ أَمَرَ

(١) أى أضعف تأثيراً في القلوب من جهة اعتبارها وانعاضها . وأبعد للناس
أى أشد توغلاً بهم في الاستكبار لأن الأنبياء يكونون قدوة في العظمة
والكبرياء حينئذ . وقوله فكانت النيات مشتركة ، أى لأن الإيمان لم يكن خالصاً لله بل
أعظم الباعث عليه الرغبة والرهبة (٢) الأحجار هى السكبة . والتناثق - جمع نثيقة -
البقاع المرتفعة . ومكة مرفوعة بالنسبة لما انحط عنها من البلدان . والمدرفطع الطين اليابس
أو العلك الذى لارمل فيه . وأقل الأرض مدرأ لا ينبت إلا قليلاً (٣) لينة يصعب السير
فيها والاستنبات منها . والوشلة - كفرجة - قليلة الماء (٤) لا يزكو : لا ينمو . والخلف

بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ ، فَهَلَّا اتَّقَى عَلَيْهِمَا أَمَاوَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ «
 إِعْظَامًا لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ ، وَاحْتِقَارًا لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ . وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
 بِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذُّهْبَانِ ^(١) ، وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ ،
 وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرْضِ لَفَعَلَ ،
 وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ ^(٢) ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ ، وَاضْطَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ ، وَلَمَّا وَجَبَ
 لِلْقَابِلِينَ أَجُورُ الْمُبْتَلِينَ ، وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ ،
 وَلَا لَزِمَتْ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيهَا ^(٣) . وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولَى قُوَّةٍ
 فِي عَزَائِهِمْ ، وَضَعَهُ فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَتِهِمْ ، مَعَ فَنَاعَةٍ تَمَلُّ
 الْقُلُوبَ وَالْعُيُونُ غِنًى ، وَخَصَاصَةً تَمَلُّ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعُ أَدًى ^(٤)

وَلَوْ كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ ، وَمُلْكٍ تَمْتَدُّ
 نَحْوُهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ ، وَتَشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّجَالِ حَالٍ لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ

(١) الذهبان - بضم الذال - : جمع ذهب . والعقيان : نوع من الذهب ينمو
 في معدنه (٢) لو كان الأنبياء بهذه السلطة لخضع لهم الناس كافة بحكم الاضطرار
 فسقط البلاء أى ما به يتميز الخبيث من الطيب ، ولم يبق محل للجزاء على خير أو شر ،
 فان الفعل اضطرارى وبذلك تضمحل أخبار السماء بالوعد والوعيد لعدم الحاجة ،
 ثم لا يكون للقابِلين دعوة الأنبياء أجور المبطلين أى المتحنين بالشدائد الصابرين
 على المكارة لاستهوائهم مع من قبل بالسطوة (٣) فان الخضوع بالرهبة يسمى إذذاك
 إيماناً مع أن الإيمان فى الحقيقة هو الاذعان والتصديق ، فلا يكون معنى الاسم لازماله
 (٤) خصاصة : فقر وحاجة

فِي الْإِعْتِبَارِ^(١) وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الْإِسْتِكْبَارِ ، وَلَا مَنَوعَ عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ
أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ ، فَكَانَتِ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً .
وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْإِتْبَاعُ لِرُسُلِهِ وَالتَّصَدِيقُ بِكِتَابِهِ
وَالْخُشُوعُ لَوَجْهِهِ وَالْإِسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ وَالْإِسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ أُمُورًا لَهُ
خَاصَّةٌ لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ . وَكَلَّمَا كَانَتِ الْبَلَوَى وَالْإِخْتِبَارُ
أَعْظَمَ كَانَتِ الثُّبُوتُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَوَاتُ
اللَّهِ عَلَيْهِ إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ^(٢) ،
وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ . فَجَعَلَهَا يَنْتَهَ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَامًا . ثُمَّ
وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بَقَاعِ الْأَرْضِ حَجْرًا ، وَأَقْلَّ تَنَاقُيَ الْأَرْضِ مَدْرًا . وَأَضْيَقَ
بُطُونِ الْأَوْدِيَةِ قَطْرًا . بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ ، وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ^(٣) ، وَعُمُيُونٍ وَشَلَّةٍ ،
وَقُرَى مُنْقَطِعَةٍ . لَا يَزْكُو بِهَا خُفٌّ ، وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ^(٤) . ثُمَّ أَمَرَ

(١) أى أضعف تأثيراً في القلوب من جهة اعتبارها وانعاضها . وأبعد للناس
أى أشد توغلاً بهم في الاستكبار لأن الأنبياء يكونون قدوة في العظمة
والكبرياء حينئذ . وقوله فكانت النيات مشتركة ، أى لأن الإيمان لم يكن خالصاً لله بل
أعظم الباعث عليه الرغبة والرهبة (٢) الأحجار هي الكعبة . والتناقى - جمع نقيقه -
البقاع المرتفعة . ومكة مرتفعة بالنسبة لما انحط عنها من البلدان . والمدر قطع الطين اليابس
أو العلك الذي لا رمل فيه . وأقل الأرض مدرأ لا ينبت إلا قليلاً (٣) لينة يصعب السير
فيها والاستنبات منها . والوشلة - كفرجة - قليلة الماء (٤) لا يزكو : لا ينمو . والخف

آدَمَ وَوَلَدَهُ أَنْ يَتَنُوهَا أَعْطَاهُمْ نَحْوَهُ^(١) ، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجِعِ أَسْفَارِهِمْ ،
وَعَايَةً لِمَلَقَى رِحَالِهِمْ . تَهْوَى إِلَيْهِ عَمَارُ الْأَفْنِدَةِ^(٢) مِنْ مَقَاوِزِ قَفَارٍ سَحِيقَةٍ
وَمَهَاوَى فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ ، وَجَزَائِرِ بَحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ ، حَتَّى يَهْزُوا مِنْهَا كِبَهُمْ
ذُلًّا يُهْلُونَ لِلَّهِ حَوْلَهُ^(٣) . وَيَزْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْمًا غُيْرًا لَهُ . قَدْ بَدَّوْا
السَّرَائِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ^(٤) ، وَشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ ؛
إِبْتِلَاءً عَظِيمًا وَامْتِحَانًا شَدِيدًا وَاخْتِبَارًا مُبِينًا . وَتَمَحِيصًا بَلِيغًا جَعَلَهُ اللَّهُ
سَبَبًا لِرَحْمَتِهِ ، وَوُضْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ . وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْنَهُ الْحَرَامَ
وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ بَيْنَ جَنَاتٍ وَأَنْهَارٍ ، وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ^(٥) ، جَمَّ الْأَشْجَارِ ،
دَانَى الثُّمَارِ ، مُلْتَفَّ الْبُنَا ، مُتَّصِلِ الْقُرَى ، بَيْنَ بَرَّةٍ سَمَاءٍ^(٦) ، وَرَوْضَةٍ

عبارة عن الجمال . والخافر عبارة عن الخيل وما شا كلها . والظلف عبارة عن البقر
والغنم ، تعبير عن الحيوان بما ركبت عليه قوائمهم (١) ثنى عطفه اليه : مال وتوجه اليه . ومننتجع
الأسفار : محل الفائدة منها ومكة صارت بفريضة الحج دارا للمنافع التجارية كما هي
دار لكسب المنفعة الأخرى . وملقى مصدر ميمى من التقي أى نهايه حصر حالهم عن ظهور
ابلهم (٢) تهوى . تسرع سير اليه والثمار - جمع ثمرة - والمراد هنا الارواح . والمقاويز
- جمع مفازة - الفلاة لئلا يها بها . والسحيقه : البعيدة . والمهاوى - كالمهاوى - منخفضات
الأراضى . والفجج : الطرق الواسعة بين الجبال (٣) يهزوا أى يجرى كوا منها كبههم
أى رؤس أكتافهم لله يرفعون أصواتهم بالتلبية وذلك فى السعى والطواف . والرمل
ضرب من السير فوق المشى ودون الجرى . والأشعث المنتشر : الشعر مع تلبد فيه .
والأغبر : من علا بدنه الغبار (٤) السرايل : الثياب . واعفاء الشعور : تركها بلاخلق
ولاقص (٥) القرار المطمئن من الأرض . وجم الأشجار كثيرها والبنى - جمع بنية بضم
الباء وكسرهما - ما ببنيتها . وملتف البنى كثير العمران (٦) البرة : الخنطة . والسمرء :

خَضْرَاءَ ، وَأَرْيَافٍ مُحْدَقَةٍ ، وَعِرَاصٍ مُغْدَقَةٍ ، وَرِيَاضٍ نَاصِرَةٍ ، وَطُرُقٍ
عَابِرَةٍ ، لَكَانَ قَدْ صَنَعَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ صَنِفِ الْبَلَاءِ . وَلَوْ كَانَ
الْإِسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا ^(١) ، وَالْأَخْبَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا يَنْ زُمْرُدَةٍ خَضْرَاءَ ،
وَيَاقُوتَةٍ حُمْرَاءَ ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُسَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ ،
وَلَوْ ضَعَّ مُجَاهِدَةٌ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ ، وَلَنَفَى مُعْتَلِجَ الرِّيبِ مِنَ
النَّاسِ ^(٢) ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ ، وَيَتَّبَعُهُمْ بِأَنْوَاعِ
الْمَجَاهِدِ ، وَيَتَّبِعُهُمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ إِخْرَاجًا لِلتَّكْبِيرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ ،
وَإِسْكَانًا لِلتَّذَلُّلِ فِي نَفْسِهِمْ . وَلِيَجْمَلَ ذَلِكَ أَبْوَابًا فَتَحًا إِلَى فَضْلِهِ ^(٣) ،
وَأَسْبَابًا ذُلًّا لِعَفْوِهِ .

فَاللَّهُ اللَّهُ فِي عَاجِلِ الْبَنَى ، وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلَمِ ، وَسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبَرِ
فَإِنَّهَا مَضِيْدَةٌ إِبْلِيسَ الْمُظْلَمِ ، وَمَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ
الرَّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ ^(٤) . فَمَا تُكْدِي أَبَدًا ^(٥) ، وَلَا تُشْوِي

أجودها . والأرياف : الأراضى الخصبة والعراص - جمع عرصة - الساحة ليس بهابناء
والمحدقة : من أحدف الروضة صارت ذات شجر . والمغدة : من أغدق المطر كثير ماؤه
(١) الاساس - بكسر الهمزة جمع اس - مثلها أو أساس (٢) الاعتلاج : الالتظام .
اعتلجت الأمواج التطمط ، أي زال تلاطم الريب والشك من صدور الناس (٣) فتحا
بضمين أي مفتوحة واسعة (٤) تساور القلوب أي توائها وتقاتلها (٥) أ كدى الحافر

أَحَدًا ، لَعَالِمًا لِعِلْمِهِ ، وَلَا مُقِلًّا فِي طِمْرِهِ ^(١) . وَعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللَّهُ
 عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ ^(٢) بِالصَّلَوَاتِ وَالزُّكُوتِ ، وَمُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ
 الْمَفْرُوضَاتِ تَسْكِينًا لِأَطْرَافِهِمْ ^(٣) ، وَتَخْشِيعًا لِأَبْصَارِهِمْ ، وَتَذْلِيلًا
 لِنُفُوسِهِمْ ، وَتَخْفِيفًا لِقُلُوبِهِمْ ، وَإِذَا هَابًا لِلْخِيَلَاءِ عَنْهُمْ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ
 تَغْيِيرِ عِتَاقِ الْوُجُوهِ بِالْتَّرَابِ تَوَاضَعًا ^(٤) ، وَالتَّصَاقِ كَرَامِهِمُ الْجَوَارِحِ
 بِالْأَرْضِ تَصَاغُرًا ، وَلُحُوقِ الْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلاً . مَعَ مَا فِي
 الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الْأَرْضِ وَغَيْرِ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ ^(٥)
 أَنْظَرُوا إِلَى مَا فِي هَذِهِ الْأَفْعَالِ مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ الْفَقْرِ ^(٦) ، وَقَدْحِ
 طَوَالِجِ الْكِبَرِ . وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ يَتَعَصَّبُ
 لَشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِيهِ الْجُمَلَاءِ ، أَوْ حُجَّةٍ تَلِيْطُ
 بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ غَيْرِكُمْ ^(٧) . فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَنْبَرٍ لَا يُعْرِفُ لَهُ سَبَبٌ

إذا عجز عن التأثير في الأرض . وأشوت الضربة أخطأت المقتل (١) الطمر - بالكسر -
 الثوب الخلق أو الكساء البالي من غير الصوف ، أي أن البغي والظلم والكبر هي آلات
 إبليس وأسلحته المهلكة لا ينجو منها العالم فضلا عن الجاهل ولا الفقير فضلا عن الغني
 (٢) ما حرس أي حراسة الله للمؤمنين بالصلوات الخ ناشئة عن ذلك ، فهذه الفرائض
 لتأخيص النفوس من تلك الرذائل (٣) الأطراف : الأيدي والأرجل (٤) عتاق
 الوجوه : كرامها وهو جمع عتيق من عتق إذا رقت بشرته . والمتون الظهور
 (٥) هذا نوع من تحكيم الفقراء في أموال الأغنياء وتسلط لهم عليهم ، وفيه إضعاف
 لكبر الأغنياء (٦) القمع : النواجم من نجم إذا طلع وظهر . والقادح الكف والمنع
 (٧) تليط وتلوط أي تلحق : وقوله غيركم أي لا أنتم فإنكم تتعصبون لا عن حجة

وَلَا عِلةٌ . أَمَا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأَصْلِهِ . وَطَمَنَ عَلَيْهِ فِي خِلْقَتِهِ
فَقَالَ : أَنَا نَارِيٌّ وَأَنْتَ طِينِيٌّ

وَأَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتَرَفَةٍ الْأُمَمِ ^(١) فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ .
فَقَالُوا : « نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ » فَإِنْ كَانَ
لَا بُدَّ مِنَ الْمَعْصِيَةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ ، وَمَحَامِدِ
الْأَفْعَالِ ، وَمَحَاسِنِ الْأُمُورِ الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجْدَاءُ وَالنُّجْدَاءُ مِنْ
يُوتَاتِ الْعَرَبِ وَيَعَاسِبِ الْقَبَائِلِ ^(٢) بِالْأَخْلَاقِ الرَّغِيْبَةِ ، وَالْأَحْلَامِ
الْعَظِيْمَةِ ، وَالْأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ ، وَالْآثَارِ الْمَحْمُودَةِ . فَتَعَصَّبُوا لِجِلَالِ
الْحَمْدِ مِنَ الْخِفْظِ لِلْجَوَارِ ^(٣) ، وَالْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ ، وَالطَّاعَةِ لِلذِّهْرِ ،
وَالْمَعْصِيَةِ لِلْكِبَرِ ، وَالْأَخْذِ بِالْفَضْلِ ، وَالْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ ، وَالْإِعْظَامِ
لِلْقَتْلِ ، وَالْإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ ، وَالْكَظْمِ لِلغَيْظِ ، وَاجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِي
الْأَرْضِ . وَاحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْأَمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثَلَاتِ ^(٤) بِسُوءِ

يقبلها السفيه ولا عن علة تحتل التموليه (١) المترف - على صيغة اسم المفعول - الموسع
له في النعم يتمتع بما شاء من اللذات . وآثار مواقع النعم ما ينشأ عنها من النعالي والتكبر .
وعلة إبليس والامم المترفة وإن كانت فاسدة إلا أنها شيء في جانب ما تتعلل به القبائل
في مقابلة بعضها بعضاً (٢) يعاسب - جمع يعسوب - وهو أمير السحل ، ويستعمل
مجازاً في رئيس القوم كما هنا . والاخلاق الرغيبه : الرضيه المرغوبه . والاحلام : العقول
(٣) الجوار - بالمكسر - المجاورة بمعنى الاحتماء بالغير من الظلم . والذمام : العهد (٤) المثلات

الْأَفْعَالِ وَذَمِيمِ الْأَعْمَالِ . فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَخْوَالَهُمْ .
وَأَحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ . فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَقَاوُتِ حَالِيهِمْ ^(١)
فَالزَّمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ الْعِزَّةُ بِهِ ^(٢) ، وَزَاخَتِ الْأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ ،
وَمُدَّتِ الْعَافِيَةُ فِيهِ عَلَيْهِمْ ، وَانْقَادَتِ النُّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ ، وَوَصَلَتِ
الْكِرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلُهُمْ مِنَ الْاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ ^(٣) ، وَاللُّزُومِ لِلْأُلْفَةِ ،
وَالْتَحَاضِّ عَلَيْهِمَا وَالتَّوَاصِي بِهَا ، وَاجْتَنَبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فَقَرَّتْ لَهُمْ ^(٤) ،
وَأَوْهَنَ مُتَتَهُمْ . مِنْ تَضَاعُنِ الْقُلُوبِ ، وَتَشَاخُنِ الصُّدُورِ ، وَتَدَابُرِ
النُّفُوسِ ، وَتَخَاذُلِ الْأَيْدِي ، وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
قَبْلَكُمْ كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمْخِيصِ وَالْبَلَاءِ ^(٥) . أَلَمْ يَكُونُوا
أَثْقَلَ الْخَلَائِقِ أَعْبَاءً ، وَأَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلَاءً ، وَأَضْيَقَ أَهْلِ الدُّنْيَا حَالًا .
أَتَخَذْتَهُمُ الْفَرَاعِنَةَ عَيْدًا فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ، وَجَرَّعُوهُمْ الْمُرَارَ ^(٦)
فَلَمْ تَبْرِجْ أَلْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ الْهَلَكَةِ وَقَهْرِ الْغَلْبَةِ . لَا يَجِدُونَ حِيلَةَ

(١) من سعادة وشقاء (٢) لزمت العزة به شأنهم أى كان سببا في عزتهم وما يتبعها
من الأحوال الآتية . ومدت أى انبسطت (٣) من الاجتناب بيان لأسباب العزة وبعد
الاعداء وانبساط العافية وانقياد النعمة والصلة بحبل الكرامة (٤) الفقرة - بالكسر
والفتح - كالفقارة بالفتح - ما انتظم من عظم الصلب من الكاهل إلى عجب الذنب ،
وأوهن أى أضعف . والمنة - بضم الميم - القوة (٥) التمهيص : الابتلاء والاختبار
(٦) المرار - بضم ففتح - شجر شديد المرارة تنقلص منه شفاة الابل إذا أكلته ؛

فِي أَمْتِنَاعٍ ، وَلَا سَبِيلًا إِلَى دِفَاقٍ . حَتَّى إِذَا رَأَى اللَّهُ جَدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ
عَلَى الْأَذَى فِي مَحَبَّتِهِ ، وَالْإِحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ جَعَلَ لَهُمْ مِنْ
مَضَائِقِ الْبَلَاءِ فَرَجًا ، فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ ، وَالْأَمْنَ مَكَانَ
الْخَوْفِ فَصَارُوا مُلُوكًا حُكَمَاءَ . وَأَئِمَّةً أَعْلَامًا ، وَبَلَغَتْ الْكَرَامَةُ
مِنْ اللَّهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَبْلُغِ الْآمَالَ إِلَيْهِ بِهِمْ

فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتْ الْأُمَلَاءُ مُجْتَمِعَةً ^(١) ،
وَالْأَهْوَاءُ مُتَّفِقَةً ، وَالْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً ، وَالْأَيْدِي مُتَرَادِفَةً ، وَالسُّيُوفُ
مُتَنَاصِرَةً ، وَالْبَصَائِرُ نَافِذَةً ، وَالْعَزَائِمُ وَاحِدَةً . أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَابًا فِي
أَقْطَارِ الْأَرْضِينَ ^(٢) ، وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ . فَانْظُرُوا إِلَى
مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ ، وَتَشَتَّتَتِ الْأُلُفَّةُ
وَاخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ وَالْأَفْئِدَةُ ، وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ ، وَتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ
قَدْ خَلَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ ، وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ ^(٣) . وَبَقِيَ
قِصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبْرًا لِلْمُعْتَبِرِينَ

فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ

أى جرعوهم عصارته (١) الأملاء - جمع ملأ - بمعنى الجماعة والقوم . والأيدى المترادفة
المتعاونة (٢) أربابا : سادات (٣) غضارة النعمة : سعتها . وقصص الأخبار : حكايتها

عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالِ الْأَحْوَالِ ^(١) ، وَأَقْرَبَ اشْتِبَاهِ الْأَمْثَالِ .

تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّبِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ لِيَأْتِيَ كَأَنَّكَ الْكَامِرَةُ
وَالْقِيَاصِرَةُ أَرْبَابًا لَهُمْ ، يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ الْأَفَاقِ ^(٢) ، وَبَحْرِ الْعِرَاقِ
وَحُضْرَةِ الدُّنْيَا إِلَى مَنَابِتِ الشَّيْخِ ، وَمَهَابِ الرِّيْحِ ^(٣) ، وَنَكْدِ الْمَعَاشِ .
فَتَرَ كُوهَهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانِ دَبَرٍ وَوَبَرٍ ^(٤) ، أَذْكَ الْأَثَمِ دَارًا ،
وَأَجْدَبَهُمْ قَرَارًا . لَا يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا ^(٥) ، وَلَا إِلَى
ظِلِّ أَلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا . فَالْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ ، وَالْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ ،
وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ . فِي بَلَاءٍ أَزَلٍ ^(٦) ، وَإِطْبَاقٍ جَهْلٍ ! مِنْ بَنَاتِ
مَوْءُودَةٍ ^(٧) ، وَأَصْنَافٍ مَعْبُودَةٍ ، وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ ، وَغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ
فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا ^(٨) ،

وروايتها (١) الاعتدال هنا التناسب . والاشتباه التشابه (٢) يحتازونهم : يقبضونهم
عن الأراضي الخصبة (٣) المهابي : المواضع التي تهفو فيها الرياح أي تهب . والنكد
- بالتحريك - أي الشدة والعسر (٤) الدبر - بالتحريك - الفرجة في ظهر الدابة .
والوبر : شعر الجمل . والمراد أنهم رعاة (٥) لا يأوون : لم يكن فيهم داع إلى الحق
فيأوون اليه ويعتصمون بمنصرة دعوته (٦) بلاء أزل : على الإضافة . والأزل
- بالفتح (٧) - الشدة (٨) من وأد بقت - كوعد أي دفنها وهي حية . وكان بنو اسماعيل
من العرب يفعلون ذلك بيناتهم . وشن الغارة عليهم : صبرا من كل وجه (٨) هو نبينا

فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ ، وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ الْفَتَاهُ . كَيْفَ نَشَرَتِ النُّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا ، وَأَسَّالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا ، وَالتَّقَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَاتِهَا ^(١) . فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ ، وَعَنْ خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ ^(٢) . قَدْ تَرَبَّعَتْ الْأُمُورُ بِهِمْ ^(٣) ، فِي ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ وَأَوْسَمُ الْحَالِ إِلَى كَنْفِ عِزِّ غَالِبٍ . وَتَعَطَّفَتْ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذَرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ . فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِينَ . يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ . وَيُنْضَوْنَ الْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُنْضِيهَا فِيهِمْ . لَا تُعْمَزُ لَهُمْ قَنَآةٌ ^(٤) ، وَلَا تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَآةٌ

أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ تَقَضَّيْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ . وَتَلَمَّسْتُمْ حِصْنَ اللَّهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ ^(٥) . فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ أَمَّنَّ عَلَى جَمَاعَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الْأَلْفَةِ

صلى الله عليه وسلم (١) يقال التف الحبل بالخطب إذا جمعه ، فله محمد صلى الله عليه وسلم جمعهم بعد تفرقهم ، وجعلهم جميعاً في بركاتها العائدة اليهم (٢) راضين طيبة نفوسهم (٣) تر بعت : أقامت (٤) هذا وما بعده كناية عن القوة والامتناع من الضيم . والقناة الرمح . وغمرها : جساها باليد لينظر هل هي محتاجة للتقويم والتعديل فيفعل بهاذلك . والصفاء الحجر الصلد . وقرعها : صدمها لتكسر (٥) تلتم : خرتم . وقوله بأحكام

الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا ، وَيَأْوُونَ إِلَى كَنْفِهَا ، بِنِعْمَةٍ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ
الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيَمَةً لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ وَأَجَلٌ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ
وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهَجْرَةِ أَعْرَابًا^(١) ، وَبَعْدَ الْمُوَالَاةِ
أَحْزَابًا . مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِأَسْمِهِ . وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ
الْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ

تَقُولُونَ النَّارَ وَلَا الْعَارَ ، كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِتُوا
الْإِسْلَامَ عَلَى وَجْهِهِ ، أَنْتُمْ كَأَنَّ الْحَرِيمَ ، وَتَقْضَى لِمِثَاقِهِ^(٢) الَّذِي وَضَعَهُ
اللَّهُ لَكُمْ حَرَمًا فِي أَرْضِهِ وَأَمْنَا بَيْنَ خَلْقِهِ . وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى
غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ ، ثُمَّ لَا جَبْرَائِيلَ وَلَا مِيكَائِيلَ وَلَا
مُهَاجِرُونَ وَلَا أَنْصَارٌ يَنْصُرُونَكُمْ إِلَّا الْمُقَارَعَةُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَحْكُمَ
اللَّهُ بَيْنَكُمْ

وَإِنَّ عِنْدَكُمْ الْأَمْثَالَ مِنْ بَنَاسِ اللَّهِ وَقَوَارِعِهِ ، وَأَيَّامِهِ وَقَوَائِمِهِ .
فَلَا تَسْتَبْطِئُوا وَعَيْدُهُ جَهْلًا بِأَحْدِهِ ، وَتَهَاوُنًا بِيَطْشِهِ ، وَيَأْسًا مِنْ

الجاهلية متعلق بثلثهم (١) أى صرتم من أعراب البادية الذين يكتفى في إسلامهم
بذكر الشهادتين وإن لم يحاطل الأيمان قلوبهم ، بعد أن كنتم من المهاجرين الصادقين .
والموالاته: المحبة . والأحزاب : المتفرقون المتقاطعون (٢) هو ميثاق الاخوة الدينية

بَأْسِهِ . فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاعِي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لَتَرَكِهِمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ . فَلَعَنَ اللَّهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي ، وَالْخُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِي

أَلَا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الْإِسْلَامِ وَعَطَلْتُمْ حُدُودَهُ وَأَمُتُمْ أَحْكَامَهُ
أَلَا وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَنِي وَالنَّكْثِ^(١) وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ
فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ ، وَأَمَّا الْفَاسِقُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ^(٢) . وَأَمَّا
الْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ . وَأَمَّا شَيْطَانُ الرَّدْهَةِ فَقَدْ كُفِّتُهُ بِصَفْقَةٍ سُمِعَتْ
لَهَا وَجِبَةُ قَلْبِهِ وَرَجَّةٌ صَدْرِهِ^(٣) . وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَنِي . وَلَكِنَّ
أَذِنَ اللَّهُ فِي الْكُرَّةِ عَلَيْهِمْ لَا أُدِيلَنْ مِنْهُمْ^(٤) إِلَّا مَا يَتَشَدَّرُ فِي أَطْرَافِ
الْبِلَادِ تَشَدُّرًا

أَنَا وَصَنْتُ فِي الصُّغَرِ بِكَلَا كُلِّ الْعَرَبِ^(٥) ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ

(١) نقض العهد (٢) الفاسطون : الجائرون عن الحق . والمارقة الذين مرقوا من الدين
أى خرجوا منه . ودوخهم أى أضعفهم وأذلهم (٣) الردة - بالفتح - النقرة فى الجبل
قد يجتمع فيها الماء . وشيطانها ذو النديّة من رؤساء الخوارج وجد مقتولا فى ردة.
والصعقة : القشبة نصيب الانسان من الهول . ووجبة القلب اضطرابه وخفقانه .
ورجة الصدر اهتزازه وارتعاده (٤) لأدبلن منهم : لأعقبنهم . ثم أجعل الدولة لغيرهم .
وما يتشدر أى يتفرق ، أى لا يفلت منى إلا من يتفرق فى أطراف البلاد (٥) الكلا كل :
الكل من العرب عداها عن الأكابر . والنواجم من القرون : الظاهرة الرفيعة ، يروى بها

قُرُونٍ رَبِيعَةً وَمُضَرَ . وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَلِصَةِ . وَضَعَنِي فِي حَجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ ، وَيَكْنُفُنِي إِلَى فِرَاشِهِ ، وَيُمَسِّسُنِي جَسَدَهُ وَيُسَمِّيُنِي عَرَفَهُ^(١) . وَكَانَ يَمْنَعُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ . وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ^(٢) . وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَكْثَرَ مَلَأِيكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ ، وَتَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارُهُ . وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ أَتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ^(٣) يَرْفَعُنِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْماً وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ . وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُنِي فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِجْرَاءَ^(٤) فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي . وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ وَاحِدٍ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا . أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرُّسَالَةِ ، وَأَشْمُ رِيحَ النُّبُوءَةِ . وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

أشرف القبائل . قرون مضاف وربيعة مضاف إليه (١) عرفه - بالفتح - راحته الذكوة (٢) الخطلة: واحدة الخطل ، كالفرجة واحدة الفرج . والخطل : الخطأ ينشأ عن عدم الروية (٣) الفصيل والناقة (٤) حرله بكسر الحاء جبل علي القريب من مكة

وآلِه ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّثَّةُ ؟ فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ أَيْسَ مِنْ عِبَادَتِهِ . إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ . وَلَكِنَّكَ وَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ . وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا أَتَاهُ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالُوا لَهُ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدْ أَدْعَيْتَ عَظِيمًا لَمْ يَدْعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَنِيكَ ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْرًا إِنْ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَارْتَيْنَاهُ عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ . فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : وَمَا تَسْأَلُونَ ؟ قَالُوا تَدْعُو لَنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِرُءُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ ؟ قَالُوا نَعَمْ ، قَالَ فَإِنِّي سَأَرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ ، وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَقِفُونَ إِلَى خَيْرٍ^(١) ، وَإِنْ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلْبِ^(٢) ، وَمَنْ يُحْزَبُ الْأَحْزَابِ . ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : يَأَيُّهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَانْقَلِبِي بِرُءُوقِكَ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ . فَوَالَّذِي بَعَثَهُ

(١) لانفثون: لانرجعون(٢)القلب- كما يميز البئر . والمراد منه قلب بدر طر ح فيه نيف وعشرون من أكابر قريش، والأحزاب متفرقة من القبائل اجتمعوا على حربه

بِالْحَقِّ لَا نَقْلَمَتْ بِمُرُوقِهَا وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ وَقَصَفٌ كَقَصَفِ
 أَجْنَحَةِ الطَّيْرِ^(١) حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
 مُرْفَرِفَةً ، وَأَلْقَتْ بِنُصْفِهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ،
 وَبِغَضٍّ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي ، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
 فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ قَالُوا - عَلُوا وَأَسْتَكْبَارًا - : فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ
 نِصْفُهَا وَيَبْقَى نِصْفُهَا فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ
 وَأَشَدِّ دَوِيًّا ، فَكَادَتْ تَلْتَفُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالُوا
 - كُفْرًا وَعُتُوًّا - فَمُرْ هَذَا النُّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ فَأَمَرَهُ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَرَجَعَ . فَقُلْتُ أَنَا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ
 بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَأَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلْتَ بِأَمْرِ اللَّهِ
 تَعَالَى تَصَدِّيقًا بِبُيُوتِكَ وَإِجْلَالًا لِكَلِمَتِكَ . فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ : بَلْ
 سَاحِرٌ كَذَّابٌ ، عَجِيبُ السَّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ
 إِلَّا مِثْلُ هَذَا (يَعْنُونِي) وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَأَمٍّ
 سِيمَاهُمْ سِيمَا الصَّدِيقِينَ ، وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ الْأَبْرَارِ . عُمَارُ اللَّيْلِ وَمَنَارُ
 النَّهَارِ^(٢) . مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ . يُحْيُونَ سُنَنَ اللَّهِ وَسُنَنَ رَسُولِهِ .

لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَا يَغْلُونَ ، وَلَا يَغْلُونَ ^(١) وَلَا يُفْسِدُونَ . قُلُوبُهُمْ فِي
الْجَنَانِ وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

رَوَى أَنَّ صَاحِبًا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُقَالُ لَهُ هَمَّامٌ
كَانَ رَجُلًا عَابِدًا ، فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صِفْ لِي الْمُتَّقِينَ
حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ . فَتَنَاقَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ جَوَابِهِ ثُمَّ
قَالَ : يَا هَمَّامُ اتَّقِ اللَّهَ وَأَحْسِنْ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ
هُمْ مُحْسِنُونَ ، فَلَمْ يَقْنَعْ هَمَّامٌ بِهَذَا الْقَوْلِ حَتَّى عَزَمَ عَلَيْهِ ،
فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
ثُمَّ قَالَ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلْقَ الْخَلْقِ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيًّا
عَنْ طَاعَتِهِمْ ، آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ ، لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مِنْ عَصَاةٍ وَلَا
تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مِنْ أَطَاعَةٍ . فَكَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا
مَوَاضِعَهُمْ . فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ . مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ ،

وَمَلْبَسَهُمُ الْإِقْتِصَادُ^(١) ، وَمَشِيَهُمُ التَّوَاضُّعُ . غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ
 اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ . نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ
 مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّتِي نَزَلَتْ فِي الرِّخَاءِ^(٢) . وَلَوْ لَا الْأَجَلُ الَّذِي كُتِبَ
 لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرَفَةَ عَيْنٍ شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ ،
 وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ . عَظَّمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصْرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ ،
 فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا^(٣) فَهُمْ فِيهَا مُنْعَمُونَ ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ
 رَأَاهَا فَمِنْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ . قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ . وَأَجْسَادُهُمْ
 نَحِيفَةٌ^(٤) ، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ . صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً
 أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً . تِجَارَةٌ مُرَبِّحَةٌ^(٥) يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ . أَرَادَتْهُمْ
 الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا . وَأَسَرَّتْهُمْ فَقَدُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا . أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُونَ
 أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرْتَلُّونَهُ تَرْتِيلًا . يُحْزَنُونَ بِهِ أَنْفُسُهُمْ

(١) ملبسهم الخ ، أى أنهم لا يأتون من شهواتهم إلا بقدر حاجتهم في تقويم حياتهم ،
 فكان الاتفاق كشوب لهم على قدر أبدانهم لسكنهم يتوسعون في الخيرات (٢) نزلت
 الخ ، أى أنهم إذا كانوا في بلاء كانوا بالأمل في الله كأنهم كانوا في رخاء لا يجزعون
 ولا يهنون ، وإذا كانوا في رخاء كانوا من خوف الله وحذر النعمة كأنهم في بلاء لا
 يبطرون ولا يتجبرون (٣) أى هم على يقين من الجنة والنار كيقين من رآها ، فكانهم
 في نعيم الأولى وعذاب الثانية رجاء وخوفاً (٤) نحافة أجسادهم من الفسك في صلاح
 دينهم والقيام بما يجب عليهم له (٥) يقال أربحت التجارة إذا أفادت ربحاً

وَيَسْتَشِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ^(١). فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا ، وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا ، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصَبٌ أَعْيُنِهِمْ . وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ^(٢) . فَهُمْ حَائُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ ، مُفْتَرِشُونَ لِجِبَابِهِمْ وَأَكْفُهُمْ وَرُكْبَتُهُمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ ، يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي فَكَالِكَ رِقَابِهِمْ . وَأَمَّا النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ . قَدْ بَرَأَهُمُ الْخَوْفُ بَرَى الْقِدَاحَ^(٣) . يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاطِرُ فَيَحْسِبُهُمْ مَرْضَى وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ وَيَقُولُ قَدْ خُولِطُوا^(٤)

وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ . لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ . وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ الْكَثِيرَ . فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَمِهُونَ . وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ^(٥) . إِذَا زُكِّيَ أَحَدُهُمْ^(٦) خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ : أَنَا أَعْلَمُ

(١) استنار الساكن هيجه ، وقارئ القرآن يستنير به الفكر المالحى للجهل فهو دواؤه
(٢) زفير النار : صوت توفدها . وشهيقها الشديد من زفيرها كأنه تردد البكاء أو نهيق الجار ، أى أنهم من كمال يقينهم بالنار يتخيلون صوتها تحت جدران آذانهم فهم من شدة الخوف قد حنوا ظهورهم وسلطوا الانحناء على أوساطهم . وفكالك الرقاب خلاصها (٣) القداح - جمع قدح بالكسر - وهو السهم قبل أن يراش . وبراء : نحت ، أى رفق الخوف أجسامهم كما ترقق السهام بالنحت (٤) خولط فى عقله أى مازجه خلل فيه ، والأمرا العظيم الذى خالط عقولهم هو الخوف الشديد من الله (٥) مشفقون : خائفون من التقصير فيها (٦) زكى مدحه

بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي ، وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي . اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا
يَقُولُونَ ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ ، وَأَغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ
فَإِنَّ عِلَامَةَ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ رَأَيْتَ لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ ، وَخَزَمًا فِي لَيْنٍ ،
وَأِيمَانًا فِي يَقِينٍ . وَحِرْصًا فِي عِلْمٍ ، وَعِلْمًا فِي حِلْمٍ . وَقَصْدًا فِي غِنَى ^(١)
وَحُشُوعًا فِي عِبَادَةٍ . وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ . وَصَبْرًا فِي شِدَّةٍ . وَطَلَبًا فِي حَلَالٍ
وَنَشَاطًا فِي هُدًى . وَتَحَرُّجًا عَنْ طَمَعٍ ^(٢) . يَعْمَلُ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةَ وَهُوَ
عَلَى وَجَلٍ . يُعْسَى وَهَمُّهُ الشُّكْرُ ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ . يَبِيتُ حَذِرًا
وَيُصْبِحُ فَرِحًا . حَذِرًا لِمَا حُذِرَ مِنَ الْغَفْلَةِ . وَفَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ
الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ . إِنْ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكَرَّرَ ^(٣) لَمْ يُعْطِهَا
سَوَئِلَهَا فِيمَا تُحِبُّ . قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ . وَرَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى ^(٤) .
يَمِزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ . وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ . تَرَاهُ قَرِيبًا أَمَلُهُ . قَلِيلًا زَلَلُهُ .
خَاشِعًا قَلْبُهُ . قَانِعَةً نَفْسُهُ . مَنُزُورًا أَكْلُهُ . سَهْلًا أَمْرُهُ . حَرِيرًا دِينُهُ ^(٥)
مَيْتَةً شَهْوَتُهُ . مَكْظُومًا غَيْظُهُ . الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ .

أحد (١) قصداً أي اقتصاداً . والتجمل : التظاهر باليسر عند الفاقة أي الفقر

(٢) التخرج عد الشيء حرجاً أي إما أي تباعداً عن طمع (٣) إن استصعبت

أي إذا لم تطاوعه نفسه فيما يشق عليها من الطاعة عاقبها بعدم إعطائها ما ترغبه من الشهوة

(٤) ما لا يزول هو الآخرة وما لا يبقى هو الدنيا (٥) منزوراً : قليلاً . وحريراً أي حصيناً

إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ . وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ
 لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ ^(١) . يَعْفُو عَنْ ظَلَمِهِ ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ ،
 وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ . بَعِيدًا فُحْشُهُ ^(٢) . لَيْسًا قَوْلُهُ . غَائِبًا مُنْكَرُهُ . حَاضِرًا
 مَعْرُوفُهُ . مُقْبِلًا خَيْرُهُ . مُذْبِرًا شَرُّهُ . فِي الزَّلَازِلِ وَقُورُ ^(٣) ، وَفِي
 الْمَكَارِهِ صَبُورُ . وَفِي الرِّخَاءِ شُكُورُ . لَا يَحْجِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ . وَلَا
 يَأْتُمُّ فِيمَنْ يُحِبُّ ^(٤) . يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ . لَا يَضِيعُ مَا
 اسْتُحْفِظَ . وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ . وَلَا يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ ^(٥) . وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ .
 وَلَا يَشْتُمُ بِالْمَصَائِبِ . وَلَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ . وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ .
 إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغْمُهُ صَمْتُهُ ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَلْعَلْ صَوْتُهُ . وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ
 صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ . نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ . وَالنَّاسُ
 مِنْهُ فِي رَاحَةٍ . أُنْعَبَ نَفْسَهُ لَا خَيْرَ تِهِ ، وَأَرَاخَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ . بُعْدُهُ
 عَنْ تَبَاعُدِ عَنْهُ زُهْدٌ وَتَرَاهُ . وَدُؤُهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ . لَيْسَ
 تَبَاعُدُهُ بِكِبَرٍ وَعَظَمَةٍ ، وَلَا دُؤُهُ بِمَسْكَرٍ وَخَدِيلَةٍ

(١) أى إن كان بين الساكتين عن ذكر الله فهو ذاكر له بقلبه وإن كان بين الذاكرين
 بلسانهم لم يكن مقتصرًا على تحريك اللسان مع غفلة القلب (٢) الفحش : القبيح
 من القول (٣) في الزلازل أى الشدائد المرعدة . والوقور الذى لا يضطرب (٤) لا يأتم
 الخ أى لا تحمله المحبة على أن يرتكب إنما لارضاء حبيبه (٥) أى لا يدعوه غيره باللقب

(قَالَ) فَصَمِقَ هَمَامٌ صَعَقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا^(١). فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ . ثُمَّ قَالَ : أَمْكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا . فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ فَمَا بِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ^(٢) ؟ فَقَالَ : وَيَحْكُمَ إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتًا لَا يَمْدُودُهُ وَسَبَبًا لَا يَتَجَاوَزُهُ . فَمَهْلًا لَا تَعُدُّ لِيْثْلَهَا فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
يَصِفُ فِيهَا الْمُنَافِقِينَ

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ ، وَذَادَ عَنْهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ^(٣) . وَنَسْأَلُهُ لِمَنْتِهِ تَمَامًا وَبِحَبْلِهِ أَعْتِصَامًا . وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاضَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ كُلَّ عُمْرَةٍ^(٤) ، وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ . وَقَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الْأَدْنُونَ^(٥) ، وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَقْصُونَ . وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعْنَتَهَا ؛

الذي يكره ويشمئز منه (١) صمق : غشى عليه (٢) فما بالك لا تموت مع انطواءه سرى على هذه المواعظ البالغة، وهذا سؤال الوقح البارد (٣) ذاد عنه : حجب عنه (٤) العمرة : الندة (٥) تلون أى قلب له الأدنون أى الأقر بون فلم يثبتوا معه . وتألب أى اجتمع على عداوته الأقصون أى الأبعدون . وخلعت العرب أعنتها - جمع عنان - وهو حبل اللجام أى خرجت عن طاعته فلم تنقد له بزماء أو المراد أنها خلعت الأعنة سرعة إلى حرب به فان مالا يمسكه عنان يكون أسرع جرياً . والواحد - جمع راحلة - وهى

وَضَرَبْتَ لِمَحَارِبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا ، حَتَّى أَنْزَلْتَ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَهَا مِنْ
أُبْعَدِ الدَّارِ وَأَسْحَقِ الْمَزَارِ^(١)

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ . وَأَحْذَرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ فَإِنَّهُمْ
الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ ، وَالزَّالُّونَ الْمُزِلُّونَ^(٢) . يَتَدَوَّنُونَ أَلْوَانًا ، وَيَفْتَنُونَ
أَفْتِنَانًا^(٣) ، وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ ، وَيَرْصُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ .
قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ^(٤) ، وَصِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ . يَمْشُونَ أَخْفَاءً^(٥) ، وَيَدِبُونَ الضَّرَاءَ
وَصَفَهُمْ دَوَاءٌ ، وَقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ ، وَفَعْلُهُمُ الدَّاءُ الْعِيَاءُ^(٦) . حَسَدُهُ الرَّخَاءُ^(٧) ،
وَمُوءُ كَدُّوا الْبَلَاءَ ، وَمَقْنَطُوا الرَّجَاءَ . لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ^(٨) وَإِلَى

النافقة أى ساقوا ركبهم اسرعا لمحاربه (١) أسحق : أقصى (٢) الزالون من زل أى
أخطأ . والمزلون من أزاله إذا أوقعه فى الخطأ (٣) يفتنون أى يأخذون فى فنون من القول
لا يذهبون منهبا واحدا . ويعمدونكم أى يقيمونكم بكل عماد . والعماد ما يقام
عليه البناء أى إذا ملتم عن أهوائهم أقاموكم عليها بأعمدة من الخديعة حتى توافقوهم .
والمرصاد: محل الارتقاب ويرصدونكم يقعدون لكم بكل طريق ليحولوكم عن الاستقامة
(٤) دوية أى مريضة من الدوى بالقصر وهو المرض . والصفاح : جمع صفحة ، والمراد
منها صفاح وجوههم ونقاوتها صفاؤها من علامات العداوة وقلوبهم ملتبهه بنارها
(٥) يمشون مشى التستر ويدبون أى يمشون على هيئة ديب الضراء أى يسرون
سريان المرض فى الجسم أو سريان النقص فى الأموال والأنفس والثمرات (٦) الداء :
العياء - بالفتح - الذى أعبى الأطباء ولا يمكن منه الشفاء (٧) حسدة : جمع حاسد ،
أى يحسدون على السعة وإذا نزل بلاء بأحد كدوه وزادوه وإذا رجي أحد شيئا
أوقعوه فى القنوط واليأس (٨) الصريع : المطروح على الأرض ، أى أهم كثيرا
ما خدعوا أشخاصا حتى أوقعوهم فى الهلكة

كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ ، وَلِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ^(١) . يَتَقَارَضُونَ أَشْنَاءَ^(٢) ،
وَيَتَرَأَقُونَ أَجْزَاءَ . إِنْ سَأَلُوا أَخْفُوا^(٣) ، وَإِنْ عَدَلُوا كَشَفُوا ، وَإِنْ
حَكَمُوا أَسْرَفُوا . قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلًا ، وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلًا ،
وَلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلًا ، وَلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحًا ، وَلِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحًا . يَتَوَصَّلُونَ
إِلَى الطَّمَعِ بِالنِّيَاسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ ، وَيُنْفِقُوا بِهِ أَعْلَاقَهُمْ^(٤) .
يَقُولُونَ فَيُشَبَّهُونَ^(٥) ، وَيَصِفُونَ فَيَمُوهُونَ . قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ^(٦) ،
وَأَضْلَعُوا الْمَضِيقَ . فَهُمْ لَمَّةُ الشَّيْطَانِ^(٧) وَحُمَةُ النَّيِّرَانِ «أُولَئِكَ حِزْبُ
الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ»

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ وَجَلَّالِ كِبَرِيَّائِهِ مَا حَيْرَ

(١) الشجو : الحزن أى يكون نصعاني أرادوا (٢) يتقارضون كل واحد منهم
يشئ على الآخر ليثنى الآخر عليه كأن كلا منهم يسلف الآخر ديناً ليؤديه اليه وكل يعمل
الآخر عملاً يرتقب جزاءه عليه (٣) بالغوا في السؤال وألحوا . وإن عدلوا أى لاموا
كشفوا أى فضحوا من يلومونه (٤) ينفقون أى يروجون من النفاق - بالفتح -
ضد الكساد . والاعلاق : جمع علق ، الشيء النفيس ، والمراد مايزينونه من خدائهم
(٥) أى يشبهون الحق بالباطل (٦) يهونون على الناس طرق السبر معهم على أهوائهم
الفاصلة ثم بعد أن ينقادوا لهم يضلعون عليهم المضائق أى يجعلونها معوجة يصعب
تجاوزها فيهلكون (٧) اللمة - بضم ففتح - الجماعة من الثلاثة إلى العشرة والمراد
هنا مطلق الجماعة . واللمة بالتحفيف اللمة تلسع بها العقرب ونحوها . والمراد لبيب النيران

مُقَلَّ الْعَمُورِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ^(١)، وَرَدَّعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ النُّفُوسِ عَنْ
عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ^(٢). وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً إِيْمَانٍ وَإِيقَانٍ،
وَإِخْلَاصٍ وَإِذْعَانٍ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ وَأَعْلَامُ
الْهُدَى دَارِسَةً، وَمَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةً^(٣). فَصَدَعَ بِالْحَقِّ، وَنَصَحَ
لِلْخَلْقِ. وَهَدَى إِلَى الرُّشْدِ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَأَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا. وَلَمْ يُزَيِّلْكُمْ هَمَلًا.
عَلِمَ مَبْلَغَ نِعْمِهِ عَلَيْكُمْ، وَأَخْصَى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ. فَاسْتَفْتَحُوهُ
وَاسْتَنْجَحُوهُ^(٤)، وَاطْلُبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَمْنَحُوهُ. فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ،
وَلَا أُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ. وَإِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ، وَفِي كُلِّ حِينٍ
وَأَوَّانٍ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَجَانٍ. لَا يَشْلُهُ الْعَطَاءُ^(٥)، وَلَا يُنْقِصُهُ الْجَبَاءُ

- (١) المقل بضم ففتح جمع مقلة وهي شحمة العين التي تجمع البياض والسواد
(٢) هماهم النفوس : هموهما في طلب العلم (٣) من طمس بفتححات أى انمحى واندرس .
وصدع أى شق بناء الباطل بصلمة الحق . والقصد الاعتدال فى كل شئ (٤) استفتحوه
اسألوه الفتح على أعدائكم واستنجحوه اسألوه النجاح فى أعمالكم . واستمنحوه
التمسوا منه العطاء (٥) لم السيف كسر جانبه مجاز عن عدم انتفاص خزائنه بالعطاء
والجباء - ككتاب - العطية لامكافاة . واستنفده جعله نافداً المال لاشئ عنده . واستقصاه
أتى على آخر ما عنده . والله سبحانه لا نهاية لما لديه من المواهب . ولا يلويه أى لا يميله .
وتوهمه تذهله . ويحججه كيظنه يستره . وكأنه يريد رضى الله عنه أن صور الموجودات
حجاب بين الوهم وسبحات وجهه وعلو ذاته مانع للعقل عن اكتناهاه فهو بهذا باطن

وَلَا يَسْتَنْفِذُهُ سَائِلٌ، وَلَا يَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ. وَلَا يَلْوِيهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ،
وَلَا يُلْهِمِهِ صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ. وَلَا تَحْجُزُهُ هَبَةٌ عَنْ سَلْبٍ. وَلَا يَشْغَلُهُ
غَضَبٌ بَنَ رَحْمَةٍ. وَلَا تُؤْلِيهِ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ. وَلَا يُجِنُّهُ الْبُطُونُ عَنْ
الظُّهُورِ. وَلَا يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ. قَرُبَ فَنَأَى، وَعَلَا قَدَنَا.
وَوَظَّهَرَ فَبَطَّنَ، وَبَطَّنَ فَعَمَلَنَ. وَدَانَ وَلَمْ يَدْنِ^(١). لَمْ يَذَرِ الْخَلْقَ بِاحْتِيَالٍ^(٢)،
وَلَا اسْتَعَانَ بِهِمْ لِكَلَالٍ

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا الزَّمَامُ وَالْقَوَامُ^(٣). فَمَسَّكُوا
بِوَنَائِقِهَا، وَاعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا تَوَلَّ بِكُمْ إِلَى أَكْنَانِ الدَّعَةِ^(٤)، وَأَوْطَانِ
السَّعَةِ، وَمَعَاقِلِ الْحَرْزِ وَمَنَازِلِ الْعِزِّ فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ،
وَتُظْلِمُ لَهُ الْأَفْطَارُ. وَيُعْطَلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ^(٥). وَيَنْفَخُ فِي الصُّورِ.

ومع ذلك فالأشياء بذاتها لا وجود لها وإنما وجودها نسبتها إليه فالوجود الحقيقي البريء
من شوائب العدم وجوده فالوجودات أشعة ضياء الوجود الحق فهو الظاهر على كل
شيء وبهذا تنبين الأوصاف الآتية (١) دان : جازى وحاسب ولم يحاسبه أحد (٢) ذرأ
أى خلق ، والاحتيال : التفكير فى العمل وطلب التمكن من إبرازه ولا يكون إلا من
العجز . والكلال الملل من التعب (٣) التقوى زمام يقود للسعادة . وقوام بالفتح أى عيش
يحيا به الأبرار (٤) الاكنان جمع كن بالكسر ما يستكن به . والدعة خفض العيش
وسعته . والمعاقل : الحصون . والحرز : الحفظ (٥) الصروم جمع صرمة بالكسر
وهى قطعة من الابل فوق العشرة إلى تسعة عشر أو فوق العشرين إلى الثلاثين
أو الأربعين أو الخمسين . والعشار - جمع عشار - بضم ففتح - كنفساء - وهى الناقة
مضى ليلها عشرة أشهر . وتعطيل جماعات الابل اهمالها من الرعى . والمراد أن يوم

فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ، وَتَبْكَمُ كُلُّ لَهْجَةٍ. وَتُذَكُّ الشَّمُ الشَّوَامِخُ^(١)،
وَالضَّمُّ الرَّوَاسِخُ. فَيَصِيرُ صَلْدُهَا سَرَابًا رَقْرَقًا^(٢)، وَمَعْهَدُهَا قَاعًا سَمَلَقًا.
فَلَا شَفِيعٌ يَشْفَعُ وَلَا حَمِيمٌ يَدْفَعُ، وَلَا مَعْدِرَةٌ تَنْفَعُ
وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بَعَثَهُ حِينَ لَا عِلْمَ قَائِمٌ^(٣). وَلَا مَنَارٌ سَاطِعٌ. وَلَا مَنَهْجٌ وَاضِحٌ.
أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ. وَأَحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا دَارُ شُخُوصٍ^(٤)،
وَمَحَلَّةٌ تَنْغِيصٍ. سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ. وَقَاطِنُهَا بَائِنٌ^(٥). تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيِّدَانُ
السَّفِينَةِ تَقْصِفُهَا الْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ الْبَحَارِ^(٦). فَمَنْهُمْ الْغَرَقُ الْوَبَقُ^(٧).

القيامة تهمل فيه نفائس الأموال لاشتغال كل شخص بنجاة نفسه (١) الشم - جمع
أنم - أى رفيع . والشامخ : المتسامى فى الارتفاع. والصم - جمع أصم - وهو الصلب
المصمت أى الذى لا تجويف فيه . والراسخ : الثابت (٢) الصلد : الصلب الأملس .
والسراب : ما يخيله ضوء الشمس كالماء خصوصا فى الأراضى السبخة وليس بماء .
والرقق - كجعفر - المضطرب ومعهدا المحل الذى كان يعهد وجودها فيه . والقاع :
ما اطمأن من الأرض . والسملق - كجعفر - المستوى أى تنسف تلك الجبال ويصير
مكانها قاعا صاففا أى مستويا (٣) الضمير فى بعثه للنبي صلى الله عليه وسلم (٤) الشخوص
الذهاب والانتقال إلى بعيد (٥) بائن : مبتعد منفصل (٦) تميد أى تضطرب اضطراب
السفينة . تقصفها أى تكسرهما الرياح الشديدة (٧) الوبق - بكسر الباء - الهالك
أى منهم من هلك عند تكسر السفينة ومنهم من بقيت فيه الحياة فخلص محمولا
على بطون الأمواج كأن الأمواج فى اتفاخها كالحيوان المنقلب على ظهره و بطنه

وَمِنْهُمْ النَّاجِي عَلَى بُطُونِ الْأَمْوَاجِ تَحْفِزُهُ الرِّيحُ بِأَذْيَالِهَا، وَتَحْمِلُهُ عَلَى
 أَهْوَالِهَا. فَمَا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرِكٍ، وَمَا نَجَّى مِنْهَا فَإِلَى مَهْلِكٍ
 عِبَادَ اللَّهِ الْآنَ فَاعْلَمُوا وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ، وَالْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ،
 وَالْأَعْضَاءُ لَدَنَةٌ^(١)، وَالْمُنْقَلَبُ فَيَسِيحُ، وَالْمَجَالُ عَرِيضٌ، قَبْلَ إِزْهَاقِ
 الْفُوتِ^(٢)، وَحُلُولِ الْمَوْتِ. فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ زُرُوهَ، وَلَا تَنْتَظِرُوا
 قُدُومَهُ.

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ^(٣)
 أَنِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ. وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي
 الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ^(٤)، وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا الْأَقْدَامُ

لأعلى : وتحفزه أى تدفعه. ومصير هذا الناجي أيضا إلى الهلاك بعد طول العناء (١) اللدن -
 بالفتح - اللين أى والأعضاء فى لين الحياة يمكن استعمالها فى العمل . والمنقلب - بفتح
 اللام - مكان الانقلاب من الضلال إلى الهدى فى هذه الحياة (٢) أرهقه الشئ : أعجله
 فلم يتمكن من فعله . والفوت ذهاب الفرصة بحلول الأجل (٣) المستحفظون - بفتح
 الفاء - اسم مفعول أى الذين أودعهم النبى صلى الله عليه وسلم أمانة سره وطالبهم
 بحفظها . ولم يرد على الله ورسوله : لم يعارضهما فى أحكامهما (٤) المواقف بالشئ
 الاشرار فيه فقد أشرك النبى فى نفسه ولا تكون بالمال الآن يكون كفافا فان أعطيت
 عن فضل فليس بمواساة قالوا والفصيح فى الفعل آسبته ولكن نطق الامام حجة

نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا^(١)

وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي .
وَلَقَدْ سَأَلْتُ نَفْسَهُ فِي كَفِّي فَأَمَرَتْهُا عَلَى وَجْهِ^(٢) . وَلَقَدْ وَلَيْتُ غُسْلَهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْمَلَائِكَةُ أَغْوَانِي ، فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالْأَفْنِيَّةُ^(٣)
مَلَأَ يَهْبِطُ وَمَلَأَ يَعْرُجُ وَمَا فَارَقْتُ سَمْعِي هَيْئَةً مِنْهُمْ^(٤) . يُصَلُّونَ عَلَيْهِ
حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرْبِهِ . فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيًّا وَمَيِّتًا ؟ فَأَنْفُذُوا عَلَيَّ
بَصَائِرِكُمْ^(٥) ، وَلْتَصَدَّقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ . فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
إِنِّي لَعَلَى جَادَةِ الْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَزَلَّةٍ الْبَاطِلِ^(٦) . أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يَعْلَمُ عَجِيجُ الْوُحُوشِ فِي الْفَلَوَاتِ ، وَمَعَاصِي الْعِبَادِ فِي الْخَلَوَاتِ ،
وَأَخْتِلَافُ النِّينَانِ فِي الْبِحَارِ الْغَامِرَاتِ^(٧) ، وَتَلَاطُمُ الْمَاءِ بِالرِّيَّاحِ الْبَاصِفَاتِ

(١) النجدة - بالفتح - الشجاعة. ونصبها هنا على المصدرية لفعل محذوف (٢) نفسه
دمه روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قاء في مرضه فتلقى قيأه أمير المؤمنين في يده
ومسح به وجهه (٣) ضجيج الدار كان بالملائكة النازلين والعارجين . والأفنية جمع
فناء - بكسر الفاء - ما اتسع أمام الدار (٤) الهينة الصوت الخفي (٥) البصيرة : ضياء
العقل كما أنه يقول فاذهبوا إلى عدوكم محولين على اليقين الذي لاربية فيه (٦) المزلة:
مكان الزلل الموجب للسقوط في الهلكة (٧) النينان - جمع نون - وهو الحوت

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا نَجِيبُ اللَّهِ ^(١) وَسَفِيرٌ وَخِيهِ وَرَسُولٌ رَحْمَتِهِ
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ ، وَإِلَيْهِ
يَكُونُ مَعَادُكُمْ ، وَبِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ ، وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ ،
وَنَحْوُهُ قَصْدُ سَبِيلِكُمْ ، وَإِلَيْهِ مَرَامِي مَفْرَعِكُمْ ^(٢) . فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ
دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ ، وَبَصَرُ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ ، وَشِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ ،
وَصَلَاحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ ، وَطَهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ ، وَجَلَاءُ عَسَا أَبْصَارِكُمْ
وَأَمْنُ فَرْعِ جَاشِكُمْ ^(٣) ، وَضِيَاءُ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ . فَاجْعَلُوا طَاعَةَ اللَّهِ
شِعَارًا دُونَ دِثَارِكُمْ ^(٤) ، وَدَخِيلًا دُونَ شِعَارِكُمْ ، وَلَطِيفًا بَيْنَ أَضْلَاعِكُمْ
وَأَمِيرًا فَوْقَ أُمُورِكُمْ ، وَمَنْهَلًا لِحَيْنِ وَرُودِكُمْ ^(٥) ، وَشَفِيعًا لِدَرْكِ طَلِبَتِكُمْ
وَجَنَّةً لِيَوْمِ فَرَغِكُمْ ، وَمَصَاصِيحَ لِبَطُونِ قُبُورِكُمْ ، وَسَكَنًا لِبَطُولِ
وَحْشَتِكُمْ ، وَهَسَاءَ لِكُرْبِ مَوَاطِنِكُمْ . فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ حِرْزٌ مِنْ
مَتَالِفٍ مُكْتَنَفَةٍ ، وَخَوَافَ مُتَوَقَّعَةٍ ، وَأَوَارٍ نِيرَانٍ مُوقَدَةٍ ^(٦) . فَمَنْ

(١) النجيب المختار المصطفى (٢) مرعى المفرع ما يدفع اليه الخوف وهو الملجأ أى واليه
ملاجئ : خوفكم (٣) الجأئى : ما يضطرب فى القلب عند الفرع أو التهب أو توقع
المكروه (٤) الشعار : ما يلى البدن من الثياب . والدثار : ما فوقه (٥) المنهل ما ترده
الشاربة من الماء للشرب . والدرك : بالتحريك - اللحاق . والطلبة - بالكسر -
المطلوب . والجنة - بالضم - الوقاية (٦) الأوار - بالضم - حرارة النار ولهبها

أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوبِهَا^(١)، وَأَخْلَوْتَ لَهُ الْأُمُورُ
بَعْدَ مَرَارَتِهَا ، وَأَنْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا ، وَأَسْهَلَتْ لَهُ
الصَّعَابُ بَعْدَ إِنْصَابِهَا^(٢) ، وَهَطَلَتْ عَلَيْهِ الْكَرَامَةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا ،
وَتَحَدَّبَتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا^(٣) ، وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ بَعْدَ
نُضُوبِهَا ، وَوَبَلَتْ عَلَيْهِ الْبَرَكَاتُ بَعْدَ إِرْذَاذِهَا

فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَعَعَّمُ بِمَوْعِظَتِهِ ، وَوَعَّظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ ، وَأَمَّنَّ
عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ . فَعَبِّدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ^(٤) ، وَأَخْرِجُوا إِلَيْهِ مِنْ
حَقِّ طَاعَتِهِ .

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْإِسْلَامَ دِينَ اللَّهِ الَّذِي أَصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ ، وَأَصْطَنَعَهُ عَلَى
عَيْنِهِ ، وَأَضْفَاهُ^(٥) خَيْرَةَ خَلْقِهِ ، وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ أَذَلَّ الْأَذْيَانِ
بِعِزَّتِهِ ، وَوَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِهِ ، وَأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكَرَامَتِهِ ، وَخَذَلَ

(١) عزبت بالزاي غابت وبعدت (٢) الانصاب مصدر بمعنى الانعاب (٣) تحدب عليه :
عطف. ونضب الماء نضوباً غار وذهب في الأرض. ونضوب النعمة: قتلها أو زوالها. ووبلت
السماء : أمطرت مطراً شديداً. وأردت - بتشديد الدال - ارذاذاً مطرت مطراً ضعيفاً
في سكون كأنه الغبار المتطاير (٤) فعبدوا أى فذلوا (٥) اصطناع الشيء على العين :
الأمْر بصنْعته تحت النظر خوف المخالفة في المطلوب من صنْعته ، والمراد هنا تشريع
الدين وتكميله على حسب علم الله الأعلى وتحت عنايته بحفظه . ووجه النجوز
ظاهر، وأضفاه العطاء وبه أخلص له وآثره به ، وخيرة - بفتح الباء - أفضل ما يضاف

مُحَادِّهِ بِنَصْرِهِ^(١) ، وَهَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلَالَةِ بِرُكْنِهِ . وَسَقَى مِنْ عَطِشٍ
 مِنْ حِيَاضِهِ ، وَأَتَّقَى الْحِيَاضَ بِمَوَاتِحِهِ^(٢) . ثُمَّ جَعَلَهُ لَا أَنْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ ،
 وَلَا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ ، وَلَا أَنْهْدَامَ لِأَسَاسِهِ ، وَلَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ ، وَلَا انْقِلَاعَ
 لِشَجَرَتِهِ ، وَلَا انْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ ، وَلَا عَفَاءَ لِشَرَائِعِهِ^(٣) ، وَلَا جَذَّ لِفُرُوعِهِ ،
 وَلَا ضَنْكَ لِطَرُقِهِ ، وَلَا وُعُوثَةَ لِسُهُولَتِهِ ، وَلَا سَوَادَ لَوَضْحِهِ ، وَلَا عَوَجَ
 لِانْتِصَابِهِ ، وَلَا عَصَلَ فِي عُودِهِ ، وَلَا وَعَثَ لِفَجِّهِ ، وَلَا أَنْطَفَاءَ لِمِصْبَاحِهِ ،
 وَلَا مَرَارَةَ لِحَلَاوَتِهِ ، فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاحٍ فِي الْحَقِّ أَسْنَاخَهَا^(٤) ، وَثَبَّتَ لَهَا
 أَسَاسَهَا وَيَتَابِعُ غَزْرَتَ عُيُونِهَا ، وَمَصَاصِيحُ شَبَّتْ نِيرَانُهَا ، وَمَنَارٌ
 اقْتَدَى بِهَا سَفَارُهَا^(٥) ، وَأَعْلَامُ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا ، وَمَنَاهِلُ رَوَى بِهَا
 وَرَادُهَا . جَعَلَ فِيهِ مُنْتَهَى رِضْوَانِهِ ، وَذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ ، وَسَنَامَ طَاعَتِهِ .

اليه أي وآثر هذا الدين بأفضل الخلق ليبلغه للناس (١) محاديه - جمع محاد - الشديد
 المخالفة . والركن : العز والمذعة (٢) تنق الخوض - كفرح - امتلاء . واناقه ملاءه .
 والمواتح - جمع مانح - نازع الماء من الخوض (٣) العفاء - كسحاب - الدروس
 والاضمة حلال . والجذ : القطع . والضنك : الضيق . والوعوثه : رخاوة في السهل تفرص
 بها الأقدام عند السير فيعسر المشي فيه . والوضح : محركة بياض الصبح . والعصل -
 بفتح الصاد - الاعوجاج يصعب تقويمه . ووعث الطريق : نعسر المشي فيه . والفجج :
 الطريق الواسع بين جبلين (٤) أساخ : أثبت . وأصل ساخ غاص في لين وخاض فيه .
 والأسناخ : الأصول . وغزرت : كثرت . وشبت النار : ارتفعت من الإيقاد (٥) المنار :
 حاررت لوضع عليه نار يهتدى إليها . والسفار - بعضهم قد شديدا - نزل السفر أي يهتدى به .

فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَثِيقُ الْأَزْكَانِ، رَفِيعُ الْبُنْيَانِ، مُنِيرُ الْبُرْهَانِ، مُضِيءُ
النُّورِ، عَزِيزُ السُّلْطَانِ، مُشْرِفُ الْمَنَارِ^(١) مُعَوِّزُ الْمَنَارِ. فَشَرُّوهُ
وَاتَّبِعُوهُ، وَأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ، وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ. ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا الْإِنْقِطَاعُ، وَأَقْبَلَ مِنَ
الْآخِرَةِ الْإِطْلَاعُ^(٢). وَأَظْلَمَتْ بِهِجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاقِ^(٣)، وَقَامَتْ بِأَهْلِهَا
عَلَى سَاقٍ. وَخَشَنَ مِنْهَا مِهَادُ، وَأَزِفَ مِنْهَا قِيَادُ. فِي انْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَا،
وَأَقْتَرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا^(٤)، وَتَصَرُّمٍ مِنْ أَهْلِهَا، وَأَنْفِصَايِمٍ مِنْ حَلَقَتِهَا،
وَأَنْتِشَارٍ مِنْ سَبَبِهَا، وَعَفَاءٍ مِنْ أَعْلَامِهَا، وَتَكْشُفٍ مِنْ عَوْرَاتِهَا،
وَقِصَرٍ مِنْ طُولِهَا. جَعَلَهُ اللَّهُ بَلَاغًا لِرِسَالَتِهِ، وَكَرَامَةً لِأُمَّتِهِ،
وَرَبِيعًا لِأَهْلِ زَمَانِهِ، وَرِفْعَةً لِأَعْوَانِهِ، وَشَرَفًا لِأَنْصَارِهِ

إليه المسافرون في طريق الحق . والأعلام . ما يوضع على أوليات الطرق أو أوساطها
ليدل عليها فهو هدايات بسببها قصد السالكون طرقها (١) مشرف المنار : مرتفعه
وأعوزه الشيء : احتاج إليه فلم ينله . والمنار مصدر من ثار النصار إذا هاج أى لوطلب
أحد إثارة هذا الدين لما استطاع لثباته (٢) الاطلاع : الاتيان اطلع فلان علينا أى
أنانا (٣) الضمير في بهجتها للدنيا . وقامت بأهلها على ساق أى أفرغتهم . وخشونة
المهاد : كناية عن شدة آلامها . وأزف - كفرح - أى قرب ، والمراد من القيادة انقيادها
للزوال (٤) الأشرط جمع شرط - كسب - أى علامات انقضاءها . والتصرم : التقطع .
والانقسام : الانقطاع . وإذا انقسمت الحلقة انقطعت الرابطة . وانتشار الأسباب تبديدها

ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ نُورًا لَا تَطْفَأُ مَصَابِيحُهُ ، وَسِرَاجًا لَا يَخْبُو
تَوْقُدهُ^(١) ، وَبَحْرًا لَا يُدْرِكُ قَعْرُهُ ، وَمِنْهَا جَا لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ^(٢) ، وَشُعَاعًا
لَا يُظْلِمُ ضَوْؤُهُ ، وَفُرْقَانًا لَا يَحْمَدُ بُرْهَانُهُ ، وَتَبَيَّنَا لَا تُهْدِمُ أَرْكَانُهُ
وَشِفَاءً لَا تُخْشَى أَسْقَامُهُ ، وَعِزًّا لَا تُهْزِمُ أَنْصَارُهُ ، وَحَقًّا لَا تُخْذَلُ
أَعْوَانُهُ . فَهُوَ مَعْدِنُ الْإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ^(٣) ، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَبُحُورُهُ ،
وَرِيَاضُ الْعَدْلِ وَغُدْرَانُهُ^(٤) ، وَآثَافُ الْإِسْلَامِ وَبُيَّانُهُ ، وَأَوْدِيَةُ الْحَقِّ
وَعِيطَانُهُ^(٥) . وَبَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ^(٦) ، وَعُيُونٌ لَا يَنْصِبُهَا الْمَاتِحُونَ
وَمَنَاهِلٌ لَا يَغِيضُهَا الْوَارِدُونَ ، وَمَنَازِلٌ لَا يَضِلُّ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ ،
وَأَعْلَامٌ لَا يَعْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ وَآكَامٌ لَا يَجُوزُ عَنْهَا^(٧) الْقَاصِدُونَ .

حتى لانضبط . وعفاء الاعلام اندراسها (١) خبت النار : طفت (٢) النهج : الطريق
الواسع . والنهج هنا السلوك . ويضل رباعى أى لا يكون من سلوكه اضلال (٣) بحبوحة
المكان : وسطه (٤) الرياض جمع روضة وهي مستنقع الماء في رمل أو عشب .
والغدران جمع غدير وهو القطعة من الماء بغادرها السيل . والمراد أن الكتاب
يجمع العدالة تلتقي فيه متفرقاتها . والآثافي جمع أنفية الحجر يوضع عليه القدر
أى عليه مقام الاسلام (٥) غيطان الحق - جمع غاط أو غوط - وهو المظمن من الأرض
أى أن هذا الكتاب منابت طيبة يزكو بها الحق وينمو (٦) لا ينزفه أى لا يفتى ماؤه
ولا يستفرغه المغترفون ولا ينضبها - كسكرها - أى ينقصها . والماتحون - جمع ماتح
نازع الماء من الحوض . والمناهل : مواضع الشرب من النهر . ولا يغيضها من أغاض
الماء نقصه (٧) آكام - جمع أكمة - وهو الموضع يكون أشد ارتفاعا عما حوله وهو
دون الجبل في غلط لا يبلغ أن يكون حجراً . فطرق الحق تنتهى إلى أعالي هذا الكتاب

جَمَعَهُ اللَّهُ رِيًّا لِمَطَشِ الْعُلَمَاءِ ، وَرِيْعًا لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ ، وَحَاجًّا لِمَطْرُقِ
 الصُّلَحَاءِ ، وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ ، وَنُورًا لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ وَحَبْلًا وَثِيقًا
 عُرْوَتُهُ ، وَمَعْقَلًا مَنِيعًا ذُرْوَتُهُ ، وَعِزًّا لِمَنْ تَوَلَّاهُ ، وَسِلْمًا لِمَنْ دَخَلَهُ ،
 وَهُدًى لِمَنْ اتَّخَمَ بِهِ ، وَعُذْرًا لِمَنْ انْتَحَلَهُ ، وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ ،
 وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ ، وَفَلَجًا لِمَنْ حَاجَّ بِهِ ^(١) ، وَحَامِلًا لِمَنْ سَمَحَهُ ،
 وَمَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ ، وَجَنَّةً لِمَنْ أَسْتَلَّامَ ^(٢) . وَعِلْمًا
 لِمَنْ وَعَى ، وَحَدِيثًا لِمَنْ رَوَى ، وَحُكْمًا لِمَنْ قَضَى
 وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُوصِي بِهِ أَصْحَابَهُ

تَمَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلَاةِ وَحَافِظُوا عَلَيْهَا ، وَاسْتَكْبِرُوا مِنْهَا ، وَتَقَرَّبُوا
 بِهَا ، فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا . أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ
 أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا : « مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ؟ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنْ
 الْمُصَلِّينَ » وَإِنَّهَا لَتَحْتَ الذُّنُوبِ حَتَّى الْوَرَقِ ^(٣) ، وَتُطْلِقُهَا إِطْلَاقُ الرُّبْقِ ^(٤)

وعندها ينقطع سبر السائرين اليه لا يتجاوزها والمتجاوز هالك . والحاج - جمع
 محجة - وهي الجادة من الطريق (١) الفلج - بالفتح (٢) - الظفر والفوز (٣) الجنة -
 بالضم - ما به يتقى الضرر . واستلَّام أى لبس اللأمة وهي الدرع أو جميع أدوات الحرب
 أى أن من جعل القرآن لأمة حربا لمدافعة الشبه والنوق من الضلالة كان القرآن
 وقاية له (٣) حَتَّى الْوَرَقِ عن الشجرة : قشره (٤) الربق - بالكسر - حبل فيه عدة

وَسَبَّهَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْحِمَةِ^(١) تَكُونُ عَلَى بَابِ
الرَّجُلِ فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى
عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ . وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا زَجَّالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا تَشْغَلُهُمْ
عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ وَلَا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلَا مَالٍ . يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ «رِجَالٌ
لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ»
وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَصِيبًا بِالصَّلَاةِ^(٢) بَعْدَ التَّبَشِيرِ لَهُ
بِالْجَنَّةِ لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ « وَأُمِرُ أَهْلُكَ بِالصَّلَاةِ وَأُصْطَبِرُ عَلَيْهَا »
فَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ وَيَصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ

ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلَاةِ قُرْبَانًا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فَمَنْ أَعْطَاهَا
طَيَّبَ النَّفْسَ بِهَا فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كِفَارَةً ، وَمِنْ النَّارِ حِجَارًا وَوَقَايَةً .
فَلَا يُتَبِعُهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ^(٣) ، وَلَا يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهْفَهُ . فَإِنْ مَنْ أَعْطَاهَا
غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ
مَغْبُونٌ الْأَجْرِ . صَالُ الْعَمَلِ . طَوِيلُ النَّدَمِ

عرى كل منها ربة أى اطلاق الحبل عن ربطه فكان الذنوب ربق فى الاعناق والصلاة
نفسها منه (١) الحمة - بالفتح - كل عين تنبع بالماء الحار يستشفى بها من العلل .
والدرن : الوسخ . روى فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أيسر أحدكم
أن يكون على بابه حمة يغتسل منها كل يوم خمس مرات فلا يبقى من درنه شيء ؟
قالوا نعم ، قال انها الصلوات الخمس (٢) نصبا - بفتح فكسر - أى نعبا (٣) أى من

ثُمَّ آدَاءَ الْأَمَانَةِ ، فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا . إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى
السَّمَوَاتِ الْمَبْنِيَّةِ ، وَالْأَرْضِينَ الْمَدْحُورَةِ ^(١) ، وَالْجِبَالِ ذَاتِ الطُّوْلِ
الْمَنْصُوبَةِ ، فَلَا أَطْوَلَ وَلَا أَعْرَضَ وَلَا أَعْلَى وَلَا أَكْثَرَ مِنْهَا . وَلَوْ أُمْتَنَعَ
شَيْءٌ بِطَوْلٍ أَوْ عَرْضٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لَأَمْتَنَنَّ ، وَلَكِنْ أَشْفَقْنَا مِنْ
الْعُقُوبَةِ ، وَعَقَلْنَا مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُمْ وَهُوَ الْإِنْسَانُ « إِنَّهُ كَانَ
ظَلُومًا جَهُولًا »

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ
وَنَهَارِهِمْ ^(٢) . لَطُفَ بِهِ خُبْرًا ، وَأَحَاطَ بِهِ عِلْمًا ، أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودٌ ،
وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودٌ ، وَضَمَائِرُكُمْ عُيُونٌ ، وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانٌ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَاللَّهُ مَا مُعْلَوِيَةٌ بِأَذَى مِنِّي وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ . وَلَوْ لَا كَرَاهِيَةُ
الْفَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَذَى النَّاسِ ؛ وَلَكِنْ كُلُّ غَدْرَةٍ فَجْرَةٌ ، وَكُلُّ
فَجْرَةٍ كَفْرَةٌ . وَلِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَاللَّهُ مَا اسْتَفْلُ

أعطى الزكاة فلان ذهب نفسه مع ما أعطى تعلقاً به ولفاً عليه . ومغبون الأجر : منقوصه
(١) المدحورة : المبسوطة (٢) مقترفون أى مكتسبون . والخبر بضم الخاء العلم والله لطيف
العلم بما يكسبه الناس أى دقيقه كأى أنه ينفذ سرأثرهم كما ينفذ لطيف الجواهر فى مسام

بِالْمَكِيدَةِ ، وَلَا أُسْتَعْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ ^(١)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقِلَّةِ أَهْلِهِ ؛ فَإِنَّ النَّاسَ
 قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ شَبَعَهَا قَصِيرٌ ^(٢) ، وَجُوعُهَا طَوِيلٌ
 أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَاءُ وَالسُّخْطُ ^(٣) . وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةٌ
 ثَمُودَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَعَمَّهمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمَّوهُ بِالرِّضَا فَقَالَ سُبْحَانَهُ :
 «فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ» فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْحَسْفَةِ ^(٤)
 خَوَارَ السَّكَّةُ الْمُخَمَّاةُ فِي الْأَرْضِ الْخَوَّارَةِ
 أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَّ الْمَاءَ ، وَمَنْ خَالَفَ
 وَقَعَ فِي التَّيَّةِ

الأجسام بل هو أعظم من ذلك. والعيان - بكسر العين - المعاينة والمشاهدة (١) لا أستعمر
 مبنى للمجهول أى لا أستضعف بالقوة الشديدة . والمعنى لا يستضعفنى شديد القوة .
 والعز: محركة - الرجل الضعيف (٢) المائدة هى مائدة الدنيا فلا تفرنكم رغباتها فننضم
 بكم مع الضالين فى محبتها فذلك متاع قليل (٣) أى يجمعهم فى استحقاق العقاب
 فان الراضى بالمنكر كفاعله ومن لم يبه عنه فهو به راض (٤) خارت : صوت كخوار
 الثور . والسكة المحماة حديدة المخرات إذا أجمت فى النار فهى أسرع غوراً فى الأرض
 الخوارة أى السهلة اللينة ، وقد يكون لها صوت شديد إذا كان فى الأرض شئ من جنود

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عِنْدَ ذِمِّ سَيِّدَةِ النِّسَاءِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِّي وَعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ
وَالسَّرْبَةِ اللَّحَاقِ بِكَ . قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي ، وَرَقَّ عَنْهَا
تَجَلَّدِي . إِلَّا أَنْ لِي فِي التَّأْسَى بِمَعْظِيمِ فُرْقَتِكَ ^(١) ، وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ
مَوْضِعَ تَمَزٍّ . فَلَقَدْ وَسَدْتُكَ فِي مَلْجُودَةِ قَبْرِكَ ، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي
وَصَدْرِي نَفْسُكَ . إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِمُونَ . فَلَقَدْ أَسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةَ ،
وَأَخَذَتِ الرَّهِيْنَةَ . أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ ، وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ ^(٢) . إِلَى أَنْ
يَخْتَارَ اللَّهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ . وَسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ
عَلَى هَضْمِهَا ^(٣) . فَأَحْفَهَا السُّؤَالَ وَاسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ . هَذَا وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ .
وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمَا سَلَامٌ مُودَعٌ لَا قَالٍ وَلَا
سَمٍّ ^(٤) . فَإِنْ أَنْصَرَفَ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ . وَإِنْ أَقَمَ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا
وَعَدَ اللَّهُ الصَّابِرِينَ

النبات ، يشبه الصوت كلما اشتدت السحرة (١) يريد بالتأسي الاعتسار بالمثل المتقدم .
والفادح : المنقل . والتعزى : التصبر . وملجودة القبر : الجهة المشقوفة منه (٢) ينقصي
بالسهاد وهو السهر (٣) هضمها : ظامها . واحفاء السؤال : الاستقصاء فيه (٤) القالى :

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ ^(١) وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ ، فَخُذُوا مِنْ
مَرٍّ كُمْ لِمَقَرٍّ كُمْ . وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ .
وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ . فَفِيهَا
أُخْتَبِرْتُمْ ، وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ . إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكَ
رَنَاتِ الْمَلَائِكَةِ مَا قَدَّمَ . لِلَّهِ آبَاؤُكُمْ فَقَدِّمُوا بَعْضًا يَكُنْ لَكُمْ
قَرَضًا وَلَا تُخَلِّفُوا كَلًّا فَيَكُونَ عَلَيْكُمْ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كَانَ كَثِيرُ مَا يَأْدِي بِهِ أَصْحَابُهُ

تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ . وَأَقِلُّوا الْعُرْجَةَ
عَلَى الدُّنْيَا ^(٢) . وَأَنْقَلِبُوا بِصَالِحٍ مَا يَحْضُرُكُمْ مِنَ الزَّادِ فَإِنَّ أَمَامَكُمْ
عَقَبَةً كَثُودًا ، وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً لَا بُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا وَالْوُقُوفِ
عِنْدَهَا . وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَلَاحِظَ الْمَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَانِيَةٌ ^(٣) . وَكَأَنَّكُمْ

المبغض . والسَّم من السَّامة (١) أى عمر إلى الآخرة (٢) العرجة - بالضم - اسم من التعريج
بمعنى حبس المطية على المنزل أى اجعلوا ركونكم إليها قليلا . والكثود : الصعبة
المرتفعة (٣) ملاحظ المنية : منبعث نظرها . ودانية : قريبة . ونبت : علفت بكم

عَمَّا لَهَا وَقَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ ، وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْظِعَاتُ الْأُمُورِ
وَمُفْضِلَاتِ الْمَحْذُورِ . فَقَطِّعُوا عِلَاقَ الدُّنْيَا ، وَاسْتَظْهِرُوا بِرَادِ التَّقْوَى^(١)
(وَقَدْ مَضَى شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ فِيمَا تَقَدَّمَ بِخِلَافِ هَذِهِ الرَّوَايَةِ)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كَلَّمَ بِهِ طُلُقَةَ وَالزَّبِيرَ بَعْدَ بَيْعَتِهِ بِالْخِلَافَةِ

وَقَدْ عَتَبَا مَنْ تَرَكَ مَشُورَتَهُمَا وَالِاسْتِعَانَةَ فِي الْأُمُورِ بِهِمَا

لَقَدْ نَقِمْتُمَا يَسِيرًا^(٢) وَأَرْجَأْتُمَا كَثِيرًا . أَلَا تُخْبِرَانِي أَيُّ شَيْءٍ لَكُمَا
فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ ، وَأَيُّ قَسَمٍ اسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ ، أَمْ أَيُّ
حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَمَفْتُ عَنْهُ أَمْ جَهَلْتُهُ ، أَمْ أَخْطَأْتُ بِأَبَةٍ
وَاللَّهِ مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلَافَةِ رَغْبَةٌ ، وَلَا فِي الْوِلَايَةِ إِزْبَةٌ^(٣) .
وَلَكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا . فَلَمَّا أَفْضْتُ إِلَيَّ نَظَرْتُ

إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا وَأَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ ، وَمَا اسْتَسَنَّ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَاتَّقَدَيْتُهُ . فَلَمْ أُحْتَجْ فِي ذَلِكَ إِلَى
رَأْيِكُمَا وَلَا رَأْيِ غَيْرِكُمَا ، وَلَا وَقَعَ حُكْمٌ جَهْلْتُهُ فَأَسْتَشِيرَ كُمَا

(١) استظهروا : استعينوا (٢) نقمنا أي غصبنا ليسير ، وأخرنا بما يرضيكم كثيرا

لم تنظرا اليه (٣) الاربة - بكسر - الغرض والطلبه

وَإِخْوَانِي الْمُسْلِمِينَ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمْ وَلَا عَنْ غَيْرِكُمْ.
وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الْأُسُوءَةِ^(١) فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَخْكُمُ أَنَا فِيهِ
بِرَأْيِي وَلَا وَلِيَّتُهُ هَوَى مَنِي. بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، فَلَمْ أَخْتِجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا فَرَعَ
اللَّهُ مِنْ قَسَمِهِ وَأَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ. فَلَيْسَ لَكُمْ وَاللَّهُ عِنْدِي وَلَا
لِغَيْرِكُمْ فِي هَذَا عُتْبَى. أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَالْأَهْمَنَّا
وَأَيَّاءُكُمْ الصَّبْرَ

(ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ) رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا رَأَى حَقًّا فَأَعَانَ عَلَيْهِ، أَوْ
رَأَى جَوْرًا فَرَدَّهُ وَكَانَ عَوْنًا بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ
وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدْ سَمِعَ قَوْمًا مِنْ أَصْحَابِ يَسْبُونَ أَهْلَ الشَّامِ أَيَّامَ حَرِّهِمْ بِصَفَيْنَ

إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ، وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ
أَعْمَالَهُمْ وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ كَانَ أَصُوبَ فِي الْقَوْلِ وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ،
وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ أَيَّاهُمْ. اللَّهُمَّ أَحْقِنِ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ، وَأَصْلِحْ

(١) الاسوءة ههنا التسوية بين المسلمين في قسمة الأموال، وكان ذلك قد أغضبهما

ذَاتَ يَنِينَا وَيَنِينِهِمْ ، وَأَهْدِيهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مِنْ جِهَلِهِ
وَيَرْغَبُوا عَنِ الْغَىِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهَجَ بِهِ ^(١)

وقال عليه السلام في بعض أيام صفين
وقد رأى الحسن عليه السلام تشيع إلى الحرب

أَمْلِكُوا عَنِّي هَذَا الْغُلَامَ لَا يَهْدِنِي ^(٢) ، فَإِنِّي أَنَفْسُ بِهِدَيْنٍ (يعني
الحسن والحسين عليهما السلام) عَلَى الْمَوْتِ لِكَلَّا يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ
وَسُورِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمْلِكُوا عَنِّي
هَذَا الْغُلَامَ مِنْ أَعْلَى الْكَلَامِ وَأَفْصَحِهِ)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
قَالَ لَمَّا اضْطَرَبَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ فِي أَمْرِ الْحُكُومَةِ

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَى مَا أُجِيبُ حَتَّى نَهَيْتُكُمْ
الْحَرْبُ ^(٣) ، وَقَدْ وَاللَّهِ أَخَذْتُ مِنْكُمْ وَتَرَكْتُ ، وَهِيَ لِعِدْوُكُمْ أَنَهَاكُمُ.

(١) اذرعوا : التزوع عن الغي والرجوع عن وجه الخطأ . ولهج به أى أولع به
(٢) املكوا أى اخدموه بالشدّة وأمسكوه لئلا يهتدي أى يهديني ويقوض أركان قوتي بموته
في الحرب ، ونفس به - كفرح - أى ضن به ، أى أبخل بالحسن والحسين على الموت (٣) نهكته
الجهي : أضعفته وأضلته ، أى كنتم مطيعين حتى أضعفتكم الحرب فجئتم مع أنها في غيركم
أنت تأثروا . وقد ألزمتهم بقبول التحكيم فالتزموا بما جرتهم فكأنهم أمروهم ونهوه فامتثل لهم

لَقَدْ كُنْتُ أَمْسٍ أَمِيرًا فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُورًا . وَكُنْتُ أَمْسٍ
نَاهِيًا فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَنِيًّا . وَقَدْ أَحْبَبْتُمُ الْبَقَاءَ وَلَيْسَ لِي أَنْ أُحْمِلَكُمُ
عَلَيَّ مَا تَكْرَهُونَ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد بحارثي
وهو من أصحابه يعودُه فلما رأى سقدهاره قال

مَا كُنْتُ تَصْنَعُ بِسَعَةِ هَذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا . أَمَا أَنْتَ إِلَيْهَا فِي
الْآخِرَةِ كُنْتَ أَخْوَجَ ، وَبَلَى إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ تَقْرَى فِيهَا
الضَّيْفَ وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ ، وَتُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا ^(١) ، فَإِذَا
أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ

فَقَالَ لَهُ الْعَلَاءُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَشْكُو إِلَيْكَ أَخِي عَاصِمَ بْنَ زِيَادٍ ، قَالَ
وَمَالَهُ ؟ قَالَ لَيْسَ الْعِبَاءَةُ وَتَحُلَّى عَنِ الدُّنْيَا . قَالَ عَلَى بِهِ . فَلَمَّا جَاءَ قَالَ :
يَا عُدَيَّ نَفْسِيهِ ^(٢) لَقَدْ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَيْثُ ، أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ .

(١) أطلع الحق مطلعُه : أظهره حيث يجب أن يظهر (٢) عدى - تصغير عدو -
وفي هذا الكلام بيان أن لذات الدنيا لا تبعد العبد عن الله لطبيعتها ولكن لسوء
القصد فيها

أَتَرَى اللَّهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا؟ أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى
اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا أَنْتَ فِي خُسُونَةٍ مَلْبَسِكَ
وَجُسُوبَةٍ مَا كَلِمِكَ . قَالَ :

وَيَحْكُمُ إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ ، إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَى أَيْمَةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا
أَنْفُسَهُمْ بِضَعْفَةِ النَّاسِ كَيْلَا يَتَّبِعَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ^(١)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدْ سَأَلَهُ سَاعِلٌ عَنْ أَحَادِيثِ الْبَيْعِ وَعَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ
مِنْ اخْتِلَافِ الْخَبَرِ^(٢) ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلًا . وَصِدْقًا وَكَذِبًا . وَنَاسِيحًا وَمَنْسُوحًا
وَعَامًّا وَخَاصًّا . وَمُحْكَمًا وَمُتَشَابِهًا . وَحِفْظًا وَوَهْمًا . وَلَقَدْ كَذَبَ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيبًا فَقَالَ :

(١) يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ أَيْ يَقْبِسُوا أَنْفُسَهُمْ بِالضَعْفَاءِ لِيَكُونُوا قُدُوةً لِلْعَنِيِّ فِي
الْاِقْتِصَادِ وَصَرَفِ الْأَمْوَالِ فِي وَجْهِ الْخَيْرِ وَمَنَافِعِ الْعَامَّةِ وَتَسْلِيَةِ الْفَقِيرِ عَلَى فَقْرِهِ
حَتَّى لَا يَتَّبِعَ أَيْ يَهِيِجَ بِهِ أَلَمَ الْفَقْرِ فِيهِلِكَ . وَقَدْ رَوَى الْمَعْنَى بِتَمَامِهِ بَلْ بِأَكْثَرِ تَفْصِيلٍ
عَنْهُ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ فِي عِبْرَةِ أُخْرَى (٢) الْخَبَرُ الْحَدِيثُ الْمُرَوَّى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

« مَنْ كَذَبَ عَلَى مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ »

وَإِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ:

رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلْإِيمَانِ ، مُتَصَنِّعٌ بِالْإِسْلَامِ لَا يَتَأَنَّمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ^(١) ، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُتَعَمِّدًا ، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَأَى وَسَمِعَ مِنْهُ وَلَقِيَ عَنْهُ^(٢) فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللَّهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ السَّلَامُ فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَيْمَةِ الضَّلَالَةِ وَالِدُعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ ، فَوَلَّوهُمْ الْأَعْمَالَ وَجَعَلُوهُمْ حُكَّامًا عَلَى رِقَابِ النَّاسِ ، وَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا . وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَالِدُّنْيَا لِأَمْنِ عَصَمِ اللَّهِ فَهُوَ^(٣) أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ^(٤) وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ شَيْئًا لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ فَوَهِمَ فِيهِ^(٥) وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِبًا فَهُوَ فِي يَدَيْهِ وَيَرْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ وَيَقُولُ أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهِمَ فِيهِ لَمْ

(١) لَا يَتَأَنَّمُ أَي لَا يَخْجَفُ الْإِيمَانُ ، وَلَا يَتَحَرَّجُ لَا يَخْشَى الْوُقُوعَ فِي الْحَرَجِ وَهُوَ الْحَرَمُ

(٢) تَنَاوَلُ وَأَخَذَ عَنْهُ (٣) فَهُوَ أَي مِنْ عَصَمِ اللَّهِ أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ وَهُوَ خَيْرُهُمُ الرَّابِعُ

(٤) وَهُمْ : غُلَطٌ وَأَخْطَا

(٥) فِي نَسْخَةٍ : هَذَا أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ

يَقْبَلُوهُ مِنْهُ ، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذَلِكَ لَرَفَضَهُ

وَرَجُلٌ ثَالِثٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَيْئًا يَأْمُرُ بِهِ ثُمَّ نَهَى عَنْهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، فَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ ، وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ

وَأَخْرَجُ رَابِعٌ لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ ، مُبْنِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ وَتَعْظِيمًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَمْ يَهْمُ^(١) ، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى مَا سَمِعَهُ لَمْ يَرِذْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ ، فَحَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ ، وَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ^(٢) ، وَعَرَفَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ ، وَعَرَفَ الْمُتَشَابِهَ وَمُنْحَكَمَهُ^(٣) .

وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْكَلَامُ لَهُ وَجْهَانِ : فَكَلَامٌ خَاصٌّ وَكَلَامٌ عَامٌّ ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنِ اللَّهِ بِهِ وَلَا مَا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ

(١) لم يهْم أي لم يخطئ. ولم يظن خلاف الواقع (٢) جنب أي تجنب (٣) أي عرف المتشابه من الكلام وهو ما لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم. وعكم الكلام

وَيُوجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ وَمَا قَصِدَ بِهِ وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ . وَلَيْسَ
 كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ
 حَتَّى أَنْ كَانُوا يُحِبُّونَ أَنْ يَحْيَى الْأَعْرَابِيَّ وَالطَّارِيَّ فَيَسْأَلَهُ عَلَيْهِ
 السَّلَامُ حَتَّى يَسْمَعُوا . وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِمِنْ ذَلِكَ شَيْءٍ إِلَّا سَأَلَتْ عَنْهُ
 وَحَفِظَتْهُ . فَهَذِهِ وَجُوهٌ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلَافِهِمْ وَعَلَيْهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ
 وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَكَانَ مِنْ أَقْدَارِ جَبَرُوتِهِ وَبَدِيعِ لَطَائِفِ صَنَعَتِهِ أَنْ جَمَلَ مِنْ مَاءِ
 الْبَحْرِ الزَّائِرِ الْمُتَرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ يَبَسًا جَامِدًا^(١) . ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ
 أَطْبَاقًا^(٢) فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَوَاتٍ بَعْدَ ارْتِفَاقِهَا فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ ، وَقَامَتْ
 عَلَى حَدِّهِ . وَأَرَسَى أَرْضًا يَحْمِلُهَا الْأَخْضَرُ الْمُتَعَنِّجُ وَالْقَمَقَامُ الْمُسَخَّرُ^(٣) .

أى صريحه الذى لم ينسخ (١) زخر البحر - كنع - وزخوراً ، ونزخر :
 طوى وامتلاء . والمتقاصف : المتراحم كان أمواجه فى تراجها يقصف بعضها
 بعضاً أى يكسره . واليابس - بالتحريك - اليابس (٢) فطر منه أى من اليس . والاطباق
 طبقات مختلفة فى تركيبها إلا أنها كانت رتقا يتصل بعضها ببعض ففتقها سبعاً وهى
 السموات وقف كل منها حيث مكنه الله على حسب ما أودع فيه من السر الحافظ له
 فاستمسكت بأمر الله التكوينى ، وقامت على حده أى حده الأمر الإلهى ، وليس المراد
 من البحر هذا الذى نعرفه ولكن مادة الأجرام قبل تكاثفها قائما كانت ماثرة ماثجة
 أشبه بالبحر بل هى البحر الأعظم (٣) المراد من الأخضر الحامل للأرض هو البحر .

قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ ، وَأَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ ، وَوَقَفَ الْجَارِي مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ . وَجَبَلَ
جَلَامِيدَهَا^(١) وَنَشُوزَ مُتُونِهَا وَأَطْوَادِهَا . فَأَرَسَاهَا فِي مَرَاسِيهَا . وَالزَمَهَا
قَرَارَتَهَا فَمَضَتْ رُؤُوسُهَا فِي أَلْهَوَاءَ ، وَرَسَتْ أَصُولُهَا فِي الْمَاءِ . فَأَنهَدَ
جِبَالَهَا عَنْ سُهُولِهَا^(٢) ، وَأَسَاخَ قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا وَمَوَاضِعِ
أَنْصَابِهَا . فَأَشْهَقَ قِلَالَهَا^(٣) ، وَأَطَالَ أَنْشَارَهَا^(٤) . وَجَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَادًا ،
وَأَرَزَهَا فِيهَا أَوْتَادًا فَسَكَنْتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا^(٥) أَوْ

والمعنجر - بفتح الجيم - معظم البحر وأكثر مواضعه ماء ، وبكسر الجيم هو السائل
مطلقاً من ماء أو دمع . والقمقام - بفتح القاف وتضم - البحر أيضاً ، وهو مسخر
لقدرته الله تعالى . وحله للأرض احاطته بها كأنها قارة فيه (١) جبل : خلق . والجلاميد
الصخور الصلبة . والنشوز : جمع نشر - بسكون الشين وفتحها وفتح النون - ما ارتفع
من الأرض . والمتون : جمع متن : ماصب منها وارتفع . والأطواد عطف على المتون
وهي عظام النائنات . وقرارتها ما استقرت فيه كمراسيها ما رست أي رسخت فيه (٢) قوله
فأنهد الخ : كأن النشوز والمتون والأطواد كانت في بداية أمرها على ضخامتها غير
ظاهرة الامتياز ولا شاحخة الارتفاع عن السهول حتى إذا ارتجت الأرض بما أحدثت
يد القدرة الإلهية في بطونها نهدت الجبال عن السهول فانفصلت كل الانفصال وامتازت
بقواعد سائخة أي غائصة في المتون من أقطار الأرض . ومواقع الانصاب : جمع نصب
- بضمين - وهو ما جعل علماً يشهد فيقصد ، فإن الجبال إنما نشأحت من مرتفع الأرض
وصلبها (٣) قلة الجبل أعلاه . وأشهقها جعلها شاهقة أي بعيدة الارتفاع (٤) أطال
أنشازها أي مد متونها المرتفعة في جوانب الأرض . وأرزها - بالتشديد : ثبتها (٥) أي
أن الأرض على حركتها المخصوصة بها سكنت عن أن تميد أي تضرب بأهلها وتزلزل
بهم إلاما يشاء الله في بعض مواضعها لبعض الأسبل . وتسيخ - كنسوخ - أي تقوص

تَسِيخَ بِحِمْلِهَا أَوْ تَرْوُلَ عَنْ مَوَاضِعِهَا . فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوْجَانِ
مِيَاهِهَا ، وَأَجَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةٍ أَكْبَفِهَا . فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَادًا ^(١) ، وَبَسَطَهَا
لَهُمْ فِرَاشًا فَوْقَ بَحْرِ لُجِّيٍّ رَاكِدٍ لَا يَجْرِي ^(٢) ، وَقَائِمٍ لَا يَسْرِي .
تُكْرِكُهُ الرِّيحُ الْعَوَاصِفُ ^(٣) . وَتَخُضُّهُ الْعَمَامُ الذَّوَارِفُ « إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى »

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِزَةِ ،
وَالْمُصْلِحَةَ فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا
النُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ ، وَالْإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ ، فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ
عَلَيْهِ بِأَكْبَرِ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً ^(١) . وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَنْ أَسْكَنَتْهُ
أَرْضُكَ وَسَمَوَاتُكَ ، ثُمَّ أَنْتَ بَعْدُ الْمُغْنَى عَنْ نُصْرِهِ وَالْآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ

في الهواء فتتخفف. وزوالها عن مواضعها: تحوّلها عن مركزها المعين لها (١) المهاد الفلش
وما نهيه لنوم العبي (٢) لايسل في الهواء (٣) تكرر: تذهب به وتعود. وشبه
اشتغال السحاب على خلاص ماء البحر وهو بخاره بمخضها له كأنه لين تخرج زبدته .
والذوارف: جمع ذارفة، من ذرف الدمع إذا سال (٤) أكبر الشاهدين هو النبي
صلى الله عليه وسلم أو القرآن

وَمِنْ حُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ عَنْ شَبَهِ الْمَخْلُوقِينَ^(١) ، الْغَالِبِ لِمَقَالِ الْوَاصِفِينَ .
الظَّاهِرِ بِمَجَابِبِ تَذْيِيرِهِ لِلنَّاطِرِينَ ، الْبَاطِنِ بِجَلَالِ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ
الْمُتَوَهِّمِينَ . الْعَالِمِ بِلَا أَكْتِسَابٍ وَلَا أَزْدِيَادٍ وَلَا عِلْمٍ مُسْتَفَادٍ ، الْمُقَدِّرِ
لِجَمِيعِ الْأُمُورِ بِلَا رَوِيَّةٍ وَلَا ضَمِيرٍ . الَّذِي لَا تَفْشَاهُ الظُّلُمُ وَلَا يَسْتَضِيءُ
بِالْأَنْوَارِ ، وَلَا يَرْهَقُهُ لَيْلٌ^(٢) وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ نَهَارٌ . لَيْسَ إِذْرَاكُهُ
بِالْأَبْصَارِ وَلَا عِلْمُهُ بِالْأَخْبَارِ

(مِنْهَا فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ
وَقَدَّمَهُ فِي الْأَصْطِفَاءِ فَرَّتْ بِهِ الْمَفَاتِقُ^(٣) ، وَسَاوَرَ بِهِ الْمُغَالِبَ . وَذَلَّلَ
بِهِ الصُّعُوبَةَ ، وَسَهَّلَ بِهِ الْحَزُونََ حَتَّى سَرَّحَ الضَّلَالَ عَنْ يَمِينِ وَشِمَالِ .

(١) شبه - بالتحريك - أى مشابهة (٢) رهقه - كفرح - غشيه (٣) الرنق :
سد الفتق ، والمفاتق مواضع الفتق وهى ما كان بين الناس من فساد وفى مصالحهم من
اختلال . وساور به الغالب أى واثب بالنبي صلى الله عليه وسلم كل من يغالب الحق .
والحزونة غلظ فى الأرض . والمراد سهل به خشونة الأخلاق الرديئة والعقائد الفاسدة
بتهديب الطباع وتنوير العقول حتى مراح به الضلال أى أبعدته عن يمين السالكين
نهج الاعتدال وشمالهم ، وكأنه يريد جانبي الإفراط والتفريط ، والإبعاد نجسهما . ولزوم
العدل الوسط

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ وَعَدْلٌ وَحَكَمٌ فَصَلَ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
وَسَيِّدُ عِبَادِهِ كُلَّمَا نَسَخَ اللَّهُ الْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ ^(١) جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا . لَمْ يُسْهِمِ
فِيهِ عَاهِرٌ ^(٢) وَلَا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ

أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ لِلْخَيْرِ أَهْلًا . وَلِلْحَقِّ دَعَاءً ، وَلِلطَّاعَةِ عِصْمًا ^(٣)
وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْنًا مِنَ اللَّهِ يَقُولُ عَلَى الْأَلْسِنَةِ وَيُثَبِّتُ
الْأَفْئِدَةَ . فِيهِ كَفَاءٌ لِمُكْتَفٍ ^(٤) ، وَشِفَاءٌ لِمُسْتَفٍ

وَأَعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمُهُ ^(٥) يَصُونُونَ مَصُونَهُ ،
وَيُفَجِّرُونَ عِيُونَهُ . يَتَوَاصِلُونَ بِالْوِلَايَةِ ^(٦) . وَيَتَلَقَّوْنَ بِالْمَحَبَّةِ .
وَيَتَسَاقَوْنَ بِكَأْسِ رَوْيَةٍ ^(٧) . وَيَصْدُرُونَ بِرِيَّةٍ . لَا تَشْوِيهِمُ الرِّيَّةُ ^(٨)

(١) نسخ الخلق نقلهم بالناسل عن أصولهم فجعلهم بعد الوحدة في الأصول
فرقا (٢) أى لم يكن لعاهر سهم في أصوله . والعاهر من يأتى غير حله كالفاجر . وضرب
في الشيء صار له نصيب منه (٣) العصم - بكسر ففتح - جمع عصمة وهى ما يعتصم
به . وعصم الطاعات الاخلاص لله وحده (٤) الكفاء - بالفتح - : الكافى أو الكفاية
(٥) المستحفظين بصيغه اسم المفعول الذين أودعوا العلم ليحفظوه (٦) الولاية : الموالة
والمصافاة (٧) الروية فعيلة بمعنى فاعلة أى يروى شرايها من ظم التباعد والنفرة .
وربة - بكسر الراء وتشديد الياء - الواحدة من الرى : زوال العطش (٨) لا يبخاطهم
الريب والشك فى عقائدهم ولا تسرع الغيبة فيهم بالافساد لامتناعهم عن الاغتياب

وَلَا تُسْرِعُ فِيهِمُ النَّبِيَّةُ . عَلَى ذَلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَأَخْلَقَهُمْ ^(١) . فَعَلَيْهِ
يَتَحَابُّونَ وَبِهِ يَتَوَاصِلُونَ . فَكَانُوا كَتَفَاضِلِ الْبَذْرِ يُنْتَقَى ^(٢) ، فَيُؤْخَذُ
مِنْهُ وَيُلْتَقَى . قَدْ مَيَّزَهُ التَّخْلِيصُ ، وَهَذَبَهُ التَّمْجِيسُ ^(٣) . فَلْيَقْبَلِ أَمْرُؤُ
كَرَامَةً بِقَبُولِهَا ^(٤) . وَلْيَحْذَرْ قَارِعَةً قَبْلَ حُلُولِهَا . وَلْيَنْظُرِ أَمْرُؤُ فِي قَصِيرِ
أَيَّامِهِ ، وَقَلِيلِ مُقَامِهِ فِي مَنْزِلٍ حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلًا ^(٥) . فَلْيَصْنَعْ
لِنَحْوَلِهِ وَمَعَارِفِ مُسْتَقْبَلِهِ ^(٦) . فَطُوبَى لِمَنْ لَدَى قَلْبٍ سَلِيمٍ أَطَاعَ مَنْ
يَهْدِيهِ ، وَتَجَنَّبَ مَنْ يُرِيدِهِ ، وَأَصَابَ سَبِيلَ السَّلَامَةِ بِبَصَرٍ مِنْ بَصَرَةٍ ^(٧)
وَطَاعَةَ هَادٍ أَمْرُهُ . وَبَادَرَ الْهُدَى قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ أَبْوَابُهُ وَتُقَطَعَ أَسْبَابُهُ .
وَأُسْتَفْتَحَ التَّوْبَةُ وَأَمَاطَ الْخُوبَةَ . فَقَدْ أَقِيمَ عَلَى الطَّرِيقِ وَهُدِيَ نَهْجَ السَّبِيلِ

وعدم اصغائهم اليه (١) عقد خلقهم أى أنه وصل خلقهم الجسماني وأخلاقهم النفسية
بهذه الصفات وأحكم صلتهما بها حتى كأنهما معقودان بها (٢) أى كانوا إذا نسبتهم
إلى سائر الناس رأيتهم يفضلونهم ويمتازون عليهم كتفاضل البذر فإن البذر يعنى
بتنقيته ليخلص النبات من الزوان ويكون النوع صافياً لا يخالطه غيره ، وبعد التنقية
يؤخذ منه ويلقى فى الأرض فالبذر يكون أفضل الحبوب وأخلصها (٣) التهذيب: التنقية.
والتمحيص الاختبار (٤) الكرامة هنا النصيحة أى اقبلوا نصيحة لا أبتغى عليها
أجراً إلا قبولها . والقارعة : داعية الموت أو القيامة تأتى بغتة (٥) حتى غاية للقصر
والقلة فقصر الأيام وما بعده ينتهى باستبدال المنزل بمنزل آخر (٦) المنحول - بفتح
الواو مشددة - ما يتحول اليه . ومعارف المتقل المواضع التى يعرف الانتقال اليها
(٧) أى باستنارته بإرشاد من أرشده وطاعة الهادى الذى أمره قبل أن تغلق أبواب الهدى

وَمِنْ دُعَاؤِكَ كَانَ يَدْعُو بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَثِيرًا

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُصْبِحْ بِي مَيِّتًا وَلَا سَقِيمًا^(١) ، وَلَا مَضْرُوبًا عَلَى
عُرْوِي بِسُوءٍ ، وَلَا مَأْخُوذًا بِأَسْوَأِ عَمَلِي ، وَلَا مَقْطُوعًا ذَابِرِي ، وَلَا
مُرْتَدًّا عَنْ دِينِي ، وَلَا مُنْكَرًا لِلرَّبِّي ، وَلَا مُسْتَوْحِشًا مِنْ إِيْمَانِي ، وَلَا
مُلْتَبِسًا عَقْلِي ، وَلَا مُعَذَّبًا بِعَذَابِ الْأُتَمِّ مِنْ قَبْلِي . أَصْبَحْتُ عَبْدًا
تَمْلُوكًا ظَالِمًا لِنَفْسِي ، لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ وَلَا حُجَّةَ لِي . لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَخْذَ
إِلَّا مَا أَعْطَيْتَنِي ، وَلَا أَتَقِيَ إِلَّا مَا وَقَيْتَنِي

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ ، أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ ، أَوْ
أَضَامَ فِي سُلْطَانِكَ ، أَوْ أَضْطَهَدَ وَالْأَمْرُ لَكَ
اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِي أَوَّلَ كَرِيْمَةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَامَتِي ، وَأَوَّلَ وَدِيعَةٍ
تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِكَ عِنْدِي

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ ، أَوْ نَفْتِنَ عَنْ دِينِكَ .
أَوْ تَتَابَعَ بِنَا أَهْوَاؤُنَا^(٢) دُونَ الْهُدَى الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ

بالموت . والهوة - بفتح الحاء - الأثم واماطتها تنحيتهها (١) ميتاً حال من المجرور
وأصبح تامة (٢) التتابع : ركوب الأمر على خلاف الناس والاسراع إلى الشر واللجاجة
يستعيز من لجاجة الهوى به فيما دون الهدى

وَمِنْ حُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِصِفَيْنِ

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا بِوِلَايَةِ أَمْرِكُمْ ، وَلَكُمْ عَلَىَّ مِنْ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ . فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ ^(١) ، وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ . لَا يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ ، وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلَا يَجْرِيَ عَلَيْهِ لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ . وَلَكِنَّهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ ، وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ تَقْضِيًّا مِنْهُ وَتَوْسَعًا بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ . ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقًا افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ ، فَجَعَلَهَا تَكَافُؤًا فِي وُجُوهِهَا وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا . وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ ^(٢) . وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي . فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكُلِّ عَلَى كُلِّ ، فَجَعَلَهَا نِظَامًا لَا لَفْتَهُمْ وَعِزًّا لِدِينِهِمْ . فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا

(١) يتسع القول في وصفه حتى إذا وجب على الإنسان الواسف له فر من أدائه ولم ينتصف من نفسه كما ينتصف لها (٢) حقوق العباد التي يكافئ بعضها بعضاً ولا يستحق أحد منها شيئاً إلا بأدائه مكافأة ما يستحقه هي من حقوقه تعالى أيضاً

بِصَلَاحِ الْوَلَاةِ ، وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ . فَإِذَا أَدَّتِ
الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ ، وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا ، عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ ،
وَقَامَتْ ، مَنَاهِجُ الدِّينِ ، وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا
السُّنَنُ^(١) . فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَبَسِطَتْ مَطَامِعُ
الْأَعْدَاءِ . وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالْيَهَا ، وَأَجْحَفَ الْوَالِي بِرِعِيَّتِهِ اخْتَلَفَتْ
هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ . وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ . وَكَثُرَ الْإِدْغَالُ فِي الدِّينِ^(٢)
وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ . فَعُمِلَ بِالْهَوَى . وَعُطِّلَتْ الْأَحْكَامُ . وَكَثُرَتْ
عِلَلُ النُّفُوسِ . فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقِّ عُطْلٍ^(٣) . وَلَا لِعَظِيمِ بَاطِلٍ
فُعِلَ . فَهَنَالِكَ تَذِلُّ الْأَبْرَارُ وَتَعَزُّ الْأَشْرَارُ ، وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللَّهِ عِنْدَ
الْعِبَادِ . فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذَلِكَ وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ ، فَلَيْسَ أَحَدٌ
وَإِنْ أُشْتَدَّ عَلَى رِضَاءِ اللَّهِ حِرْصُهُ وَطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ بِبَالِغِ حَقِيقَةِ
مَا اللَّهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ . وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ
النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهِدِهِمْ ، وَالتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ . وَلَيْسَ

(١) ذل الطريق - بكسر الذال - محجته وجرت أمور الله أذلالها وعلى
أذلالها أى وجوها . والسنن : جمع سنة . وطمع مبنى للمجهول (٢) الادغال
فى الأمر : ادخال ما يفسده فيه . ومحاج السنن : أوساط طرقها (٣) أى إذا عطل
الحق لا تأخذ النفوس وحشة أو استغراب لتعودها على تعطيل الحقوق وأفعال

أَمْرُوهُ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي أَحَقِّ مَنْزِلَتِهِ ، وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ بِفَوْقِ
أَنْ يُعَاوَنَ عَلَى مَا حَمَلَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ ^(١) ، وَلَا أَمْرُوهُ وَإِنْ صَغُرَتْهُ النُّفُوسُ
وَاقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ ^(٢) بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ

(فَأَجَابَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ يُكْثِرُ
فِيهِ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ وَيَذْكُرُ سَمْعَهُ وَطَاعَتَهُ لَهُ) فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلَالُ اللَّهِ فِي نَفْسِهِ ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ
قَلْبِهِ أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ لِعِظَمِ ذَلِكَ كُلِّ مَا سِوَاهُ ^(٣) . وَإِنْ أَحَقَّ مَنْ كَانَ
كَذَلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ ^(٤) وَلَطُفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ . فَإِنَّهُ لَمْ
تَعْظُمْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أَزْدَادَ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِ عِظَمًا ، وَإِنْ مِنْ أَسْخَفِ
حَالَاتِ الْوُلَاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ ^(٥) ، وَيُوضَعَ
أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبَرِ . وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالٌ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ
الْإِطْرَاءَ وَاسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ ^(٦) . وَلَسْتُ بِمُحَمَّدٍ اللَّهُ كَذَلِكَ . وَلَوْ كُنْتُ أُحِبُّ

الباطل (١) بفوق أن يعاون الخ أي بأعلى من أن يحتاج إلى الإعانة أي يستغنى عن
المساعدة (٢) اقتحمته : احتقرته . بدون أن يعين أي بأعجز أن يساعد غيره
(٣) كل فاعل يصغر ، أي يصغر عنده كل ما سوى الله لعظم ذلك الجلال الإلهي (٤) وأحق
المعظمين لله بتصغير ما سواه هو الذي عظمته نعمة الله عليه (٥) أصل السخف : رقة
العقل وغيره أي ضعفه ، والمراد أدنى حالة للولاء أن يظن بهم الصالحون أنهم يحبون الفخر
ويعينون أمورهم على أساس الكبر (٦) كره الامام أن يخطر ببال قومه كونه يحب

أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكَتُهُ أَنْحِطَاطًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ
 مِنَ الْعِظَمَةِ وَالْكِبَرِيَاءِ . وَرُبَّمَا اسْتَحَلَّى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ ^(١) . فَلَا
 تُشْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ فِي
 حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا ^(٢) ، وَفَرَائِضَ لَا بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا ، فَلَا
 تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلِّمُ بِهِ الْجَبَّارَةَ ^(٣) ، وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ
 عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ . وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ . وَلَا تَظُنُّوا بِي اسْتِنْفَالًا فِي
 حَقِّ قِيلٍ لِي وَلَا التَّمَسُّ بِإِعْظَامٍ لِنَفْسِي . فَإِنَّهُ مَنْ اسْتَنْثَقَلَ الْحَقُّ أَنْ
 يُقَالَ لَهُ أَوْ الْعَدْلُ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ . فَلَا
 تَكْفُؤُوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقِّ أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلِ ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ
 أَنْ أُخْطِئَ ، وَلَا آمَنْ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي إِلَّا أَنْ يَكْفِيَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ
 أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي ^(٤) . فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدُ مَمْلُوكُونَ لِرَبِّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ .

الاطراء أى المبالغة فى الثناء عليه فان حق الثناء لله وحده فهو رب العظمة والكبرياء
 (١) البلاء : اجهاد النفس فى احسان العمل (٢) لاجراجى متعلق بثنوا . والتقبة :
 الخوف والمراد لازمه وهو العقاب ومن متعلق باخراجى أى إذا اخرجت نفسى من عقاب
 الله فى حق من الحقوق أو قضاء فريضة من الفرائض فلا تثنوا على لذلك فانما وقيت
 نفسى وعملت لسعادتى على أنى ما أدبت الواجب على فى ذلك، وما أجزل هذا القول
 وأجمعه (٣) ينهاهم عن مخاطبتهم له بألقاب العظمة كما يلقبون الجبابة وعن التحفظ
 منه بالترام الذلة والموافقة على رأى صواباً أو خطأ كما يفعل مع أهل البادية أى الغضب.
 وصانعه إذا أنى ما يرضيه وإن كان غير راض عنه. والمصانعة المداواة (٤) يقول لا آمن

يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا ، وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ ، فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى ، وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِيدُكَ عَلَى قُرَيْشٍ ^(١) فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَجِي ، وَأَكْفَأُوا إِنَائِي ، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقًّا كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي ، وَقَالُوا : أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُنَمِّعَهُ ، فَاصْبِرْ مَغْمُومًا أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفًا ، فَظَنَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ وَلَا ذَابٌّ وَلَا مُسَاعِدٌ ^(٢) إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي ، فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى ، وَجَرَعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَى ، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظَمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْعَلَمِ ، وَالْمَ لِلْقَلْبِ مِنْ حَزِّ الشَّفَارِ ^(٣) (وَقَدْ مَضَى هَذَا الْكَلَامُ فِي أَثْنَاءِ خُطْبَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ إِلَّا أَنِّي كَرَّرْتُهُ هَهُنَا لِاخْتِلَافِ الرُّوَايَتَيْنِ)

(وَمِنْهُ فِي ذِكْرِ السَّائِرِينَ إِلَى الْبَصْرَةِ لِحَرْبِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

الخطأ في أفعالي إلا إذا كان يسر الله لنفسي فعلا هو أشد ملكا له . نبي فقد كفاني الله ذلك الفعل فأكون على أمن من الخطأ فيه (١) أستعديك : أستعينك . واكفاء الاناء أي قلبه مجاز عن تضيقهم لحقه (٢) الرافد : المعين . والذاب : المدافع . وضنت أي بخلت . والقذى : ما يقع في العين . والشجى : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه يريد به غصة الحزن (٣) الشفار : جمع شفرة : حد السيف ونحوه

فَقَدِمُوا عَلَى عُمَالِي وَخُزَّانِ يَتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي يَدِي ، وَعَلَى
أَهْلِ مِصْرٍ كُلِّهِمْ فِي طَاعَتِي وَعَلَى بَيْعَتِي ، فَشَتَّوْا كَلِمَتَهُمْ ، وَأَفْسَدُوا
عَلَى جَمَاعَتِهِمْ . وَوَبَّوْا عَلَى شِيعَتِي فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْرًا ، وَطَائِفَةً
عَضُّوا عَلَى أَسْيَافِهِمْ^(١) فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا اللَّهَ صَادِقِينَ

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا مَرَّ بِطَلْحَةَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَتَابِ بْنِ أُسَيْدٍ وَهُمَا قَتِيلَانِ يَوْمَ الْجَمَلِ
لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهَذَا الْمَكَانِ غَرِيبًا . أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ
أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتَلَتْ تَحْتَ بُطُونِ الْكُوفَةِ . أَدْرَكْتُ
وَتَرَيْ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ^(٢) وَأَفْلَتَنِي أَعْيَانُ بَنِي مُجَمِّجٍ ، لَقَدْ أَتَلَعُوا
أَعْنَاقَهُمْ إِلَى أَمْرِ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ^(٣) فَوَقِصُوا دُونَهُ

(١) العض على السيوف مجاز عن ملازمة العمل بها (٢) الوتر : النار ، وطلحة كان من بني
عبد مناف كالزبير وقاله مروان بن الحكم وهما في عسكر واحد في حرب الجبل رماه بسهم على
غرة اتقاما العثمان رضي الله عنه . وأفلته الشيء خلاص منه فجأة . وجحج قبيلة عربية كان
من أعيانها أي عظمائها جماعة مع أم المؤمنين في واقعة الجبل ولم يصيبهم ما أصاب غيرهم .
ومن هذه القبيلة صفوان ابن أمية بن خلف واسمه عبد الله ، وعبد الرحمن بن صفوان
(٣) أتلعوا أي رفعوا أعناقهم ومدوها لثناول أمر وهو مناواة أمير المؤمنين على الخلافة

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَدْ أَخْبَى عَقْلُهُ ^(١) وَأَمَاتَ نَفْسَهُ، حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ وَلَطَفَ غَلِيظُهُ،
وَبَرَّقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرٌ الْبَرَقِ فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ،
وَتَدَافَعَتْهُ الْأَبْوَابُ إِلَى بَابِ السَّلَامَةِ وَدَارِ الْإِقَامَةِ، وَتَبَتَّ رِجْلَاهُ
بِطُمَأْنِينَةٍ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبُهُ وَأَرْضَى رَبُّهُ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بَعْدَ تِلَاوَتِهِ « أَلْهَاكُمْ الشَّكَاكُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ » ^(٢)

يَالَهُ مَرَامًا مَا أَبْعَدُهُ ^(٣)، وَزَوْرًا مَا أَغْفَلُهُ، وَخَطَرًا مَا أَفْطَمَهُ. لَقَدْ
اسْتَخْلَوْا مِنْهُمْ أَيْ مُدَّ كَرِي ^(٤)، وَتَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ أَفْبَصَارِ

فوقصوا أى كسرت أعناقهم دون الوصول إليه (١) حكاية عن صاحب القوى . واحياه
العقل بالعلم والفكر والنفوذ فى الاسرار الالهية . وإماتة النفس بكفها عن شهواتها .
والجليل العظيم . ودق أى صغر حتى خفى أو كاد . وبروق الالامع من نور المقام
الالهى يوضح طريق السعادة فلا يزال السالك ينقل من مقام عرفان وفضل إلى مقام
آخر من مقامات الكمال ، وهذا هو التدافع من باب إلى باب حتى يصل إلى أعلى ما يمكن
له وهناك سعادته ومقر نعيمه الأبدى (٢) ألهاه عن الشيء : صرف عنه باللهو أى
صرفكم عن الله باللهو بمكائنة بعضكم لبعض وتعديد كل منكم مزايا اسلافه حتى
بعد زيارتكم المقابر (٣) المرام الطلب بمعنى المطلوب . والزور بالفتح الزائرون وهم يرومون
نيل الشرف بمن تقدمهم وتلك غفلة ، فائمان بالون الشرف بما يكون من موجباته فى ذواتهم
فأبعد ما يرومون بغفلتهم (٤) استخلوهم أى وجدوهم خالين . والمذكر : الأذكى بمعنى

آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ ؟ أَمْ بِعِدِيدِ الْهَلَكَى يَتَكَاثَرُونَ ؟ يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ
 أَجْسَادًا خَوَتْ ^(١) ، وَحَرَكَاتٍ سَكَنْتْ . وَلَآنَ يَكُونُوا عِبْرًا أَحَقُّ مِنْ
 أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَرًا ، وَلَآنَ يَهْتَطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذِلَّةٍ أَحَجَّى مِنْ أَنْ
 يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ ^(٢) . لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعُشْوَةِ ^(٣) . وَضَرَبُوا
 مِنْهُمْ فِي غَمْرَةٍ جَهَالَةٍ . وَلَوْ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ
 الْخَاوِيَةِ ^(٤) وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ لَقَالَتْ ذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ ضَلَالًا ؛ وَذَهَبْتُمْ
 فِي أَغْقَابِهِمْ جُهَالًا . تَطَّأُونَ فِي هَامِيهِمْ ^(٥) ، وَتَسْتَنْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ ،
 وَتَرْتَعُونَ فِيْمَا لَفَظُوا ، وَتَسْكُنُونَ فِيْمَا خَرَبُوا ، وَإِنَّمَا الْأَيَّامُ يَنْتَكُمُ
 وَيَنْتَهُمُ بَوَالِكِ وَنَوَائِحُ عَلَيْكُمْ ^(٦)

الاعتبار أى أخلاوا أسلافهم من الاعتبار ثم قلب المعنى فى عبارة الامام فكان أخلاوا
 الادكار من آباءهم مبالغة فى تقييعهم حيث أخلوهم منه وهو محيط بهم ، وأى صفة
 لحذوف تقديره مدكرا . وتناوشوهم تناولوهم بالمفاخرة من مكان بعيد عنها (١) خوت :
 سقط بناؤها وخت من أرواحها (٢) أحجى : أقرب للحجى أى العقل فان موت
 الآباء دليل الفناء ، ومن عاقبته فناء كيف يفتخر ؟ (٣) العشوة : ضعف البصر (٤) الخاوية :
 المنهدمة . والرُّبوع : المساكن والضللال - كعشاق - جمع ضال (٥) جمع هامة أعلى الرأس .
 وتستنبتون أى تحاولون اثبات ما ثبتت من الأعمدة والأوتاد والجدران فى أجسادهم
 لذهابها تراباً وامزاجها بالأرض التى تقيمون فيها ما تقيمون . ترتعون : ناكون
 وتلذذون بما لفظوه أى طرحوه وتركوه (٦) بوالك : جمع باكية . ونوائح : جمع
 نائحة . وبكاء الأيام على السابقين واللاحقين حفظها لما يكون من مصابهم

أُولَئِكَ سَلَفُ غَايَتِكُمْ^(١)، وَفَرَّاطُ مَنَاهِلِكُمُ الَّذِينَ كَانَتْ
لَهُمْ مَقَاوِمُ الْعِزِّ وَحَلَبَاتُ الْفَخْرِ مُلُوكًا وَسُوقًا . سَلَكَوا فِي بُطُونِ
الْبَرْزَخِ سَبِيلًا^(٢) سُلِّطَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ ، فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ
وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ . فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ قُبُورِهِمْ جَمَادًا لَا يَنُمُونَ ،
وَضِمَارًا لَا يُوجَدُونَ . لَا يُفْزِعُهُمْ وَرُودُ الْأَهْوَالِ ، وَلَا يَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ
الْأَحْوَالِ ، وَلَا يَحْفَلُونَ بِالرَّوَاجِفِ ، وَلَا يَأْذَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ . غُيِّبَا لَا
يَنْتَظِرُونَ ، وَشُهُودًا لَا يَحْضُرُونَ . وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعًا فَتَشَتَّتُوا ، وَآلَافًا
فَافْتَرَقُوا^(٣) . وَمَا عَن طُولِ عَهْدِهِمْ وَلَا بُعْدِ مَحَلَّتِهِمْ عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ
وَصَمَّتْ دِيَارُهُمْ^(٤) ، وَلَكِنَّهُمْ سُقُوا كَأَسَا بَدَلْتَهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَسًا ،

(١) سلف الغاية: السابق إليها، وغايتهم حتما ينتهون إليه وهو الموت. والفراط : جمع فارط ، وهو كالفرط - بالتحريك - متقدم القوم إلى الماء ليهيئ لهم موضع الشرب. والمناهل مواضع ما تشرب الشارب من النهر مثلاً. ومقاوم: جمع مقام. والحلبات : جمع حلبه - بالفتح - وهي الدفعة من الخيل في الرهان أو هي الخيل تجتمع للنصرة من كل أوب . والسوق : بضم ففتح - جمع سوقه بالضم - بمعنى الرعية (٢) البرزخ : القبر . والفجوات : جمع فجوة ، وهي الفرجة والمراد منها شق القبر . ولا ينامون من النمو وهو الزيادة من الغذاء . والضمار - ككتاب - المال لا يرجي رجوعه وخلاف العيان . ولا يحفلون - بكسر الفاء - لا يبالون . والرواجف : جمع راجفة : الزلزلة توجب الاضطراب . والقواصف من قصف الرعد اشتدت هدهدته . وأذن له: استمع (٣) آلافا : جمع أليف ، أى مؤلف مع غيره (٤) صم بالضم - بالفتح - فيهما - خرس عن الكلام. وخرن الديار عدم صعود الصوت من سكانها

وَبِالسَّمْعِ صَمَمًا ، وَبِالْحَرَكَاتِ سُكُونًا . فَكَانَتْهُمْ فِي أَرْتِجَالِ الصِّفَةِ
 صَرَغَى سُبَاتٍ^(١) . جِيرَانٌ لَا يَتَأَنَسُونَ ، وَأَحِبَاءٌ لَا يَتَزَاوَرُونَ . بَلِيَّتٌ
 يَبْنَهُمْ عُرَى التَّعَارُفِ^(٢) وَأَنْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ الْإِخَاءِ . فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ
 وَهُمْ جَمِيعٌ . وَبِجَانِبِ الْهَجْرِ وَهُمْ أَخِلَاءٌ . لَا يَتَعَارَفُونَ لَيْلٍ صَبَاحًا وَلَا
 لِنَهَارٍ مَسَاءً . أَيْ أُلْجِدِيدِينَ ظَلَعُوا فِيهِ كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَدًا^(٣) . شَاهَدُوا
 مِنْ أخطَارِ دَارِهِمْ أَفْطَعَ مِمَّا خَافُوا ، وَرَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا قَدَرُوا .
 فَكَلِمَتَا الْغَايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ إِلَى مَبَاءَةٍ^(٤) فَاتَتْ مَبَالَغَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ .
 فَلَمَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُوا بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا عَايَنُوا^(٥) وَلَئِنْ
 عَمِيَتْ آثَارُهُمْ وَأَنْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ

لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ الْعَبْرِ^(٦) ، وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ الْعُقُولِ ،
 وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ النُّطْقِ . فَقَالُوا كَلَحَتْ الْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ^(٧)

(١) ارتجال الصفة وصف الحال بلا تأمل، فالواصف لهم باول النظر يظنهم صرعوا من السبات بالضم أى النوم (٢) العرى : جمع عروة ، وهى مقبض الدلو والكوز مثلا، وبليت رئت وفنيت . والمراد زوال نسبة التعارف بينهم (٣) الجديدان : الليل والنهار فان ذهبوا فى نهار فلا يعرفون له ليلا أو فى ليل فلا يعرفون له نهارا (٤) الغايتان : الجنة والنار . والمبأة : مكان التبوؤ والاستقرار والمراد منها ما يرجعون اليه فى الآخرة وقد مدت الغاية أى أخرت عنه فى الدنيا إلى مرجع يفوق فى سعادته أو شقائه كل غاية سما إليها الخوف والرجاء (٥) عيوا : عجزوا (٦) رجعت فيهم أبصار العبر نظرت اليهم بعد الموت نظرة ثانية . والعبر جمع عبرة (٧) كالج : كنع - كلوحا - تكشر فى عبوس

وَحَوَتْ الْأَجْسَادُ النَّوَاعِمُ . وَلَبَسْنَا أَهْدَامَ الْبِلَى ^(١) . وَتَكَاءَ دَنَا ضَيْقُ
 الْمَضْجَعِ . وَتَوَارَثْنَا الْوَحْشَةَ . وَتَهَكَّمتْ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصَّمُوتُ
 فَأَنَمَعَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُورِنَا ، وَطَالَتْ فِي
 مَسَاكِنِ الْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا . وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجًا ، وَلَا مِنْ ضَيْقٍ
 مُتَسَمًا . فَلَوْ مَثَلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْفِطَاءِ لَكَ وَقَدْ
 أَرْتَسَخْتَ أَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِّ فَاسْتَكَّتْ ^(٢) ، وَأَكْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ
 بِالْثَرَابِ فَخَسَفَتْ ، وَتَقَطَّعَتْ الْأَلْسِنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلَالَتِهَا ، وَهَمَدَتْ
 الْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقْظَتِهَا . وَعَاثَ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ
 بِلَى سَمَجَها ^(٣) ، وَسَهَّلَ طُرُقَ الْآفَةِ إِلَيْهَا ، مُسْتَسْلِمَاتٌ فَلَا أَيْدٍ تَدْفَعُ ،
 وَلَا قُلُوبٌ تَجْزَعُ لِرَأَيْتِ أَشْجَانِ قُلُوبٍ ^(٤) ، وَأَقْدَاءَ عِيُونٍ لِهَمٍّ فِي كُلِّ

والنواضر الحسنة البواسم. وخوت: تهدمت بنيتها وتفرقت أعضاؤها (١) الأهدام :
 جف هدم - بكسر الهاء - الثوب البالي أو المرقع . وتكاء دال امرأى شق عليه . وتهكمت:
 تهدمت . والرُّبُوع: أما كن الإقامة. والصموت التي لا تنطق والمراد بها القبور (٢) ارتسخت
 مبالغة في رسخ ، ورسخ القدير : نش ماؤه أى أخذ في النقصان ونضب ، أى انضب
 مستودع قوة السماع وذهبت مادته بامتصاص الهوام وهي الديدان هنا. واستككت الأذن
 صمت . وخسف عين فلان فقأها. وذلاقة الألسن حدثها في النطق (٣) عاث : أفسد .
 والبلى : التحلل والنفاء. وسمج الصورة تسميها فبقها أى أفسد الفناء في كل عضو
 منهم فبقبجه (٤) لرأيت جواب لومثلتهم . وأشجان القلوب : همومها. ولقداء العيون

فَطَاعَةَ صِفَةٍ حَالٍ لَا تَنْتَقِلُ، وَغَمْرَةً لَا تَنْحَلِي^(١). وَكَمْ أَكَلَتِ الْأَرْضُ
مِنْ عَزِيزٍ جَسَدٍ وَأُنِيقٍ لَوْنٍ كَانَ فِي الدُّنْيَا غِذًى تَرَفٍ^(٢) وَرَيْبَ شَرَفٍ.
يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ^(٣)، وَيَفْزَعُ إِلَى السَّلْوَةِ إِنْ مُصِيبَةٌ
تَرَلَّتْ بِهِ ضَنَا بِفَضَارَةٍ عَيْشِهِ وَشَحَاحَةٍ بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ. فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ
إِلَى الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ إِلَيْهِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ^(٤) إِذْ وَطِئَ الدَّهْرُ بِهِ
حَسَكَهُ، وَتَقَضَّتِ الْأَيَّامُ قُوَاهُ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ الْخُتُوفُ مِنْ كَثَبٍ^(٥).
فَخَالَطَهُ بَثٌّ لَا يَعْرِفُهُ، وَنَجَّى نَجْمٌ مَا كَانَ يَحِدُّهُ. وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فِتْرَاتٌ
عِلَلٍ آتَسَ مَا كَانَ بِصِحَّتِهِ^(٦). فَفَزِعَ إِلَى مَا كَانَ عَوْدَهُ الْأَطِبَاءُ مِنْ
تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِّ^(٧)، وَتَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالْحَارِّ، فَلَمْ يُطْفِئْ بِيَارِدٍ إِلَّا
ثَوْرَ حَرَارَةٍ، وَلَا حَرَكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَيَّجَ بُرُودَةً، وَلَا أَعْتَدَلَ بِمَازِجٍ

ما يسقط فيها فيؤولها (١) الغمرة : الشدة (٢) الأنيق : رائق الحسن . والغذى اسم بمعنى
المفعول أى مغذى بالنعيم، والريب بمعنى المربى، ربه يربه أى رباه (٣) ينشأغل بأسباب
السرور ليتلهى بها عن حزنه . والسلة : انصراف النفس عن الألم بتخييل اللذة.
ضنا أى بخلا . وفضارة العيش : طيبه (٤) وصف العيش بالغفلة لأنه إذا كان هنيئاً
يوجبها. والحسك : نبات تعلق قشرته بصوف الغنم ورقه كورق الرجلة أو أدق، وعند
ورقه شوك مازز صلب ذو ثلاث شعب تمثيل لمس الآلام (٥) الختوف : المهلكات. وأصل
الختف الموت . من كتب - بالتحريك - أى قرب، أى توجهت إليه المهاككات على قرب
منه. والبث : الحزن . والنجى : المناجى. وخالطه الحزن : مازج خواطره (٦) آتس
حال من ضمير فيه . والفترات : جمع فترة : انحطاط القوة أى تولد فيه الضعف بسبب
العلل حال كونه أشد أنسا بصحته من جميع الأوقات السابقة (٧) القار هنا البارد

لِتِلْكَ الطَّبَّائِعِ إِلَّا أَمَدَّ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ دَاءٍ ^(١) حَتَّى فُتِرَ مُعَلِّلُهُ ^(٢) ،
 وَذَهَلَ مُرَّضُهُ ، وَتَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ ^(٣) ، وَخَرِسُوا عَنْ جَوَابِ
 السَّائِلِينَ عَنْهُ . وَتَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيئَ خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ ، فَقَائِلٌ يَقُولُ هُوَ
 لِمَا بِهِ ^(٤) ، وَثَمَنٌ لَهُمْ إِيَابَ عَافِيَتِهِ ، وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى فَقْدِهِ ، يُذَكِّرُهُمْ أَسَى
 الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ ^(٥) . فَيَنُنَا هُوَ كَذَلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا وَتَرْكِ
 الْأُجْبَةِ ، إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غَصَصِهِ فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ ^(٦) ،
 وَيَبَسَتْ رُطُوبَةُ لِسَانِهِ . فَكَمَ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَقَى عَنْ
 رَدِّهِ ^(٧) ، وَدَعَاءِ مُؤَلِّمٍ لِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَ عَنْهُ مِنْ كِبِيرٍ كَانَ يَعْظُمُهُ أَوْ صَغِيرٍ
 كَانَ يَرْحَمُهُ . وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَعَمْرَاتٍ هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَفْرَقَ بِصِفَةِ أَوْ
 تَعْتَدَلَ عَلَى قُلُوبِ أَهْلِ الدُّنْيَا ^(٨)

(١) أى ما طلب تعديل مزاجه بدواء يمازج ما فيه من الطبائع ليعدها إلا وساعد كل
 طبيعة على تولد الداء (٢) معطل المريض من يسليه عن مرضه بترجية الشفاء كأن مرضه من
 يتولى خدمته فى مرضه لمرضه (٣) تعايأ أهله أى اشتركوا فى العجز عن وصف دائه.
 واختلف الحاضرون بين يدي المريض فى الخبر المحزن يكتُمونه عنه (٤) هو لما به أى
 هو مملوك لعلته فهو هالك . والممنى مخيل الأمنية. والاياب الرجوع (٥) أسى جمع أسوة
 (٦) نوافذ الفطنة ما كان من أفكار نافذة أى مصيبة للحقيقة (٧) عى عجز لضعف
 القوة المحركة للسان (٨) تعتدل أى تستقيم عليها بالقبول والادراك، أى لغفلتهم عنها

(وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

قَالَ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ « رَجَالٌ لَا تُلْهِمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ »
 إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَمَلَ الذِّكْرَ جَلَاءً لِلْقُلُوبِ ^(١) تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوُقُورَةِ،
 وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعُشُورَةِ، وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ. وَمَا بَرِحَ اللَّهُ - عَزَّتْ
 آلاؤُهُ - فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ وَفِي أَرْزَامِ الْفَرَاتِ ^(٢) عِبَادُ نَاجَاهُمْ
 فِي فِكْرِهِمْ، وَكَلَمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ، فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقْظَةٍ فِي
 الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ وَالْأَفْئِدَةِ ^(٣). يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللَّهِ، وَيُخَوِّفُونَ مَقْلَمَهُ
 بِمَنْزِلَةِ الْأَدِلَّةِ فِي الْفُلُوتِ ^(٤). مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ ^(٥)
 وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ. وَمَنْ أَخَذَ يَمِينًا وَشِمَالًا ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ، وَحَذَّرُوهُ
 مِنَ الْهَلَكَةِ، وَكَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ وَأَدِلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ
 وَإِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلًا أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلًا فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعٌ
 عَنْهُ، يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ وَيَهْتَفُونَ بِالزَّوْاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فِي أَسْمَاعِ

لا تتناسب عند عقولهم فيدركوها (١) الذكر : استحضار الصفات الإلهية . والوقرة
 ثقل في السمع . والعشوة ضعف البصر (٢) الفترة بين العملين زمان بينهما يخلو منهما،
 والمراد أزمانه الخلو من الأنبياء مطلقاً . وناجاهم أى غاطبهم بالإلهام (٣) استصبح : أضاء
 مصباحه أى أضاء مصباح الهدى لهم بنور اليقظة فى أبصارهم الخ (٤) الفلوات : المفازات
 والقفار (٥) أخذ القصد أى ركب الاعتدال فى سلوكه

الْفَافِلِينَ^(١) . وَيَأْتُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتُرُونَ بِهِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ . فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا فُشَاهِدُوا
مَا وَرَاءَ ذَلِكَ ، فَكَأَنَّمَا أَطْلَمُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ فِي طُولِ الْإِقَامَةِ
فِيهِ^(٢) ، وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا . فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ
الدُّنْيَا حَتَّى كَانَهُمْ يَرَوْنَ مَا لَا يَرَى النَّاسُ ، وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ .
فَلَوْ مَثَلْتَهُمْ لِمَعْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَةِ^(٣) ، وَمَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةِ
وَقَدْ نَشَرُوا دَوَابِنَ أَعْمَالِهِمْ ، وَفَرَّغُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَنْ كُلِّ صَغِيرَةٍ
وَكَبِيرَةٍ أُبْرِوا بِهَا فَقَصَّروا عَنْهَا ، أَوْ نُهِوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا ، وَحَمَلُوا
ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ^(٤) فَضَعُفُوا عَنِ الْإِسْتِقْلَالِ بِهَا فَنَشَجُوا نَشِيجًا
وَتَجَاوَبُوا نَحِيبًا . يَمِجُّونَ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَاوِمٍ نَدِمَ وَأَعْتَرَفَ لِرَأَيْتَ

(١) هتف به - كضرب - صاح ودعا . وهتفت الجماعة صانت (٢) في طول الإقامة حال
من أهل البرزخ . والعدات : جمع عدة - بكسر ففتح مخفف - أي كأنما القيامة كشفت
لهم عن الوعود التي وعد بها الأخيار والأشرار (٣) مقاوم : جمع مقام ، مقاماتهم في
خطاب الوعظ . والدوابن : جمع ديوان - وهو مجتمع الصحف . والدفتر ما يكتب فيه
أسماء الجيش وأهل الأعطيات (٤) أي نسبوا ماصدر عنهم إلى تقصير همهم عن أداء
الواجب عليهم ولم يحولوه على ربهم فجعلوا الأوزار جلا على ظهورهم فأحسوا بالضعف
عن الاستقلال بها أي القيام بحملها . ونشج الباكى بنشج - كضرب يضرب - نشيجا غص
بالبكاء في حلقة . والنحيب أشد البكاء . وتجاو بوابه أجاب بعضهم بعضا يتناحبون . وعجج
يعجج - كضرب ومل - صاح ورفع صوته فهم يصيحون من مواقف الندم والاعتراف بالخطأ

أَعْلَامٌ هُدًى، وَمَصَابِيحٌ دُجًى. قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَفُتِحَتْ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأُعِدَّتْ لَهُمُ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ فِي مَقَامٍ أَطْلَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ فَرَضِي سَعْيِهِمْ وَحَمْدَ مَقَامِهِمْ يَتَنَسَّمُونَ بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ^(١). رَهَائِنُ فَاقَةٍ إِلَى فَضْلِهِ، وَأَسَارَى ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ. جَرَحَ طَوْلُ الْأَسَى قُلُوبَهُمْ^(٢)، وَطَوْلُ الْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ. لِكُلِّ بَابٍ رَغْبَةٌ إِلَى اللَّهِ مِنْهُمْ يَدُ قَارِعَةٍ يَسْأَلُونَ مَنْ لَا تَضِيقُ لَدَيْهِ الْمَنَادِحُ^(٣) وَلَا يَحْجِبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ. فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَالَ عِنْدَ تَلَاوَتِهِ «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ»

أَدْحَضُ مَسْئُولٍ حُجَّةً^(٤)، وَأَقْطَعُ مُفْتَرٍّ مَعْدِرَةً. لَقَدْ أَبْرَحَ

جَهَالَةً بِنَفْسِهِ

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ، وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ، وَمَا آانسَكَ

(١) تنسم النسيم: تنشمه. والروح - بالفتح - النسيم أي يتوقمون التجاوز بدعائهم له

(٢) الأسى: الحزن (٣) المنادح: جمع مندوحة، وهي كالندحة بالضم والفتح. والمنتدح - بفتح

الدال - المتسع من الأرض (٤) أدحض خبر عن محذوف هو الانسان ودحضت الحجة - كنع -

بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ . أَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ^(١) . أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمَتِكَ يَقْظَةٌ .
 أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ . فَرُبَّمَا تَرَى الضَّاحِيَ لِحَرِّ
 الشَّمْسِ قُظْلُهُ^(٢) ، أَوْ تَرَى الْمُبْتَلَى بِالْمِمْضِ جَسَدَهُ^(٣) فَتَبْكِي رَحْمَةً
 لَهُ ، فَمَا صَبَّرَكَ عَلَى دَائِكَ ، وَجَلَدَكَ عَلَى مُصَابِكَ ، وَعَزَاكَ عَنِ الْبُكَاءِ عَلَى
 نَفْسِكَ . وَهِيَ أَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكَ . وَكَيْفَ لَا يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتِ
 نِقْمَةٍ^(٤) وَقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ سَطَوَاتِهِ . فَتَدَاوِ مِنْ دَاءِ الْفِتْرَةِ
 فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ ، وَمِنْ كَرَرِ الْغَفْلَةِ فِي نَظَرِكَ بِيقْظَةٍ^(٥) . وَكُنْ لِلَّهِ
 مُطِيعًا ، وَبِذِكْرِهِ آئِسًا . وَتَمَثَّلْ فِي حَالِ تَوَلَّيْكَ عَنْهُ إِقْبَالُهُ عَلَيْكَ^(٦) .
 يَدْعُوكَ إِلَى عَفْوِهِ وَيَتَعَمَّدُكَ بِفَضْلِهِ وَأَنْتَ مُتَوَلٍّ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ . فَتَعَالَى
 مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ^(٧) ، وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَكَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ
 وَأَنْتَ فِي كَنْفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ ، وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ . فَلَمْ يَمْنَعْكَ فَضْلُهُ

بطلت . وأبرح بنفسه أي أعجبته نفسه بحالها (١) بل مرضه يبل كقل يقل بلولا حسنت
 حاله بعد هزال (٢) ضحاضحوا وضحوا : برز في الشمس (٣) يمض جسده يبالغ في نهكه
 (٤) أي خوف أن تبوء بنقمة من الله ورزية تذهب بنعيمك وقد وقعت بمعاصيه في طرق
 سطوانه ونعرت لا تتقاه (٥) للكرى - بالفتح والقصر - النوم (٦) تمثل تصور واذكر
 عند اعراضك عن الله إلى لهُوك أنه مقبل عليك بنعمه ويتعمدك أي يغمرك (٧) الضمير
 في تعالى لله

وَلَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِرَّهُ ، بَلْ لَمْ تَحُلْ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرَفَ عَيْنٍ ، فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَكَ^(١) ، أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ ، أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عَنْكَ . فَمَا ظَنُّكَ بِهِ لَوْ أَطْعَمَهُ ؟ وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ كَانَتْ فِي مُتَّفَقَيْنِ فِي الْقُوَّةِ ، مُتَوَارِيَيْنِ فِي الْقُدْرَةِ لَكُنْتَ أَوَّلَ حَاكِمٍ عَلَى نَفْسِكَ بِذِمِّهِمُ الْإِخْلَاقِ وَمَسَاوِي الْأَعْمَالِ . وَحَقًّا أَقُولُ مَا الدُّنْيَا غَرَّتَكَ^(٢) وَلَكِنْ بِهَا اغْتَرَرْتَ . وَلَقَدْ كَاشَفْتُكَ الْعِظَاتُ وَأَذَنْتَكَ عَلَى سَوَاءٍ . وَلَهِيَ بِمَا تَعِدُّكَ مِنْ زُورِ الْبَلَاءِ بِجِسْمِكَ وَالنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ أَوْ تَغُرَّكَ . وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مِثَّهُمْ^(٣) ، وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكْذِبٌ . وَلَنْ تَعْرِفْتَهَا فِي الدِّيَارِ الْخَالَوِيَّةِ^(٤) وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ لَتَجِدْنَهَا مِنْ حُسْنٍ تَذْكِيرِكَ وَبَلَاحٍ مَوْعِظَتِكَ بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ وَالشَّجِيعِ بِكَ^(٥) . وَلَنِعَمَ دَارٌ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَارًا ، وَمَحَلٌّ مَنْ لَمْ يُوطَّنْهَا مَحَلًّا^(٦) . وَإِنَّ السُّعْدَاءَ بِالدُّنْيَا غَدًا هُمُ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ

(١) طرف عينه - كضرب - أطبق جفنيها والمراد من المطرف اللحظة بتحريك فيها الجفن في نعمة يتعلق بلطفه (٢) إن الدنيا ماخبات عن بصرك شيئا من تقلباتها المفزعة ولكن غفلت عما ترى ولقد كاشفتك وأظهرت لك العظات أي المواعظ، وأذنتك أعلمتك على عدل (٣) رب حادث من حوادثها يلقى اليك النصيحة بالعبارة فتتهمه وهو مخلص (٤) تعرفتها طلبت معرفتها وعاقبة الركون إليها (٥) البخيل بك على الشقاء والهلكة (٦) وطنه - بالتشديد - اتخذها وطنا

إِذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ^(١) . وَحَقَّتْ بِحَلَالِهَا الْقِيَامَةُ . وَلَحِقَ بِكُلِّ
 مَنَسَكٍ أَهْلُهُ ، وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبْدَتُهُ ، وَبِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ ، فَلَمْ
 يُجْزَ فِي عَذْلِهِ وَقِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرَقُ بَصَرٍ فِي الْهَوَاءِ^(٢) ، وَلَا هَمْسٌ قَدِمَ فِي
 الْأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ . فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذَلِكَ دَاحِضَةٍ ، وَعَلائِقٍ عُذِرٍ
 مُنْقَطِعَةٍ . فَتَحَرَّ مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ بِهِ عُذْرُكَ^(٣) ، وَتَثَبَّتْ بِهِ حُجَّتُكَ .
 وَخُذْ مَا يَبْقَى لَكَ مِمَّا لَا تَبْقَى لَهُ^(٤) . وَتَيَسَّرَ لِسَفَرِكَ . وَشِمَ بَرَقَ النِّجَاجُ .
 وَأَرْحَلَ مَطَايَا التَّشْمِيرِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَاللَّهِ لَأَنْ أَيْتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّدًا^(٥) ، وَأَجَرَ فِي الْأَغْلَالِ
 مُصَفَّدًا ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُلْقَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِمًا لِبَعْضِ

(١) الراجفة النفخة الأولى حين تهب ريح الفناء فتندف الأرض نسفاً. وحقت القيامة وقعت
 ونبتت بعظائرها. والمنسك - بفتح الميم والسين - العبادة أو مكانها (٢) يجز - من الجزاء - مبنى
 للمجهول ونائب فاعله خرق بصر وهمس قدم، أي لا تجازي لمحة البصر تنفذ في الهواء ولا همسة
 القدم في الأرض إلا بحق وذلك بعدل الله (٣) تحر من التحرى أى اطلب ما هو
 أحرى وألحق لأن يقوم به عذرک (٤) ما يبقی لك هو العمل الصالح نخذه من الدنيا
 التي لا تبقى لها . وتيسر : تأهب . وشام البرق : لمح . ورحل المطية : وضع عليها رحلها
 للسفر (٥) كما أنه يريد من الحسك الشوك . والسعدان نبت ترعاه الابل له شوك تشبه
 به حمة الثدي . والمسهد - من سهد - إذا أسهره . والمصفد : المقيد

الْعِيَادِ ، وَغَاصِبًا شَيْءٌ مِنَ الْخَطَايَا . وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَدًا لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى
الْبَلَى قُفُولَهَا^(١) ، وَيَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولَهَا

وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا^(٢) ، وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرْكَكُمْ
صَاعًا ، وَرَأَيْتُ صَبِيَانَهُ شُعْتَ الشُّمُورِ غُبَرَ الْأَلْوَانِ مِنْ فَقَرِهِمْ كَأَنَّمَا
سَوَّدَتْ وَجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ ، وَعَاوَدَنِي مُوْكَدًا^(٣) وَكَرَّرَ عَلَى الْقَوْلِ
مُرْدَّدًا فَأَصْنَعْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي وَاتَّبَعُ قِيَادَهُ^(٤) مُفَارِقًا
طَرِيقِي ، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا فَضَحَّ
صَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنَ الْمَهَا^(٥) ، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مَيْسِمِهَا . فَقُلْتُ لَهُ
تَكَلَّمْتُكَ الثَّوَا كُلُّ يَاعْقِيلُ^(٦) ، أَتَنْتُ مِنْ حَدِيدَةٍ أَهْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلْعَبِي ،
وَتَجَرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِفَضْبِهِ . أَتَنْتُ مِنَ الْأَذَى وَلَا أَتْنُ مِنْ

(١) برىء من النفس نفسه كرم الله وجهه أى كيف أظلم لأجل منفعة نفس يسرع إلى الفناء
رجوعها . والثرى التراب (٢) عقيل أخوه . وأملق : افتقر أشد الفقر . واستماحنى : استعطانى .
والبر القمح (٣) شعث - جمع أشعث - وهو من الشعر المتلبد بالوسخ . والغبر - بضم
الغين - : جمع أغبر متغير اللون شاحبه . والعظم - كزبرج - سواد يصبغ به قيل هو
النيلج أى النيلة (٤) القياد : ما يقاد به كالزمام (٥) الدنف - بالتحريك - المرض .
والمبسم - بكسر الميم وفتح السين - المسكواة (٦) نكل - كفرح - أصاب نكلا
بالمضم وهو فقدان الحبيب أو خاص بالولد . والثوا كل النساء ، دعاء عليه بالموت لتأله
من نار ضعيفة الحرارة وطلبه عملا وهو تناول شئ من بيت المال زيادة عن المفروض
له يوجب الوقوع فى نار سجرها أى أضرها الجبار وهو الله للانتقام ممن عصاه .

لَطَى . وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقُ طَارِقًا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وَعَائِهَا^(١) ، وَمَعْجُونَةٍ
 شَنِئُهَا كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيْقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْتِنَا ، فَقُلْتُ أُصِلَّةٌ أَمْ زَكَاةٌ أَمْ
 صَدَقَةٌ فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ . فَقَالَ لَا ذَا وَلَا ذَاكَ وَلَكِنَّهَا
 هَدِيَّةٌ . فَقُلْتُ هَبْلَتِكَ الْهَبُولُ^(٢) ، أَعَنْ دِينَ اللَّهِ أَتَيْتَنِي لِتُخْدَعَنِي ،
 ائْتَحِبُّ أَنْتَ أَمْ ذُو جَنَّةٍ أَمْ تَهْجُرُ^(٣) . وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا
 تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَى أَنْ أُعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمَلَةٍ أَسْلُبُهَا جِلْبَ شَعِيرَةٍ^(٤) مَا
 فَعَلْتُ وَإِنْ دُنِيََا كُمْ عِنْدِي لِأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمٍ جَرَادَةٍ تَقْضُمُهَا^(٥)
 مَا لِعَلِّي وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَى . نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ^(٦)
 وَقُبْحِ الزَّلَلِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ

(وَمِنْ دُعَاءٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ^(٧) ، وَلَا تَبْذُلْ جَاهِي بِالْإِقْتَارِ فَأُسْتَرْزَقَ

ولطى اسم جهنم (١) الملفوفة نوع من الحلواء أهداها اليه الأشعث بن قيس . وشئتها
 أى كرهتها . والصلاة العطية (٢) هبلتك - بكسر الباء - نكثتك والهبول - بفتح الهاء -
 المرأة لا يعيش لها ولد . عن دين الله متعلق بخدعنى (٣) ائتحبب فى رأىك فاختل
 نظام ادراكك ، أم أصابك جنون ، أم تهجر أى تهو بما لا معنى له (٤) جلب الشعيرة -
 بكسر الجيم - قشرتها . وأصل الجلب غطاء الرجل فتجوز فى إطلاقه على غطاء الحبة
 (٥) قضمت الدابة الشعيرة - من باب علم - كسرتة بأطراف أسنانها (٦) سبات العقل نومه . والزال :
 السقوط فى الخطأ (٧) صيانة الوجه حفظه من التعرض للسؤال . وبذل الجاد . إسقاط المنزل ،
 من القلوب . واليسار : الفنى . والافتار : الفقر . وقوله فأسترزق ترتيب على البذل .

طَالِبِي رِزْقِكَ ، وَاسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِكَ ، وَابْتَغَى بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي ،
وَأَفْتَنَ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي ، وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الْأَعْطَاءِ وَالْمَنْعِ
« إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

دَارُ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ ، وَبِالْعَذْرِ مَعْرُوفَةٌ . لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا ، وَلَا
تَسْلِمُ نَزَالُهَا^(١) أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ ، وَتَارَاتٌ مَتَصَرِّفَةٌ . الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ
وَالْأَمَانُ فِيهَا مَعْدُومٌ . وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدِفَةٌ تَرْمِيهِمْ
بِسِهَامِهَا وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا^(٢)

وَأَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ
مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ^(٣) . يَمَنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَارًا ، وَأَعْمَرَ دِيَارًا ،
وَأَبْعَدَ آثَارًا . أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً ، وَرِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً^(٤) ،
وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً ، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً وَآثَارُهُمْ عَافِيَةٌ . فَاسْتَبَدُّوا بِالْقُصُورِ

بالافتقار فإنه لو افتقر لطلب الرزق من طلاب رزق الله وهم الناس (١) النزال بالضم
وتشديد الزاي جمع نازل (٢) الجام - بالكسر - الموت (٣) أنتم وما تتمتعون به قيام
على سبيل الماضين تنتهون إلى نهايته وهو الفناء. وبعد الآثار طول بقائها بعد ذويها
(٤) را كدة : سا كنة. وركود الريح كناية عن انقطاع العمل وبطلان الحركة.
آثارهم عافية أي مندرسة

الْمُشِيدَةَ وَالنَّمَارِقِ الْمُمَهَّدَةَ^(١) الصُّخُورَ وَالْأَحْجَارَ الْمُمْنَدَةَ ، وَالْقُبُورَ
 اللَّاطِئَةَ الْمُلْحَدَةَ^(٢) . الَّتِي قَدْ بُنِيَ بِالْخَرَابِ فَنَاوَهَا^(٣) ، وَشِيدَ بِالتُّرَابِ
 بِنَاوَهَا . فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ ، وَسَاكِئُهَا مُقْتَرِبٌ . بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ
 وَأَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ^(٤) لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْأَوْطَانِ ، وَلَا يَتَوَاصِلُونَ
 تَوَاصِلَ الْجِيرَانِ عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجَوَارِ وَدُؤُو الدَّارِ . وَكَيْفَ
 يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَرَاوُرٌ وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْسِكَلِهِ الْبَلَى^(٥) ، وَأَكَلَتْهُمْ الْجِنَادِلُ
 وَالْتَرَى . وَكَأَنَّ قَدْ حِزَّتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ^(٦) ، وَارْتَهَنَكُمْ ذَلِكَ
 الْمَضْجَعُ ، وَصَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ . فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمْ
 الْأُمُورُ^(٧) ، وَبُعِثَتْ الْقُبُورُ « هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ »^(٨) ،
 وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مُؤَلَّاهُمْ أَحَقُّ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ »

(١) النمارق - جمع نمرقة - تطلق على الوسادة الصغيرة وعلى الطنفسة أى البساط ولعله المراد هنا. والممهدة المقروشة والصخور مفعول استبدلوا (٢) لاطأ بالأرض - كدع وورح - لصق . الملحدة من ألحد القبر جعل له لحداً أى شقاً فى وسطه أو جانبه (٣) فناء الدار - بالكسر - ساحتها وما اتسع أمامها. و بناء الفناء بالخراب تمثيل لما يتخيله الفسك فى ديار الموتى من الفناء الدائم إلى نهاية العالم (٤) متشاغلين بما شاهدوا من عقى أعمالهم (٥) الكلس كل هو صدر البعير كأن البلى بكسر الباء أى الفناء جل برك عليهم فطحنهم . والجنادل : الحجارة . والترى : التراب (٦) ولقرب آجالكم كأنكم قد صرتم إلى مصيرهم وحسبتم فى ذلك المضجع كما يحبس الرهن فى يد المرتهن (٧) تناهى به الأمر : وصل إلى غايته . والمراد انتهاء مدة البرزخ . و بعثت القبور قلب تراها وأخرج موناها (٨) تبلوه أى تجبره فتقف على خبره وشره

(وَمِنْ دَعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

اللَّهُمَّ إِنَّكَ آتَسُ الْأَنْسِينَ لِأَوْلِيَانِكَ^(١) . وَأَخْضَرُهُمْ بِالْكِفَايَةِ
لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ . تُشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ ، وَتَطْلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَائِرِهِمْ
وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ . فَاسْرَارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ ، وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ
مَلْهُوفَةٌ^(٢) . إِنْ أَوْحَشْتَهُمُ الْغُرْبَةَ أَنْسَهُمْ ذِكْرُكَ ، وَإِنْ صَبَّتْ عَلَيْهِمْ
الْمَصَائِبُ لَجَأُوا إِلَى الْأَسْتِجَارَةِ بِكَ ، عِلْمًا بِأَنَّ أَرْمَةَ الْأُمُورِ بِيَدِكَ ،
وَمَصَادِيرَهَا عَنْ قَضَائِكَ

اللَّهُمَّ إِنْ فَهِمْتُ عَنْ مَسْأَلَتِي^(٣) أَوْ عَمِيتُ عَنْ طِلْبَتِي فَذَلِّلْنِي عَلَى
مَصَالِحِي ، وَخُذْ بِقَلْبِي إِلَى رَاشِدِي ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِشُكْرِ مَنْ
هَدَانِي^(٤) وَلَا يَبْدِعُ مِنْ كِفَايَاتِكَ
اللَّهُمَّ أَحْمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ^(٥) وَلَا تَحْمِلْنِي عَلَى عَذْلِكَ

(١) آتَسُ أَشَدُّ أَنْسَاءً ، فِقْلُوبِ الْأَوْلِيَاءِ أَشَدُّ أَنْسَابًا مِنْ كُلِّ أَلِفٍ فَاتَتْ أَنْسَ الْمَوْجُودَاتِ
عِنْدَهَا وَهُوَ أَشَدُّ النَّصْرَاءِ حُضُورًا بِمَا يَكْفِي الْمُعْتَمِدِينَ عَلَيْهِ (٢) الْمَلْهُوفُ : الْمَضْطَرُ
يَسْتَفِيتُ وَيَتَحَسَّرُ (٣) فَهْ - كَفَرَح - عِي فَلَمْ يَسْتَطِعِ الْبَيَانَ وَالطَّلِبَةَ - بِكُسْرِ الطَّاءِ -
الْمَطْلُوبِ . وَالْمَرَادِدُ : مَوَاضِعُ الرُّشْدِ (٤) الْإِنْكَرُ - بِالضَّمِّ - : الْمُنْكَرُ . وَالْبَدْعُ - بِالْكَسْرِ - :
الْأَمْرُ بِكَوْنِ أَوْ لَا ، أَيْ الْغَرِيبُ غَيْرُ الْمَعْهُودِ (٥) اعْتِرَافٌ مِنْهُ بِالتَّقْصِيرِ فَلَوْ عَامَلَهُ اللَّهُ بِالْعَدْلِ
لَا شَتَدَ عَلَيْهِ الْهَوْلُ فَاتَّجَأَ إِلَى الْعَفْوِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لِلَّهِ بِلَاءٌ فُلَانٍ^(١) فَقَدْ قَوْمَ الْأَوْدَ وَدَاوَى الْعَمَدَ . خَلَفَ الْفِتْنَةَ وَأَقَامَ
الْأُسْتَنَةَ . ذَهَبَ نَقِي الثُّوبِ ، قَلِيلَ الْعَيْبِ . أَصَابَ خَيْرَهَا وَسَبَقَ شَرَّهَا .
أَدَّى إِلَى اللَّهِ طَاعَتَهُ وَاتَّقَاهُ بِحَقِّهِ . رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ^(٢)
لَا يَهْتَدِي فِيهَا الضَّالُّ وَلَا يَسْتَقِينُ الْمُهْتَدِي

مِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي وَصْفِ بَيْعَتِهِ بِالْخِلَافَةِ وَقَدْ تَقَدَّمَ مِثْلُهُ بِالْفَافِ مُخْتَلِفَةٌ
وَبَسَطْتُمْ يَدَيْ فَكَفَفْتُمَا ، وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُمَا ، ثُمَّ تَدَا كُتْمُ
عَلَى^(٣) تَدَاكَ الْأَبِلُ الْهِمِ عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وَرُودِهَا حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ
وَسَقَطَتِ الرِّدَاءُ وَوُطِئَ الضَّعِيفُ وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ
أَنْ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ وَهَدَجَ إِلَيْهَا الْكَبِيرُ^(٤) وَتَحَامَلَ نَحْوُهَا الْعَلِيلُ ،
وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكَعَابُ

(١) هو الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وقوم الأود عدل الاعوجاج . والعمد
- بالتحريك - : العلة . وخلف الفتنة تركها خلفاً لا هو أدركها ولا هي أدركته (٢) عبارة عن
الاختلاف (٣) التذاك : الازدحام كأن كل واحد يدرك الآخر أي يدقه . والهم أي العطاش
جمع هيماء ، كعيناء وعين (٤) هدىج : مشى مشية الضعيف ، وهدىج الظلم إذا مشى في ارتعاش
والكعاب - كسحاب - : الجارية حين يبدو ثديها للنهود وهي الكاعبة . وحسرت

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ ، وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ . وَعَيْتُكَ مِنْ كُلِّ
 مَلَكَةٍ ^(١) ، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ . بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ ، وَيَنْجُو
 الْهَارِبُ ، وَتُنَالُ الرِّغَائِبُ . فَاعْمَلُوا وَالْعَمَلُ يُرْفَعُ ^(٢) ، وَالتَّوْبَةُ تَنْفَعُ ،
 وَالِدُّعَاءُ يُسْمَعُ . وَالْحَالُ هَادِئَةٌ ، وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ : وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ ثَمَرًا
 نَاكِسًا ، وَرَصًا حَابِسًا أَوْ مَوْتًا خَالِسًا . فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمٌ لَذَاتِكُمْ ،
 وَمُكَدِّرُ شَهَوَاتِكُمْ ، وَمُبَاعِدُ طِبَائِكُمْ ^(٣) . زَائِرٌ غَيْرُ مُجْبُوبٍ ، وَقِرْنٌ
 غَيْرُ مَغْلُوبٍ ، وَوَاتِرٌ غَيْرُ مَطْلُوبٍ . قَدْ أَعْلَقْتَكُمْ حَبَائِلُهُ
 وَتَكَنَّفَتْكُمْ غَوَائِلُهُ ، وَأَقْصَدَتْكُمْ مَعَابِلُهُ . وَعَظُمَتْ فِيكُمْ سَطَوَاتُهُ

أى كشفت عن وجهها متوجهة إلى البيعة لتعقدها بلا استحياء لشدة الرغبة والحرص
 على انعام الأمر لأمر المؤمنين. والغرض من الكلام الاحتجاج على المخالفين بأن الأمة
 بايعته مختارة (١) الملكة - بالتحريك - الرق أى عتق من رق الشهوات والأهواء .
 والهاكة - بالتحريك - الهلاك (٢) والعمل الخالواو واو الحال . وبادروا أى اسبقوا
 بأعمالكم حاول آجالكم التى تنكسكم أى تقلبكم من الحياة إلى الموت . والحابس
 المانع من العمل . والخالس : الخاطف (٣) طيائركم جمع طية - بالكسر - : القصد أى
 يحول بينكم وبين مقاصدكم فيبعدها والقرن - بالكسر - : الكفو فى الشجاعة. والنسمية
 تبيكت لمن يظن مغالبة الموت فلا يستعبد له بالصالحات كأ أنه يقول إذا كنتم أقوياء
 فالموت كنقودكم غير مغلوب ، والوانر : الجاني والموت لا يطالب بالقصاص على جنائته .
 أعلقتكم الحبال أو فقتكم فيها فاقتمصتكم وهى جمع حباله : المصيدة من الحبال. وتكنفتكم

وَتَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَدُوَّهُ^(١) ، وَقَطَّتْ عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ . فَيُوشِكُ أَنْ
تَنْشَأَكُمْ دَوَاجِي ظُلُمِهِ ، وَأَحْتِدَامُ عِلَلِهِ . وَخَنَادِسُ غَمَرَاتِهِ ؛ وَعَوَاشِي
سَكَرَاتِهِ ، وَالْيَمُّ إِزْهَاقِهِ ، وَدُجُوءُ إِطْبَاقِهِ ، وَجُشُوبَةُ مَذَاقِهِ . فَكَأَنَّ
قَدْ أَتَاكُمْ بَفْتَةً فَأَسْكَتَ نَجِيَّتَكُمْ^(٢) ، وَفَرَّقَ نَدِيَّتَكُمْ ، وَعَفَى آثَارَكُمْ ،
وَعَطَّلَ دِيَارَكُمْ ، وَبَعَثَ وُرَثَانَكُمْ يَقْتَسِمُونَ ثَرَائِكُمْ . بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ
لَمْ يَنْفَعْ ، وَقَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعْ ، وَآخَرَ شَامِتٍ لَمْ يَمْزُغْ . فَعَلَيْنَاكُمْ
بِالْجِدِّ وَالْإِجْتِهَادِ ، وَالشَّاهِبِ وَالِاسْتِعْدَادِ ، وَالتَّرْوُدِ فِي مَنْزِلِ الزَّادِ . وَلَا
تَغْرَنَّكُمْ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ الْأَنْثَمِ الْمَاضِيَةِ
وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ الَّذِينَ أُحْتَلَبُوا دِرَّتَهَا^(٣) ، وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا ، وَأَفْنَوْا
عِدَّتَهَا ، وَأَخْلَقُوا جِدَّتَهَا . أَصْبَحَتْ مَسَاكِينُهُمْ أَجْدَانًا^(٤) ، وَأَمْوَالُهُمْ

أَحَاطَتْكُمْ . أَفْصَدَهُ : رَمَاهُ بِهِمْ فَأَصَابَ مَقْتَلَهُ وَالْمَعَابِلَ - جَمْعُ مَعْبَلَةٍ كَمَا كُنْتَ بِكَسْرِ الْمِيمِ -
وَهِيَ النِّصْلُ الطَّوِيلُ الْعَرِيضُ (١) الْعَدُوَّةُ - بِالْفَتْحِ - الْعِدْوَانُ . وَالنَّبْوَةُ - بِالْفَتْحِ -
أَنْ يَخْطِئَ فِي الضَّرْبَةِ فَلَا يَصِيبُ . وَالِدَوَاجِي - جَمْعُ دَاجِيَةٍ - أَيْ مَظْلَمَةٍ . وَالظُّلَلُ - جَمْعُ
الظِّلَةِ - أَيْ السَّحَابَةِ . وَالْإِحْتِدَامُ : الْإِشْتِدَادُ . وَالْخَنَادِسُ : جَمْعُ خَنْدَسٍ - بِكَسْرِ الْخَاءِ
وَالدَّالِ - الظَّامَةُ الشَّدِيدَةُ . وَالْغَمَرَاتُ : الشَّدَائِدُ . وَالِدُجُوءُ : الْإِظْلَامُ . وَالْجُشُوبَةُ :
الْخُسُوفَةُ (٢) النُّجَى الْقَوْمُ يَنْتَاجُونَ . وَالنَدَى : الْجَمَاعَةُ يَجْتَمِعُونَ لِلْمَشَاوَرَةِ . وَعَفَى الْآثَارَ
مَحَاها . وَالتَّرَاتُ : الْمِبْرَاتُ . وَالْحَمِيمُ : الصَّدِيقُ (٣) الدَّرَّةُ - بِالْكَسْرِ - : اللَّبَنُ . وَالْفَرَّةُ
- بِالْكَسْرِ - : الْغَفْلَةُ أَيْ أَصَابُوا مِنْهَا غَفْلَةً فَتَمَتَّعُوا بِإِلْدَانِهَا وَأَفْنَوْا الْعِدَدَ الْكَثِيرَ مِنْ أَيَّامِهَا
وَجَعَلُوا جَدِيدَهَا خَلْقًا قَدِيمًا بِطَوْلِ أَعْمَارِهِمْ (٤) الْأَجْدَانُ : الْقُبُورُ

مِيرَاتِنَا. لَا يَتَرَفُّونَ مِنْ أَتَانِهِمْ، وَلَا يَحْفَلُونَ مِنْ بَكَاهُمْ^(١)، وَلَا يُجَيِّبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَدَارَةٌ، غَرَارَةٌ خَدُوعٌ، مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ، مُلْبِسَةٌ زُورٌ^(٢). لَا يَدُومُ نِجَاؤُهَا، وَلَا يَنْقُضِي عَنَاؤُهَا، وَلَا يَرْكُدُ بِلَاؤُهَا (مِنْهَا فِي صِفَةِ الزَّهَادِ) كَانُوا قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا. هَمَلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ، وَبَادَرُوا فِيهَا مَا يَحْذَرُونَ^(٣). تَقَلَّبُ أَبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَهْلِ الْآخِرَةِ^(٤)، يَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُعْظِمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ وَهُمْ أَشَدُّ إِعْظَامًا لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
خُطْبَهَا بِذِي قَارٍ وَهُوَ مُتَوَجِّهُ إِلَى الْبَصْرَةِ
ذَكَرَهَا الْوَاقِدِيُّ فِي كِتَابِ الْجَمَلِ

فَسَدَعَ بِمَا أَمَرَ بِهِ^(٥)، وَبَلَغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ فَلَمَّ اللَّهُ بِهِ الصَّدْعَ. وَرَتَّقَ

(١) يحفلون: يبالون (٢) لمَّا لَيْسَتْ لِإِنْرَعَتْ لِبَاسَهَا عَنْهُمُ الْبَسْتَهُ. وَلَا يَرْكُدُ أَيُّ لَا يَسْكُنُ (٣) بَادَرُ الْمَحْذُورُ: سَبَقَهُ فَلَمْ يَصْبِهِ (٤) تَقَلَّبُوا بَدَانِهِمْ أَيُّ تَتَقَلَّبُ، أَيُّ أَنَّ أَبْدَانَهُمْ وَهِيَ فِي الدُّنْيَا تَتَقَلَّبُ بَيْنَ أَظْهَرِ أَهْلِ الْآخِرَةِ وَهِيَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ أَيُّ بَيْنَهُمْ حَاضِرًا ظَاهِرًا (٥) الضَّمِيرُ فِي صَدَعَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَلَمْ يَصْدَعْ لَحْمَ الْمُنْتَقَى فَأَعَادَهُ إِلَى الْقِيَامِ بَعْدَ الْإِشْرَافِ عَلَى الْإِهْدَامِ. وَالْفَتْحُ تَقْصُفُ خِيَاطَةَ الثَّوبِ فَيَنْفَصِلُ بَعْضُ أَجْزَائِهِ عَنْ بَعْضٍ. وَالرَّتْقُ خِيَاطَتُهَا

بِهِ الْفَتْقَ . وَالَّتِ بِهِ ذَوَى الْأَرْحَامِ بَعْدَ الْمَدَاوَةِ الْوَاعِرَةِ فِي الصُّدُورِ ،
وَالضَّائِي الْقَادِحَةِ فِي الْقُلُوبِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كَلِمٌ بِهِ عِبْدُ اللَّهِ بَنَ زَمَنَةً وَهُوَ مِنْ شَيْئَتِهِ وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدِيمٌ
عَلَيْهِ فِي خِلَافَتِهِ يَطْلُبُ مِنْهُ مَا لَقِيَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

إِنَّ هَذَا الْمَالَ لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ وَإِنَّمَا هُوَ فِي يَدِ الْمُسْلِمِينَ^(١) وَجَلِبُ
أَسْيَافِهِمْ ، فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ ، وَإِلَّا فَجَنَازُهُ
أَيْدِيهِمْ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ أَقْوَامِهِمْ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَلَا إِنَّ اللِّسَانَ لَضَعْفَةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ^(٢) فَلَا يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ
وَلَا يُعْمِلُهُ النُّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ . وَإِنَّا لَأَمْرَاءُ الْكَلَامِ ، وَفِينَا تَنْشَبَتْ عُرُوقُهُ
وَعَلَيْنَا تَهَدَّتْ غُصُونُهُ

ليعود ثوباً . أى جمع الله به متفرق القلوب ومنشت الأحوال . والواغرة : الداخلة . والقادحة
المنشعة (١) التى والحراج والغنيمة . وشركة - كعلمه - شاركة . والجناة - بفتح الجيم - ما يجنى
من الشجر أى يقطع (٢) أى أن اللسان آلة تحركها سلطة النفس فلا يسعد بالنطق
ناطق امتنع عليه ذهنه من المعانى فلم يستحضرها ولا يملكه النطق إذا هو اتسع في فكره
بل تنحدر للمعاني إلى الألفاظ جارية على اللسان قهراً منه ، فسعة الكلام تابعة لسعة
العلم وتنشبت الأصول علفت وثبتت . والمراد من العروق الأفكار العالية والعلوم السامية .

وَأَعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّكُمْ فِي زَمَانٍ الْقَائِلُ فِيهِ بِالْحَقِّ قَلِيلٌ، وَاللَّسَانُ
عَنِ الصِّدْقِ كَلِيلٌ^(١)، وَاللَّازِمُ لِلْحَقِّ دَلِيلٌ. أَهْلُهُ مُتَكِبُونَ عَلَى الْعِصْيَانِ.
مُصْطَلِحُونَ عَلَى الْإِذْهَانِ فَتَاهُمْ عَارِمٌ^(٢)، وَشَاءَ بِهِمْ آثِمٌ، وَعَالِيَهُمْ مُنَافِقٌ،
وَقَارِئُهُمْ مُمَازِقٌ. لَا يُعْظَمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرُهُمْ، وَلَا يَمُولُ غَنِيَّهُمْ فَقِيرُهُمْ
وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(رَوَى الْيَمَانِيُّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ قُتَيْبَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ
مَالِكِ بْنِ دِحْيَةَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ وَقَدْ ذُكِرَ عِنْدَهُ اخْتِلَافُ النَّاسِ فَقَالَ:)

إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِي طِينِهِمْ^(٣) وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلَقَةً
مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وَعَذِيبًا، وَحَزَنٍ تُرْبَةٍ وَسَهْلِيهَا. فَهُمْ عَلَى حَسَبِ
قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ، وَعَلَى قَدَرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ. فَتَأْمُ الرُّوَاءُ^(٤)
نَاقِصُ الْعَقْلِ، وَمَادُّ الْقَامَةِ قَصِيرُ الْهِمَّةِ، وَزَاكِي الْعَمَلِ قَبِيحُ الْمَنْظَرِ،

والفصون : وجوه القول في فصاحته وصفاته الفاعلة في النفوس . وتهدلت أي تدلت علينا
فأظلتنا (١) كل لسانه نباعن الغرض، وإذا مرنت الأسباع على سماع الكذب نباعنها
لسان الصديق فلم يصب منها حظا (٢) شرس : سيء الخلق . والممازق من يمزج دوده بالنس
وهو من صنف المنافقين (٣) جمع طينة يريد عناصر تركيبهم . والفلقه - بكسر الفاء -:
القطعة من الشيء . وسبخ الأرض : مالها . والحزن - بفتح الحاء -: الخشن ضد السهل
فتقارب الناس حسب تقارب العناصر المؤلفة لبنانهم وكذلك نباعدهم بنباعدها (٤) الرواء
بالضم والمد -: حسن المنظر . وماد القامة طويها . والقعر يريد به قعر البدن أي أنه قصير

وَقَرِيبُ الْقَعْرِ بِمَيْدِ السَّبْرِ، وَمَعْرُوفُ الضَّرِيَّةِ مُنْكَرُ الْحَلِيَّةِ، وَتَائِهُ
الْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللَّبِّ، وَطَلِيقُ اللِّسَانِ حَدِيدُ الْجَنَانِ

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَالَ وَهُوَ يَلِي غُسْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَتَجْهِيْزَهُ

يَا بِي أَنْتَ وَأُمِّي لَقَدْ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنْ
النُّبُوَّةِ وَالْأَنْبَاءِ وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ خَصَّصْتُ^(١) حَتَّى صِرْتَ مُسْلِمًا عَمَّنْ سِوَاكَ
وَعَمَّمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سِوَاءَ . وَلَوْ لَا أَنْكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ
وَهَيَّيْتَ عَنِ الْجَزَعِ لَأَنْقَذْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّثُونِ^(٢) ، وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلًا
وَالْكَمْدُ مُحَالِفًا وَقَلَّاكَ^(٣) ، وَلَكِنَّهُ مَا لَا يُمْلِكُ رَدُّهُ^(٤) وَلَا يُسْتَطَاعُ
دَفْعُهُ . يَا بِي أَنْتَ وَأُمِّي أَذْكَرُنَا عِنْدَ رَبِّكَ وَأَجْمَلُنَا مِنْ بَالِكَ

الجسم لكنه داهى الفؤاد. والضريبة الطبيعة. والجلبية ما يتصنعها الإنسان على خلاف
طبعه (١) النبي صلى الله عليه وسلم خص أقاربه وأهل بيته حتى كان فيه الفنى والسلوة
لهم عن جميع من سواه. وهو برسالة عام للخلق فالناس في النسبة إلى دينه سواء (٢) لأنقذنا
أى لأنقذنا على فراقك ماء عيوننا الجارية من شؤونه وهى منابع الدمع من الرأس
(٣) مماطلا بالشفاء. والكمد: الحزن. ومحالفته ملازمته. وقلا فعل ماض متصل
بألف التثنية، أى مماطلة الداء ومحالفة الكمد فليبتان لك (٤) ماخبر لكن أى لكنه
الموت الذى لا يملك رده الخ. وما حتم وقعه فلا يفيد الأسف عليه لأن الأسف وضع فى النفوس

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 أَقْصَى فِيهِ ذِكْرُ مَا كَانَ مِنْهُ بَعْدَ هِجْرَةِ
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ لَحَاقَهُ بِهِ
 فَجَعَلْتُ أَتْبَعُ مَا خَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَطَا ذِكْرَهُ
 حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْعَرَجِ^(١) (فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ)
 (قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَأَطَا ذِكْرَهُ . مِنْ الْكَلَامِ الَّذِي رُمِيَ بِهِ
 إِلَى غَايَتِي الْإِيحَازِ وَالْفَصَاحَةِ ، أَرَادَ أَنِّي كُنْتُ أُعْطَى خَبْرَهُ^(٢) صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ بَدْءِ خُرُوجِي إِلَى أَنْ انْتَهَيْتُ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ فَكُنْتُ
 عَنْ ذَلِكَ بِهَذِهِ الْكِتَابَةِ الْعَجِيبَةِ)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَاعْمَلُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفْسِ الْبَقَاءِ^(٣) وَالصُّحُفِ مَنْشُورَةٍ ، وَالتَّوْبَةِ
 مَبْسُوطَةٍ . وَالْمُدْبِرُ يُدْعَى ، وَالْمُسَيِّءُ يُرْجَى . قَبْلَ أَنْ يُخَمَّدَ الْعَمَلُ ،
 وَيَنْقَطَعَ الْمَهْلُ ، وَيَنْقَضِيَ الْأَجَلُ ، وَيُسَدَّ بَابُ التَّوْبَةِ وَتَصْعَدَ الْمَلَائِكَةُ^(٤)

لمداركة الفائت والحذر من الآتي (١) العرج - بالتحريك - موضع بين مكة والمدينة
 (٢) أعطى بالبناء للمجهول (٣) نفس - بالتحريك - أى سعة البقاع . وصحف الأعمال
 منشورة لكتابة الصالحات والسيئات . وبسط التوبة : قبولها . والمدبر أى
 المعرض عن الطاعة يدعى إليها . والمسيء يرجى احضانه ورجوعه عن اساءته .
 وخود العمل : انقطاعه بمحلول الموت (٤) صعود الملائكة لعرض أعمال العبد إذا انتهى

فَأَخَذَ أَمْرُوهُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ ^(١). وَأَخَذَ مِنْ حَيٍّ لِمَيِّتٍ، وَمِنْ فَاِنٍ لِبَاقٍ، وَمِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ. أَمْرُوهُ خَافَ اللَّهَ ^(٢) وَهُوَ مُعَمَّرٌ إِلَى أَجَلِهِ، وَمَنْظُورٌ إِلَى عَمَلِهِ، أَمْرُوهُ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا ^(٣)، فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في شأن الحكمين وذي أهل الشام

جُفَاءً طَعَامٌ ^(٤)، وَعَبِيدٌ أَقْرَامٌ. جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، وَتَلَقَّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَيُؤَدَّبَ ^(٥)، وَيُعَلَّمَ وَيُدْرَبَ، وَيُؤَلَّى

أجله ليس بعده توبة (١) أخذ أمر بصيغة الماضي أي فليأخذ، أو هو على حقيقته مرتب على قوله فالعملوا، أي لو عملتم لأخذ امرؤ، وأخذه من نفسه تعاطى الأعمال الجليلة لنفسه أي لتسعد بها نفسه. والحي والميت هو المرء نفسه ولكنه في حياته قادر على العمل فإذا مات فليس له إلا ما أخذه من حياته. ومن فإن أي حياة فانية وهي الدنيا لباقي وهو الآخرة، وهكذا الذاهب والدائم (٢) امرؤ خاف الخ أي الناجي هو امرؤ خاف الله فأدى الواجب عليه له وللناس وهو في مهلة الحياة تمتد به إلى أجله. ومنظور أي مهل من الله لا يأخذه بالعقاب إلى أن يعمل فيعفو عن تقصيره ويثيبه على عمله (٣) زمها أي قادها بقيادها (٤) الجفأة - بضم الجيم - : جمع جاف، أي غليظ فظ. والطعام - بكسح - : أوغاد الناس. والعبيد كناية عن رذيل الأخلاق. والأقزام : جمع قزم - بالتحريك - أرذل الناس جمعوا من كل أوب أي ناحية. والشوب الخلط كناية عن كونهم أخلاطاً بالسوا من صراحة النسب في شيء (٥) ممن ينبغي أي أنهم على جهل فينبغي أن يفقهوا ويؤدبوا ويعلموا فرائضهم ويمرنوا على العمل بها، وهم سفهاء الأحمال فينبغي أن يولى عليهم أي يقام

عَلَيْهِ وَيُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ . لَيْسُوا مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَلَا مِنَ
الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ

أَلَا وَإِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ بِمَاتَكَرَهُونَ^(١) ،
وَإِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ بِالْأَمْسِ يَقُولُ : « إِنَّمَا فِتْنَةٌ فَقَطِّعُوا
أَوْتَارَكُمْ وَشِيمُوا سِيُوفَكُمْ » فَإِنْ كَانَ صَادِقًا^(٢) فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ
غَيْرَ مُسْتَكْرِهِ ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَقَدْ لَزِمَتْهُ التَّهْمَةُ . فَادْفَعُوا فِي صَدْرِ
عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الْعَبَّاسِ ، وَخُذُوا مَهْلَ الْأَيَّامِ وَحُوطُوا
قَوَاصِيَ الْإِسْلَامِ . أَلَا تَرَوْنَ إِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى ، وَإِلَى صَفَاتِكُمْ تُرْمَى

لهم الأولياء ليلزموهم بمصالحهم ويعملوا لهم ويأخذوا على أيديهم فلا يبيعون لهم التصرف
من أنفسهم والاجر منهم إلى الضرر بالجهل والسفه . تبوأوا الدار أى نزلوا المدينة المنورة ،
كناية عن الأنصار الأولين (١) أقرب القوم يريد به أباموسى الأشعرى وهو عبد الله
ابن قيس ، وهو لعدم وقوفه على وجوه الحيل يؤخذ بالخدعة فيكون أقرب إلى موافقة
الأعداء على أغراضهم وهو ما يكرهه ، أصحاب أمير المؤمنين خصوصا وقد عهدوه بالأمس
— أى عند اعداد الجيش للحرب — يقول : ان الحادثة فتنة فقطعوا أوتار القسى وشيموا أى
أغمدوا السيوف ولا تقاتلوا . يثبت بذلك أصحاب على عن الحرب (٢) ان صح قول
أبي موسى انها فتنة ولم يكرهه أحد على الدخول فيها فقد أخطأ بمسيره اليها وكان عمله
خلاف عقيدته ، ومن كان شأنه ذلك فلا يصلح للحكم ، وإن كان كاذباً فيما يقول فقد
كان عارفاً بالحق ونطق بالباطل فهو منهم ويخشى أن يكون منه مثل ذلك في الحكم .
وقوله فادفعوا إلخ أى اختاروا ابن عباس حكماً فانه كفؤ لعمر بن العاص . وخذوا مهل
الأيام فى فسحتها فاستعدوا فيها بجمع قواكم وتوفير عددكم وتجهيد جيوشكم . وحوطوا

وَمِنْ حُطْبَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
يَذْكُرُ فِيهَا آلَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ وَمَوْتُ الْجَهْلِ . يُخْبِرُكُمْ جِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ .
وَصَنَّتُهُمْ عَنْ حِكْمِ مَنْطِقِهِمْ . لَا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ . هُمْ
دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ وَوَلَائِجُ الْإِعْتِصَامِ ^(١) بِهِمْ قَادَ الْحَقُّ فِي نِصَابِهِ ^(٢) ،
وَأَنْزَا حَ الْبَاطِلُ عَنْ مُقَامِهِ ، وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنَبَتِهِ . عَقَلُوا الدِّينَ
عَقْلَ وَعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ ^(٣) ، لَا عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ . فَإِنَّ رِوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ
وَرِعَايَتُهُ قَلِيلٌ

وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَقَدْ جَاءَهُ بِرِسَالَةٍ مِنْ عُثْمَانَ وَهُوَ مُحْصُورٌ

قواصی الاسلام ای احفظوہا من غارۃ اهل الفتنۃ علیہا، واجعلوا کل قاصیۃ لکم لا علیکم .
وقواصی الاسلام اطرافہ . ورمى الصفۃ - بفتح الصاد - کنایۃ عن طمع العدو فیما بالیدہ .
وأصل الصفۃ الحجر الصلبدیراد منها القوۃ وما یحمیہ الانسان (١) ولانج : جمع ولیجۃ،
وهی ما یدخل فیہ السائر اعتصاما من مطر أو برد أو توقیا من مفترس (٢) نصاب الحق :
أصلہ، والأصل فی معنی النصاب مقبض السکین ، فـ کأن الحق فصل ینفصل عن مقبضہ و یعود
إلیہ . وانزاح زال . وانقطاع لسان الباطل عن منبتہ - بکسر الباء - أى عن أصلہ مجاز
عن بطلان حججہ واتخذہ عندہ هجوم جيش الحق علیہ (٣) عقل الوعاية حفظی فہم .
والرعاية ملاحظۃ أحكام الدین وتطبیق الأعمال علیہا وهذا هو العلم بالدين حقیقۃ . أما السماع

يَسْأَلُهُ فِيهَا الْخُرُوجَ إِلَى مَالِهِ يَنْبَغُ لِيَقِيلَ هَتَفُ النَّاسِ بِأَسْمِهِ لِلْخِلَافَةِ^(١)
بَعْدَ أَنْ كَانَ سَأَلَهُ مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ قَبْلُ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

يَا ابْنَ عَبَّاسٍ مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَ لِي جَمَلًا نَاصِحًا بِالْغَرْبِ^(٢)
أَقِيلُ وَأَذِيرُ، بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدِمَ، ثُمَّ هُوَ الْآنَ
يَبْعَثُ إِلَيَّ أَبًا أَخْرُجَ . وَاللَّهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ
أَكُونَ آتِيًا وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(مِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَحْتَفِ فِيهِ أَصْحَابُهُ عَلَى الْجِهَادِ)

وَاللَّهُ مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرَهُ^(٣) وَمُورِثُكُمْ أَمْرَهُ، وَتُمْهِلُكُمْ فِي

مِضْمَارٍ مَحْدُودٍ^(٤)

والرواية مجردة عن الفهم والرعاية فنزلت لهما لاختلاف منزلة الجهل إلا في الاسم (١) كان
الناس يهتفون باسم أمير المؤمنين للخلافة أي ينادون به وعثمان رضى الله عنه محصور ،
فأرسل إليه عثمان يأمره أن يخرج إلى ينبع . وكان فيها رزق لأمير المؤمنين فخرج
ثم استدعاه لينصره فخره ، ثم عاود الأمر بالخروج مرة ثانية (٢) نضح الجبل الماء حوله
من بئر أو نهر ليسقى به الزرع فهو ناضح . والغرب - بفتح فسكون - : النلو العظيمة ،
والكلام تمثيل للتسخير (٣) مستأديكم : طالب منكم أداء شكره . وأمره : سلطانه في الأرض
يورثه الصالحين المحافظين على رعاية أوامره ونواهي (٤) تمهلهم أي تعطيتهم مهلة في
مضمار الحياة المحدود بالأجل . وأصل المضمار المكان تضرع فيه الخيل أي تضرع للسباق
لتتنافسوا أي تتنافسوا في سبقه . والسبق - بالتحريك - : الخطر يوضع بين المتسابقين

لِتَتَّانَزَعُوا سَبْقَهُ . فَشُدُّوا عَقْدَ الْمَآزِرِ^(١) ، وَأَطُوبُوا فُضُولَ الْخَوَاصِرِ ،
وَلَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ^(٢) . مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ^(٣) ،
وَأَمَحَى الظُّلَمَ لِنَذَا كَبِيرِ الْهَمَمِ .
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وَعَلَى آلِهِ مَصَابِيحِ الدُّجَى
وَالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

يأخذه السابق منهم وهو هنا الجنة (١) العقد : جمع عقدة . والمآزر : جمع مئزر .
وشد عقد المآزر كناية عن الجد والتشمير فإن من شد العقدة أمن من انحلالها فيمضي
في عمله غير خائف . وأطوبوا فضول الخواصر أى ما فضل من مآزرهم يلتف على أقدامكم
فاطووه حتى تخفوا في العمل ولا يعوقكم شىء عن الإسراع في عملكم (٢) أى لا يجتمع
طلب المعالي مع الركون إلى اللذائذ (٣) ما تعجبية أى ما أشد النوم نقضاً لعزيمة النهار
بعزم السائر على قطع جزء من الليل في السير ، فإذا جاء الليل غلبه النوم فنقض عزمته .
والظلم : جمع ظلمة ، متى دخلت تحت نذكار الهمة التى كانت في النهار . والله أعلم .

- فهرست الجزء الثاني من نهج ابلاغه -

صفحة	صفحة
٢	من كلام له كان يقوله لأصحابه في الحرب
٥	من كلام له في التحكيم
٦	من كلام له في التسوية في العطاء وفي ذم من يضع ماله في غير موضعه
٨	من كلام له في الاحتجاج على الخوارج والنهي عن الفرقة
٩	من كلام له فيما يخبر به من الملاحم في البصرة
١١	ووصف التار وصاحب الزنج
١٢	من خطبة له في المكايل وذكر وصف الزمان وأهله واستهواء الشيطان لهم
١٣	من كلام له خاطب به أبا ذر لما نفاه عثمان
١٤	من كلام له في حال نفسه وأوصاف الامام مطلقاً وفي الوعظ
١٥	من خطبة له في تمجيد الله
١٦	من خطبة له في صفة القرآن وصفات النبي وأوصاف الدنيا وبيان حكمة الله في خوف الموت ثم وصف لحالة الناس في المبالغنة
١٨	من كلام له في مشورته على عمر رضي الله عنه بعدم الخروج بنفسه لحرب الروم
١٨	ومن كلام له في تزيين شخص
١٩	من كلام له في وصف بيته وبناته فيها ونية الناس
١٩	من كلام له في طلحة والزبير وفتنتها
٢١	من خطبة له في الملاحم بذكر أوصاف هاد وأوصاف ناكث
٢٢	من كلام له وقت الشورى في وصف نفسه والتحذير من عاقبة الأمر
٢٣	من كلام له في الزجر عن الغيبة
٢٤	من كلام له في النهي عن التسرع بسوء الظن
٢٤	من كلام له في وضع المروف عند غير أهله ومن خطبة له في الاستيقاظ
٢٦	من خطبة له في بيعة الأنبياء ثم وصف آل البيت ثم وصف قوم آخرين
٢٧	من خطبة له في شؤون الدنيا مع الناس وفي البدع والسنن
٢٩	من كلام له في مشورته على عمر عند حرب الفرس
٣٠	من خطبة له فيها هدى الله الناس بيعة النبي (ص) وأوصاف أناس ينحرفون عن القرآن ثم تنبيه من عرف عظمة الله أن لا يتماظم ثم بيان أن معرفة الرشد إنما تكون بعد معرفة ضده
٣٢	من خطبة له في شأن طلحة والزبير كل مع صاحبه
٣٣	من كلام له في وصيته قبل موته

صفحة	صفحة
٣٥	من خطبة له في الملاحم يذكر ضالاً ثم فتنة يفوز فيها أهل القرآن ثم حال الناس في الجاهلية وبعد البعثة
٣٧	من خطبة له في فتنة وما يكون فيها
٣٩	من خطبة له في تمجيد الله وفي منزلة الأئمة من الناس وفي صفة الاسلام وفي وصف ضال وفي وصف قوم بالخيلة والنهي عن سلوك مسالكهم وفيه صفات لا ينفع البعد مع احداها عمل ووصف المؤمنين وغيرهم
٤٣	من خطبة له في الداعي ووصف آل البيت وزوم العمل بالعلم والعلم للعمل وبيان أن لكل عمل نباتاً
٤٥	من خطبة له في وصف الخلفاء وبديع خلقته
٤٧	من كلام له خاطب به أهل البصرة وفي وصف السيدة عائشة وسبيل النجاة وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووصف القرآن
٥١	من خطبة له في الدهر والتحفظ منه وفي التقوى والفجور وفي الوصية بالنفس والعمل لنجاتها وفي تحقير المال وتمظيم موجود الله وفي التنبيه على أن علينا رسداً من جوارحنا وفي تهويل يوم الجزاء
٥٣	من خطبة له في حال الناس قبل البعثة وبمدها ثم في حالهم عند ما ينحرفون عن القرآن
٥٥	من خطبة له في تمجيد الله ومنها في شخص يزعم أنه يرجو الله وهو لا يعمل لرجائه وفي الحث على الاقتداء بالأنبياء في احتقار الدنيا
٦١	ومن خطبة له في مزايا النبي وشريته وفي التبصير بالدنيا وعواقب أهلها
٦٣	من كلام له جواباً لقائل ما قومكم دفعوكم عن حقكم
٦٥	من خطبة له في تزيه الله وتذكير الانسان بهداية الله له الى سبيل معيشته
٦٨	من كلام له لثمان رضي الله عنه عند ما رسله القاتلون عليه سفيراً اليه وهو من أحسن الكلام
٧٠	من خطبة له في وصف الطاووس وهي من غرر كلامه وفيها شيء من وصف الجنة
٧٧	من خطبة له يوصي بالرأفة وجمال الباطن موافقاً للظاهر، ويوعده بني أمية وبين أن الضعف قرين للثخاذه
٧٩	من خطبة له اول خلافته عظم فيها حق المؤمن ووصى بميامنة أمر العامة والعدل فيهم
٨٠	من كلام له في وصف الناس بعد قتل عثمان
٨١	من خطبة له عند مسير أصحاب الجمل يوصي فيها بالطمعة والوفاء ويوعده على الخلاف بانتقال السلطة من أيديهم

صفحة	صفحة
١٠٠	٨٢ من كلام له مع رجله جاء من البصرة
١٠٢	يستخبره عن امر اصحاب الجبل وهو
١٠٣	من أقوم الحجج
	٨٣ من دعاء له عند عزمه على لقاء النعم بصفين
	٨٤ من كلام له في الحجة على من رماه
	بالحرص وفي دعاء له على قريش وكلام في
١١٠	اصحاب الجبل وما فعلوا بجرمة رسول
	الله صلى الله عليه وآله وسلم
	٨٦ من خطبة له فيمن هو أحق بالخلافة
١١٤	وعن تم البيعة ومن يجب وقالة وفي ذم
١١٥	الدنيا والترهيد فيها
	٨٨ من كلام له في طلحة بن عبد الله وأمر
١١٩	قتل عثمان
	٨٩ من خطبة له في خطاب الناظرين بشيرهم
١٢٦	بالانعام تحسب يومها دهرها
	٩٠ من خطبة له يحذر من متابعة الموتى ثم
	يعين منزلة القرآن ويطلب متابته ثم بحث
١٢٧	على الاستقامة وينهي عن تهذيب الأخلاق
	ثم يأمر بحفظ اللسان ولزوم الصدق ثم
١٢٨	يقسم الظلم إلى ثلاثة أقسام
	٩٦ من كلام له في معنى الحكمين
	٩٧ خطبة له يمجده الله ثم يحذر من الدنيا
٢٣٠	ثم يؤكد أن زوال النعم من سوء الفعل
	٩٩ من كلام له في التنزيه جواباً لمن سأله
	هل رأيت ربك
	من خطبة له في ذم اصحابه وتحريضهم
	من كلام له في ذم قوم نزعوا للحاق بالخوارج
	من خطبة له في تنزيه الله وذكر آثار
	قبرته ثم التذكير بما نزل بالسابقين ثم
	وصف للسلم الحكيم ثم تأسف على اخوانه
	الذين قتلوا بصفين مع ذكر بعض اوصافهم
	ومن خطبة له في تعظيم الله والحث على
	تعظيمه ثم في بيان منزلة الانسان من
	الدنيا ثم التخويف من عقاب الآخرة
	من كلام له في ذم البرج بن مسهر الطائي
	من خطبة له في تنزيه الله ثم في صفة
	خلق بعض الحيوانات
	من خطبة له في التوحيد وهي من
	جلائل الخطب
	من خطبة له فيها بيان اطوار الناس في
	بعض الأزمان المستقبلية وفيها الوصية
	بتجنب الفتن
	من خطبة له في التذكير بنعم الله والعظة
	بأحوال الموتى وتفصيل فيها
	من كلام له في تقسيم الايمان والنهي عن
	البراءة من احد حتى يحضره الموت
	وفي الهجرة وفي صوبة امر نفسه
	من خطبة له في الامر بالتقوى والتخويف
	من هول القبر وتحول الدنيا وتحويل
	الجحيم ووصف اهل الجنة والوصية
	بالودم السكون والصبر على البلاء

صفحة	صفحة
١٨٢	١٣٣
من كلام له عند دفن السيدة فاطمة	من خطبة له في الوصية بالتقوى ثم وصف
١٨٣	الدنيا ثم حالها مع المرورين بها
من كلام له في أن الدنيا دار مجاز	١٣٧
١٨٣	الخطبة القاصة في ذم الكبر وتبسيط
من كلام له كان ينادي به أصحابه	الاختلاف وفيها بيان بعض أسرار
في الازعاج عن الدنيا والتذكير بالموت	التكاليف وهي من جلائل الخطب
١٨٤	١٦٠
من كلام له عليه السلام كلم به طلحة	من خطبة له في وصف المتقين وهي التي
والزبير عندما تقما عليه عدم الرجوع	صق لها هم فمات بعد سماعها
اليهما في الرأي	١٦٥
١٨٥	من خطبة له يصف بها المنافقون
من كلام له في النهي عن سب أهل الشام	١٦٧
١٨٦	من خطبة له في تمجيد الله وأنه لا يلهيه
وقال عليه السلام في بعض أيام صيف	شأن عن شأن ثم الوصية بالتقوى ووصف
وقد رأى الحسن عليه السلام يشرع	اليوم الآخر
الى الحرب	١٧٠
١٨٦	ومن خطبة له في التحذير من الدنيا
من كلام له قاله عند اضطراب أصحابه	وبيان نهي عن تصرفها بأبنائها والوصية
عليه في الحكومة	بالتقوى فيها
١٨٧	١٧١
من كلام له في أن نعم الدنيا يؤدي الى	من وصية له في بيان اختصاصه بالنبي ﷺ
الآخرة ان صلحت فيه النية وحسن العمل	١٧٢
١٨٨	من خطبة له في مزايا التقوى ثم في وصف
من كلام له في تقسيم الأحاديث الواردة	دين الاسلام ثم حال بشة النبي ثم وصف
عن النبي وتصنيف روايتها	القران
١٩١	١٧٨
من خطبة له في تمجيد الله ووصف	من كلام له كان يوصي به أصحابه في
خلق الأرض	العبادات ومكارم الاخلاق وشيء من
١٩٣	حكمها
من خطبة له في التفويض لله فيمن خذله	١٨٠
١٩٤	من كلام له في تنزهه عن الغدر وإن
من خطبة له عليه السلام في تمجيد الله	قدر عليه
ومنها في ذكر النبي (ص)	١٨١
١٩٤	ومن كلام له في النهي عن الاعوجاج
١٩٥	وان قل المستقيمون والوصية بانكار
من خطبة له في شرف النبي (ص) وذكر	النكر
أوصاف أهل الخير والوصية باستماع	
النصيحة	

صفحة		صفحة
٢٢١	من دعاء له كان يدعو به كثيراً	١٩٧
٢٢٢	من خطبة له بصفين بين حق الخليفة	١٩٨
٢٢٢	وحق الرعية ومضار اغفال الحقوق	
٢٢٣	ونهي اصحابه عن الثناء عليه	
٢٠٢	من كلام له في الشكوى من قريش	
٢٢٥	وظلمهم له	
٢٢٦	من كلام له لما مر بطلحة وعبد الرحمن	٢٠٣
٢٢٦	ابن عتاب وهما قتيلان يوم الجمل	
٢٠٤	من كلام له في وصف تقي	
٢٠٤	من كلام له عند تلاوته المأكم التكاثر	
	وصف فيه الموتى والسائر إلى الموت	
٢٢٨	وهي من اجل الخطب	
٢١١	من كلام له عند تلاوته رجال لا تلهيهم	
٢٢٩	تجارة وفيها وصف الصديقين	
٢١٣	من كلام له عند تلاوته يا أيها الانسان	
٢٢٩	ماغرك ربك الكريم وفيها تبرة الدنيا	
٢٣٠	من الذم والزامة للمفرورين بها	
٢١٦	من خطبة له في تهويل الظلم وتبرؤه	
٢٣٢	وبيان صفر الدنيا في نظره	
٢٣٢	من دعاء له عليه السلام	٢١٨
	من خطبة له في ذم الدنيا ووصف	٢١٩
٢٣٣	سكان القبور	
	من دعاء له عليه السلام وكرم الله وجهه	
	من كلام له في الثناء على عمر بن الخطاب	
	من كلام له في وصف بيعته بالخلافة	
	من خطبة له في الوصية بالتقوى وتخويف	
	الموت والتحذير من الدنيا ثم وصف الزهاد	
	كلمات من خطبة له في امر النبي ﷺ	
	من كلام له قاله في رد طالب منه مالا	
	من كلام له في احجام الناس	
	الكلام ثم في حال الناس يمض الأزمان	
	من كلام له في سبب اختلاف الناس	
	في اخلاقهم	
	من كلام له قاله وهو يلي غسل رسول	
	الله ﷺ	
	من كلام له في اقتفائه أثر الرسول	
	بعد الهجرة	
	من خطبة له في طلب العمل قبل الأجل	
	والاخذ من الغاني للباقي	
	من كلام له في شأن الحكيم ووصف	
	اهل الشام	
	من خطبة له يصف فيها آل البيت الكريم	
	من كلام له عند ما امره عثمان بالخروج	
	إلى ينبع وفيه بيان حاله مع عثمان	
	من كلام له يبحث به اصحابه على الجهاد	

ثم الجزء الثاني من نهج البلاغة